أدوار السلطة الشرعية
في الحركات الاسلامية المسلحة
في سوريا ومالي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الشرعية الأولى

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٤م

9 786256 738041

أفق للدراسات والنشر

أفــق

بريطانيا ـ لندن

ufoq.ai@gmail.com

أدوار السلطة الشرعية
في الحركات الاسلامية المسلحة

في سوريا ومالي

أفـــق

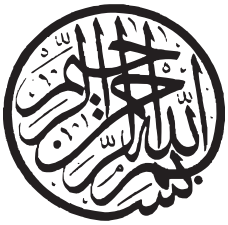

فهرس عناوين الأبحاث

١ ـ **شرعيو هيئة تحرير الشام** (عباس شريفة ـ حسن الدغيم)..... ٩

٢ ـ **المرجعية الدينية في حراس الدين، البنية والدور** (عرابي عبد الحي عرابي) ٩٥

٣ ـ **السلطة الشرعية في التنظيمات الجهادية** (ياسين جمول ـ مختار أوفى) ١٨١

* * *

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيأتي هذا الإصدار ضمن سعينا لنشر الدراسات والبحوث ومخرجات المؤتمرات والندوات العلمية التي تبحث ملفات كبيرة وشائكة، وتتناول القضايا التي تمس واقع الأمة والصراعات التي تموج بها المنطقة العربية والبلدان الإسلامية من الثورات على الديكتاتوريات، وقمعِ الحكام للثورات السلمية والمسلحة، وتَشَكُّلِ الجماعات الجهادية والمقاتلة، والعملياتِ المسلحة، والغلوِّ في التكفير والدماء، وأصبحت محور الخلافات والتجاذبات الفكرية والعقدية والمنهجية.

ونجد أن من الضروري أن نقدم بين يدي القارئ أمرين قبل أن يقرأ هذا الإصدار:

ـ الأول: أن نشر هذه الكتب ينطلق من اعتقادنا بضرورة توسيع الدراسات حول هذه القضايا والتي تتناول نوازل وحوادث كبرى بالبحث والتأصيل الشرعي، فإن أمتنا ضحَّت في العقود الأخيرة بمئات الآلاف من أبنائها وفيهم خيرة الشباب وأفاضل الرجال، وأدت الحوادث والصراعات إلى تهجير الملايين خارج أوطانهم ونزوح ملايين أخرى في الداخل، ناهيك عن التضحيات والأثمان الباهظة في الاقتصاد وجوانب الحياة الأخرى. ومازالت الطائفية والنزعات القومية والعنصرية تموج في منطقتنا كأشد ما يكون موج البحار، ومازالت البلاد تحكم بالحديد

والنار، والشعوب مسلوبة الإرادة، وكلما أُخمدت الثورة في بقعة من بلاد المسلمين نشبت أختها في مكان آخر، وكلما تنفست بلادٌ الصعداء بعد تخلصها من محتل، غزا العدو بلادًا أخرى للمسلمين، ناهيك عن حرص الاحتلال في كل زمان أن يخلفه من أبناء البلد من هو أشد نكاية بأهله منهم. وما دامت هذه النوازل محور الاختلاف بين العاملين في الساحة في التعاطي معها، وما دامت أخطاء العاملين جماعات وأفرادًا تقع على رؤوس المسلمين، فإنه لابد من توسيع نطاق البحث والدراسة؛ للخروج بتصورات شرعية ونتائج علمية تحدُّ من النزاع والخلاف إلى ما يمكن وتسهل الطريق ليكون العاملون في الساحة على أمر جامع.

ـ الثاني: نشرنا لأي إصدار أو كتاب لا يعني بالضرورة تأييدنا أو تبنينا لمخرجاته أو طروحاته، بل إننا نقدم هذه الدراسات لأهل العلم والمختصين لتكون في متناول بحثهم ودراستهم فما كان من صواب وجب الانتفاع منه، وما كان من خطأ وجب تقويمه، فإن من الأفكار والدراسات ما يكون حبيس الأوراق أو العقول، ولا يصل إلا إلى فئة محدودة، فإن كان خيرًا لم يتوسع الانتفاع منه، وما كان غير ذلك أخذ به من لا يحسن تقويمه ولم يصل إلى من يبين عواره وينبه الناس إلى خطأه، وما أكثر ما رأينا من دماء تسيل وبلاد تخرب بناءً على عمل قام على أفكار قاصرة واجتهادات خاطئة.

لذلك فإننا ندعو الباحثين وأهل العلم إلى تقديم ما يرونه من تصويب وتقويم للناشر أو الكاتب، ولا يحقرنَّ أحدٌ شيئًا مما يفتح الله عليه ويلهمه حينما يقرأ هذه الكتاب أو غيره.

والله نرجو العون والسداد والقبول والرشاد.

مركز أفق للدراسات

٢/ ٤/ ١٤٤٥هـ ـ ١٠/ ١٠/ ٢٠٢٣

شرعيو هيئة تحرير الشام

البنية ـ التحولات ـ الدور

الباحثان

عباس شريفة

وحسن الدغيم

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة:	١٥
أهمية البحث:	١٦
إشكالية البحث وأسئلته:	١٧
فرضية البحث:	١٧
منهجية البحث:	١٨
حدود البحث:	١٨
أ) الحدود الزمانية	١٨
ب) الحدود المكانية:	١٨
الفصل الأول: نشأة «هيئة تحرير الشام» وتبلور مرجعيتها الشرعية	١٩
المبحث الأول: نشأة هيئة تحرير الشام	٢١
المطلب الأول: تشكيل جبهة النصرة لأهل الشام	٢١
المطلب الثاني: التحول إلى «جبهة فتح الشام»	٢٣
المطلب الثالث: الإعلان عن تشكيل «هيئة تحرير الشام»	٢٣
المبحث الثاني: تبلور المرجعية الشرعية لهيئة تحرير الشام	٢٥
المطلب الأول: الانفصال عن «تنظيم القاعدة» وبروز دور «المرجعيات المحلية»	٢٥
المطلب الثاني: المؤسسات الشرعية المرجعية لتحرير الشام ودورها	٢٥

الموضوع	الصفحة

أ) المجلس الشرعي لتحرير الشام: ٢٦

ب) المجلس الأعلى للإفتاء: ٢٩

الفصل الثاني: قراءة في أدوار أربع نماذج من «المرجعيات الشرعية» لهيئة تحرير الشام ٣١

المبحث الأول: أبرز المرجعيات الشرعية المنضوية في صفوف تحرير الشام ٣٤

المطلب الأول: عبد الرحيم عطون ٣٤

أولاً: النشأة والتعليم ٣٤

ثانياً: موقعه في هيئة تحرير الشام ٣٥

ثالثاً: مواقفه وأبرز ملامح هويته الفكرية ٣٦

المطلب الثاني: مظهر الويس ٤٨

أولاً: النشأة والتعليم ٤٨

ثانياً: موقعه في هيئة تحرير الشام ٤٩

ثالثا: أبرز مواقفه وملامح هويته الفكرية ٤٩

المبحث الثاني: أبرز المرجعيات الشرعية التي استقالت من هيئة تحرير الشام ٥٧

المطلب الأول: عبد الرزاق المهدي ٥٧

أولاً: النشأة والتعليم ٥٧

ثانياً: موقعه السابق في تنظيم جبهة النصرة وتحولاتها ٥٨

ثالثاً: أسباب استقالته/ انشقاقه من تحرير الشام ٥٩

رابعاً: منهجه وملامح هويته الفكرية ٦٠

المطلب الثاني: عبد الله المحيسني ٦٣

أولاً: النشأة والتعليم ٦٣

ثانياً: موقعه السابق في تنظيم جبهة النصرة وتحولاتها ٦٤

الموضوع	الصفحة

ثالثاً: أسباب استقالته/ انشقاقه من تحرير الشام ٦٥

رابعاً: منهجه وملامح هويته الفكرية ٦٦

الفصل الثالث: قراءة في صراع الأجنحة الشرعية دخل هيئة تحرير الشام وديناميات التحول وإعادة التشكل ٦٩

المبحث الأول صراع الأجنحة وسياقات تشكل المرجعية الشرعية ٧٢

أ ـ المرحلة الأولى: إدارة الصراع مع داعش ٧٢

ب ـ المرحلة الثانية: صعود التيار الأدرني وزيادة الارتباط بالقاعدة ٧٣

ج ـ المرحلة الثالثة: فك الارتباط بتنظيم القاعدة وظهور الجولاني للعلن ٧٦

د ـ المرحلة الرابعة: تأسيس تحرير الشام والتحول من الفصيل إلى السلطة ٧٧

المبحث الثاني أهم النتائج ٨١

الخلاصة ٨٨

هيكلية المرجعية الشرعية لتحرير الشام وأعضائها ٩٠

❊ ❊ ❊

مقدمة

تلعب المرجعيات الشرعية في الجماعات الجهادية دورًا كبيرًا في رسم الخطاب والتعبئة والفتوى والقيادة السياسية، بل والعسكرية في بعض الأحيان، حيث إن الأساس الذي تقوم عليه هو «السعي لتطبيق وتحكيم الشريعة» كما نجد فيها تطبيقا واضحا لنموذج «القائد الشيخ»، إضافة لحرصها على ترسيخ مفهوم «طاعة الأمير» الذي يجعل من المرجعية الشرعية أو «الأمراء الشرعيين» ذات كلمة وازنة في تلك التنظيمات.

وقد بدا ذلك واضحا في تنظيم جبهة النصرة الذي تأسس نهايات العام ٢٠١١ وفي تحولاتها المختلفة، حيث كان للمرجعية الشرعية دور كبير في رسم سياسات التنظيم، داخليا وخارجيا، و«شرعنة» ممارساتها المختلفة.

وفي هذا الصدد كان لجبهة النصرة بتحولاتها المختلفة (فتح الشام، تحرير الشام)، نوعان رئيسان من المرجعية الشرعية، الأولى هي المرجعية العابرة المتمثلة بمرجعيات تنظيم القاعدة خارج سوريا، والثانية هي المرجعيات الشرعية المحلية، والتي برز دورها مع إعلان جبهة النصرة فك ارتباطها بتنظيم القاعدة في العام ٢٠١٦، ليبرز أسماء عديدة مثل عبد الرحيم عطون رئيس «المجلس الشرعي لتحرير الشام»، ومظهر الويس القاضي في التنظيم وعضو «مجلس الإفتاء الأعلى»، وعبد الرزاق المهدي الذي استقال من هيئة تحرير الشام وكان من أبرز الوجوه

الشرعية، كما برز دور لبعض المرجعيات الأجنبية التي دخلت سوريا مثل أبي اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري أيضا، وعبد الله المحيسني سعودي الجنسية، وغيرهم، وقد أعلن بعض تلك الشخصيات استقالتهم من تحرير الشام، لأسباب مختلفة، في حين بقي الآخرون ضمن صفوف التنظيم، وهو ما أثار أسئلة عديدة حول أسباب استقالة/ انشقاق تلك الشخصيات، ومدى الصلابة الفكرية التي يتمتع بها التنظيم.

من جهة أخرى، وبعيدا عن «المرجعيات الفردية» التي شكلت المرجعية الشرعية لتحرير الشام وتحولاتها السابقة، فقد شكل «المجلس الشرعي لتحرير الشام» ككل، وكذلك «المجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة» أهم مؤسستين شرعيتين لعبتا دوراً مرجعيًّاً لتحرير الشام، بما يتعلق بالفتاوى والأحكام المختلفة، وكذلك «شرعنة» السياسات التي تنتهجها تحرير الشام.

أهمية البحث:

نظرا للتأثير الكبير لهيئة تحرير الشام على مسار الثورة السورية ونفوذها الكبير في منطقة واسعة من الشمال الغربي لسوريا، وتأثير الجناح الشرعي فيها على سياساتها؛ كان لابد من الوقوف على بنية هذا الجناح، ودراسة تأثيره، وتأثير أبرز الشخصيات التي تشكل المرجعية الشرعية لتحرير الشام بشكل مباشر أو غير مباشر، بهدف التحذير من الخطاب المتطرف من جهة، وإبراز دور بعض الشخصيات المتطرفة في تصدير الخطاب التكفيري والإقصائي والصدامي، وكذلك البحث فيما لو كان هناك شخصيات أخرى ضمن الجناح الشرعي لتحرير الشام، أكثر توازنا واعتدالا ومن الممكن إطلاق حوارات فكرية وتقاربية معها.

إشكالية البحث وأسئلته:

تتمثل إشكالية البحث، في تحديد المرجعية الشرعية لهيئة تحرير الشام على الصعيد المؤسساتي و«الفردي»، وعلى الصعيد المحلي والعابر للحدود الجغرافية والزمانية، والبحث في أدائها وأدوارها وتأثيرها، وتفكيك خطاباتها وتحديد الملامح المنهجية والفكرية لأبرز الشخصيات المؤثرة في تحرير الشام على الصعيد الشرعي.

ويتفرع عن هذه الإشكالية جملة من الأسئلة أهمها:

١ ـ ما هي المرجعية الشرعية المؤسسية لتحرير الشام؟

٢ ـ ما هو دور المجلس الشرعي لتحرير الشام والمجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة وما هو تأثيرهم على سياسات تحرير الشام؟

٣ ـ ما هو مدى تأثير مرجعيات تنظيم القاعدة على هيئة تحرير الشام؟ وما هي أبرز المرجعيات المؤثرة فيها بحال وجدت؟

٤ ـ ما هي أبرز اتجاهات المرجعيات الشرعية المحلية لتحرير الشام وماهي أدوارها وأهم مواقفها وما هي ملامح منهجها وهويتها الفكرية؟

فرضية البحث:

يشكل المجلس الشرعي لهيئة تحرير الشام والمعروف بـ «اللجنة الشرعية» المرجعية الشرعية المؤسساتية العليا لتحرير الشام، في رسم سياساتها الداخلية والخارجية، أو «شرعنتها»، في حين يقتصر دور «المجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة» المرتبط بتحرير الشام على تقديم الفتاوى الفقهية، وتتمايز المرجعيات

الشرعية ـ المحلية ـ عن بعضها البعض في كثير من المواقف والمسائل، ما قد يشكل مدخلا ـ محدودا ـ لاختراق التنظيم فكريا ضمن قضايا محددة.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على مناهج متعددة في دراسة الإشكالية السابقة، وأبرزها المنهج الوصفي التحليلي، حيث يعمل الباحث على تحديد المرجعية الشرعية لتحرير الشام ووصفها وصفا دقيقاً، حتى يتمكن من إعطاء التفسير والنتائج المناسبة عن إشكالية البحث.

حدود البحث:

أ ـ الحدود الزمانية:

تنحصر الحدود الزمانية للبحث بالفترة الممتدة من انطلاق الثورة السورية عام ٢٠١١ والتي تمثل نقطة تشكل المرجعية الشرعية لجبهة النصرة التي تحولت لاحقا إلى تحرير الشام وحتى منتصف العام ٢٠٢١ وهو لحظة إعداد الدراسة، إن تركيز البحث الأكبر ينحصر في الفترة الممتدة من بدايات العام ٢٠١٧ وهي لحظة الإعلان عن تشكل هيئة تحرير الشام، وحتى لحظة إعداد هذه الدراسة.

ب ـ الحدود المكانية:

يركز البحث على تأثير المرجعيات الشرعية ضمن الجغرافية السورية.

***

الفصل الأول
نشأة «هيئة تحرير الشام»
وتبلور مرجعيتها الشرعية

١ ـ نشأة هيئة تحرير الشام

٢ ـ تبلور المرجعية الشرعية

* * *

المبحث الأول
نشأة هيئة تحرير الشام

المطلب الأول: تشكيل جبهة النصرة لأهل الشام

بدأت جبهة النصرة توجد على الأرض السوريّة بعد أشهر من انطلاق الأعمال المسلّحة للثورة السوريّة، في نهاية العام ٢٠١١م، من خلال بعض العمليّات العسكريّة على المراكز الأمنيّة، ومن ثمَّ توسّعت عمليّاتها لا سيّما في دخول مدينة حلب وريف دير الزور، ومن ثمَّ تحوّلت إلى قوّة رئيسيّة على مستوى الثورة السوريّة، ومرّت بمراحل قوّة وضعف، وتحالف وصراعات عديدة.

أسّس جبهة النصرة شخص يدعى أبا محمد الجولانيّ يقال إنّه من مواليد سوريّة، كان يدرس في مدينة دمشق، ثمَّ التحق بـتنظيم الدولة في العراق، وهناك تعرّف على أبي بكر البغداديّ زعيم تنظيم الدولة، الذي عيّنه قائداً لعمليّات التنظيم في محافظة نينوى / ١/ ، وبعدما انطلقت الثورة السوريّة، دخل الجولانيّ إلى سوريّة، وعقد عدّة اجتماعات في ريف دمشق، وإدلب، وحلب، ودير الزور، والتقى عدّة شخصيّات من تنظيم القاعدة، وقام بتشكيل جبهة النصرة / ٢/ التي أعلن عنها في ٢٠١٢م، وبقيت جبهة النصرة وحتّى انفصال دولة العراق والشام عنها، تسير ضمن الخطوط الثوريّة الوطنيّة بالمجمل، ولم تفرض نفسها وصيّاً، أو شرطيّاً على الأرض، وحظيت بحاضنة شعبيّة، دفعت العديد من أفراد الشعب السوريّ أن يطلق حملة تنديد بالولايات المتّحدة الأمريكيّة، عندما قامت بتصنيف جبهة النصرة على قائمة المنظّمات الإرهابيّة، من حيث منظورها، لكنّ هذا لم يكن

مستغرقاً جميع القطاعات والأمكنة، والتي مارست فيها جبهة النصرة الكثير من السلوكيّات المستفزّة.

ثم بدأ العدّ العكسيّ بداية من انفصال تنظيم الدولة، واستيلائها على المنطقة الشرقيّة، وخروج النصرة منها، حتّى وصل الاصطدام بكتائب الجيش الحرّ، ووقوع حوادث مؤلمة.

وبدأت مع إعلان أبي محمد الجولاني في شريط مسرّب للإعلام عن نيّته في إقامة إمارة إسلاميّة على أرض الشام، وتطبيق الشريعة على حدّ وصفه، وعلى إثرها انسحبت جبهة النصرة من الهيئات الشرعيّة في حلب، وإدلب، مؤسّسةً لنفسها ما سمّته بـ دور القضاء بخاصّة في إدلب، وتميّزت هذه المرحلة بما يلي:

١ ـ ظهور الاختلافات بين أجنحة النصرة وتيّاراتها، من متشدّد ومعتدل ومحافظ.

٢ ـ السياسة الإقصائيّة، والوصائيّة لدى جبهة النصرة، وفرض نفسها كشرطيّ على غيرها من الفصائل الثوريّة، والحاضنة الشعبيّة، في المناطق المحرّرة.

٣ ـ الصدام الواسع مع عدّة كتائب ثوريّة، حيث قامت بتفكيكها، مثل جبهة ثوّار سوريّة، وحركة حزم، وألوية الأنصار، واللواء السابع، وأخيراً وليس آخراً هجومها على مقرّات الفرقة ١٣ في معرّة النعمان وغيرها.

٤ ـ التفرّد بالجانب القضائيّ من دون الفصائل الأخرى، ومحاولة الهيمنة على القرار العسكريّ، عن طريق استثمار تحالف جيش الفتح في إدلب، وغرفة عمليّات أنصار الشريعة في حلب.

٥ ـ خروج المظاهرات الرافضة لوجود النصرة وسياساتها القضائيّة والأمنيّة، التي بلغت ذروتها في معرّة النعمان، حيث طردت منها جبهة النصرة شعبيّاً بالتظاهر.

المطلب الثاني: التحول إلى «جبهة فتح الشام»

بعد ضغط داخل جبهة النصرة، متزامناً مع ضغط شعبيّ عارم، لفكّ الارتباط بالقاعدة، خرج أبو محمد الجولاني وأبو الفرج المصري وعبد الرحيم عطون الشامي في بيان مصور في تموز/ يوليو من العام ٢٠١٦، أعلنوا فيه إلغاء العمل باسم جبهة النصرة، وتشكيل جسم جديد باسم: فتح الشام، وأنّه لا يتبع لأيّ تنظيم في الخارج، ورحّب بهذه الخطوة على المستوى الشعبيّ، والثوريّ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً بسبب استمرار فتح الشام على نهج التغلّب واقصاء الفصائل الأخرى، ولا سيّما عمليّات السطو، وتفكيك الكتائب، التي لم يكن آخرها هجومها على بعض الكتائب داخل حلب المحاصرة، أدّت مع أسباب أخرى إلى سقوط مدينة حلب، وخروجها من الحسابات الثوريّة، وأدّى ذلك إلى مظاهرات شعبيّة داعية للاندماج بين الفصائل.

المطلب الثالث: الإعلان عن تشكيل «هيئة تحرير الشام»

بعد المظاهرات الشعبيّة الضاغطة على الفصائل لتنظيم صفوفها، وإنهاء حال التمزق، عقدت عدّة اجتماعات لبحث الاندماجات الفصائليّة، ولكنّها لم ترقَ للمستوى المطلوب من المسؤوليّة، ممّا أدّى لاستقطاب حادّ في الساحة، بين حركة أحرار الشام وفصائل الجيش الحرّ من جهة، وبين فتح الشام، ومعها بعض الفصائل من جهة أخرى، وتخلّلها قيام: فتح الشام بتفكيك وضرب بعض الكتائب

الثوريّة، مثل جيش المجاهدين في حلب، وصقور الشام في إدلب، ثمَّ قامت فتح الشام على إثر ذلك بإعلان تشكيل هيئة تحرير الشام في كانون الثاني/ يناير من العام ٢٠١٧، وضمّت لواء الحقّ في إدلب، وحركة نور الدين الزنكي في ريف حلب، وبعض الفصائل الأخرى، ولكنّها استمرّت في سياسات التغوّل، والتغلّب على شركاء الثورة، حتّى تاريخ كتابة هذه السطور[١].

❊❊❊

(١) للمزيد حول تحولات تحرير الشام، ينظر: المقال التحليلي «الجولاني، من رحم «داعش» إلى «قائد ثوري شعبي»؟»، مركز الحوار السوري، على الرابط:

https://shorturl.at/efpHS

هارون ي زيلين، من الجهاد العالمي إلى النظام المحلي: «هيئة تحرير الشام» تبني أشكالاً مختلفة من الشرعية، معهد واشنطن، على الرابط:

https://shorturl.at/fgq79

المبحث الثاني
تبلور المرجعية الشرعية لهيئة تحرير الشام

المطلب الأول:
الانفصال عن «تنظيم القاعدة» وبروز دور «المرجعيات المحلية»

مع إعلان جبهة النصرة فك ارتباطها بتنظيم القاعدة في العام ٢٠١٦، تعزز دور المرجعيات الشرعية المحلية، التي أخذت في بعض الأحيان بفتح سجلات مع منظري وقيادات تنظيم القاعدة، وكتابة الرسائل والردود عليها، ونقد منهجها في بعض الأحيان، وبرزت أسماء عديدة مثل عبد الرحيم عطون رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، ومظهر الويس القاضي في التنظيم وعضو مجلس الإفتاء، وعبد الرزاق المهدي، الذي استقال من هيئة تحرير الشام، كما برز دور لبعض المرجعيات الأجنبية التي دخلت سوريا مثل أبو اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري أيضا، وعبد الله المحيسني سعودي الجنسية، وغيرهم، وقد أعلن بعضهم استقالته من تحرير الشام، لأسباب مختلفة، في حين بقي الآخرون ضمن صفوف التنظيم، وفي الفصل الثاني سيتناول الباحث أربع مرجعيات محلية بالدراسة ويسعى لتفكيك خطاباتهم وتحليل مواقفهم وتبيينها لفهم دور وأثر تلك المرجعيات.

المطلب الثاني:
المؤسسات الشرعية المرجعية لتحرير الشام ودورها

شكل «المجلس الشرعي لتحرير الشام»، وكذلك «المجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة» أهم مؤسستين شرعيتين لعبتا دوراً مرجعياً لتحرير الشام، بما يتعلق بالفتاوى والأحكام المختلفة وشرعنة السياسات التي تتخذها تحرير الشام.

أ ـ المجلس الشرعي لتحرير الشام:

ويُعرفُ «المجلس الشرعي لتحرير الشام» باسم «اللجنة الشرعية»

١ ـ يُعدَّ عبد الرحيم عطون ـ الذي ستتناوله الورقة بشكل مفصل في المبحث الثاني والمعروف بأبي عبد الله الشامي ـ رئيس المجلس/ اللجنة، التي تضم أيضاً

٢ ـ مظهر الويس.

٣ ـ ومصطفى حمدان المعروف بأبي الحارث الزبداني.

٤ ـ وكذلك ميسر علي موسى عبد الله الجبوري المعروف بأبي ماريا القحطاني.

٥ ـ أبو الحارث المصري

جدول بأسماء المجلس الشرعي لهيئة تحرير الشام

الرقم	الاسم	الجنسية	الاتجاه	قبل تأسيس الهيئة
١	عبد الرحيم عطون	سوري	سلفي جهادي	جبهة النصرة
٢	أبو ماريا القحطاني	عراقي	سلفي جهادي متحول	جبهة النصرة
٣	مصطفى حمدان	سوري	سلفي	مستقل
٤	مظهر الويس	سوري	سلفي جهادي	جبهة النصرة م
٥	أبو الحارث المصري	مصري	سلفي جهادي	مستقل
المنشقون عن المجلس				
٦	عبد الرزاق المهدي	سوري	سلفي	مستقل
٧	محمد أبو الصادق	سوري	سلفي جهادي	أحرار الشام
٨	عمر رمضان	سوري	تقليدي	نور الدين الزنكي
٩	عبد الله المحيسني	سعودي	سلفي	مستقل

وذلك وفق المعلومات التي حصل عليها الباحث من شرعيين سابقين في التنظيم، وبحسب المقابلات التي أجراها الباحث؛ فإن المجلس الشرعي أو اللجنة الشرعية كان لها دور كبير في رسم سياسات التنظيم قبل الإعلان عن تشكيل تحرير الشام في التحشيد للفكرة وفي الأشهر الأولى من تشكيلها، حيث كانت تستشار في معظم سياسات التنظيم سواء الخارجية أو الداخلية المتعلقة بتعاملها مع الفصائل الأخرى، وبدا ذلك واضحا من خلال مقطع الإعلان عن انفصال جبهة النصرة عن تنظيم القاعدة وإعلان تشكيل جبهة فتح الشام، والذي ظهر فيه عطون رئيس المجلس/ اللجنة الشرعية على يمين الجولاني، إلا أن دور المجلس/ اللجنة قد تراجع بشكل واضح مع تشكيل حكومة الإنقاذ المرتبطة بتحرير الشام في بداية تشرين الثاني/ نوفمبر من العام ٢٠١٧ وسط سعي تحرير الشام للتحول من بنية التنظيم/ الجماعة، إلى بناء المؤسسات الحكومية التي تتمتع بقدر من الاستقلالية ـ ولو الشكلية ـ عن تحرير الشام، ولا تحتاج بالضرورة الرجوع للمجلس/ اللجنة الشرعية في جميع سياساتها، وهو ما بدا واضحا من خلال تشكيل المجلس الأعلى للإفتاء الذي تستعرضه الورقة في الفقرة التالية.

وفي هذا السياق من الممكن تقسيم مراحل تأثير المرجعية الشرعية على القيادة العسكرية في تحرير الشام وتحولاتها السابقة إلى أربع مراحل:

المرحلة الأولى: هي مرحلة سطوة المرجعية الشرعية على القرار السياسي والعسكري في التنظيم، وهي الفترة الممتدة منذ تشكيل جبهة النصرة حتى الانشقاق عن تنظيم الدولة وما رافقها من سجالات شرعية ودور كبير للمرجعية الشرعية وهنا كان الشرعي العام لتحرير الشام العراقي ميسر الجبوي «أبو ماريا

القحطاني وكانت النصرة تعتمد في إدارتها على اللامركزية حيث يتمتع أمراء القواطع بصلاحيات واسعة.

المرحلة الثانية: مرحلة التوازن بين القيادتين الشرعية والعسكرية، والتي جاءت مع تعيين الأردني سامي العريدي شرعيًّا عاما بضغط من المقدسي على قيادة النصرة والتي اتسمت بالتأسيس لمرحلة قتال الفصائل والالتصاق بفكر تنظيم القاعدة.

المرحلة الثالثة: وهي سطوة القيادة العسكرية على الجهاز الشرعي بشكل شبه كامل، مع إقصاء/ انشقاق قيادات وشرعيي القاعدة عن التنظيم وذلك في الفترة الممتدة من تشكيل جبهة فتح الشام إلى ما بعد تشكيل هيئة تحرير الشام والاعتماد على شخصية سورية محلية هو عبد الرحيم عطون الذي ساعد الجولاني بقيادة تحولات مهمة جداً أهمها فك الارتباط بتنظيم القاعدة.

المرحلة الرابعة: مع تشكيل تحرير الشام اعتمد التنظيم على مجلس عسكري بدلاً من الشرعي العام وتحول دور المجلس الشرعي في هيئة تحرير الشام إلى دور ثانوي مقتصر على تبرير السياسات العامة التي ترسمها قيادة تحرير الشام متمثلة بأبي محمد الجولاني قائد التنظيم، ولتتحول المرجعية الشرعية فيها إلى «مرجعية صورية» مهمتها الرئيسة «شرعنة» ممارسات الجناح العسكري، والتحركات السياسية التي تنتهجها تحرير الشام، وتبريرها شرعيًّا، مع الإشارة هنا لتنامي الخلافات والصدامات الداخلية التي تبدي هشاشة المرجعية الشرعية لتحرير الشام وعجزها عن تحقيق تأثير حقيقي في سياسات التنظيم، وهو ما سيظهر لاحقا ـ بشكل واضح ـ من خلال جملة من الشواهد التي يستعرضها.

ب ـ المجلس الأعلى للإفتاء:

في محاولة لإظهار استقلال حكومة الإنقاذ والمؤسسات المدنية العاملة في المنطقة، تمت الدعوة إلى «مؤتمر عام للثورة السورية» والذي عقد في شهر نيسان/ إبريل من العام ٢٠١٩ في قاعة المؤتمرات بمعبر باب الهوى، ليحضر المؤتمر مجموعة من التكتلات العسكرية والسياسية والشرعية والعلمية المقربة من تحرير الشام، ويعلن البيان الختامي للمؤتمر عن ضرورة تشكيل مرجعية شرعية للمناطق المحررة بحيث تكون الشريعة الإسلامية مصدره الوحيد، إضافة لدعوته لتشكيل مجلس عسكري موحد[١]، ليعقب ذلك الإعلان عن قائمة أعضاء المجلس الأعلى للإفتاء في الداخل السوري المحرر، والتي ضمت[٢]:

جدول أسماء أعضاء مجلس الإفتاء في حكومة الإنقاذ

الرقم	الاسم	الاتجاه الفكري	التبعية الفصائلية	المحافظة
١	أنس عيروط	تقليدي	مستقل	طرطوس
٢	بسام صهيوني	تقليدي	مستقل	طرطوس
٣	إبراهيم شاشو	سلفي	مستقل	حلب
٤	مظهر الويس	سلفي جهادي	تحرير الشام	دير الزور
٥	عبد الرحيم عطون	سلفي جهادي	تحرير الشام	إدلب
٦	مؤيد سحاري	سلفي جهادي	تحرير الشام	إدلب
٧	مصطفى حمدان	سلفي	مستقل	ريف دمشق

(١) ينظر: المؤتمر العام للثورة السورية وتطلعات الشعب السوري، وكالة إباء، على الرابط: https://ebaa.news/news/2019/02/30324/

(٢) ينظر: الإعلان عن أعضاء المجلس الأعلى للإفتاء في الداخل السوري، وكالة إباء، على الرابط: https://ebaa.news/news/news-details/2019/04/38171/

ولفهم دور «المجلس الأعلى للإفتاء» يمكننا الوقوف على ثلاث ملاحظات أساسيتين:

الملاحظة الأولى: وجود ٣ أعضاء مشتركين بين المجلس الشرعي لتحرير الشام، والمجلس الأعلى للإفتاء وهم عبد الرحيم عطون، ومظهر الويس، ومصطفى حمدان، إضافة لكون الشخصيات الأخرى مقربة من تحرير الشام، وهو ما ينفي مزاعم استقلالية المجلس، ويؤكد كونه إحدى الواجهات الشرعية لتحرير الشام.

الملاحظة الثانية: أن عمل المجلس متركز على إصدار الفتاوى الفقهية، المتعلقة بالأمور الحياتية، ومسائل المعاملات وغيرها، ولا شأن له بالفتاوى السياسية، المتعلقة بسياسات تحرير الشام، والتي تعد من اختصاص المجلس/ اللجنة الشرعية لتحرير الشام.[1]

الملاحظة الثالثة: وهي أن ثلاثة من المجلس الشرعي ينتسبون للسلفية الجهادية، واثنان منهم سلفي علمي واثنان من المدرسة التقليدية واقتصر أعضاء المجلس على العنصر السوري المحلي واستبعاد كل الأجانب منه بعكس المجلس الشرعي لهيئة تحرير الشام.

***

(١) بحسب تتبع العديد من الفتاوى التي أصدرها المجلس (حول وباء كورونا ـ التجارة الإلكترونية ـ مقدار زكاة الفطر...).

الفصل الثاني
قراءة في أدوار أربع نماذج
من «المرجعيات الشرعية» لهيئة تحرير الشام

مرجعيات لازالت داخل هيئة تحرير الشام

١ ـ عبد الرحيم عطون

٢ ـ مظهر الويس

مرجعيات مستقيلة من هيئة تحرير الشام

٣ ـ عبد الرزاق المهدي

٤ ـ عبد الله المحيسني

* * *

لعبت المرجعيات الشرعية المحلية في هيئة تحرير الشام دورا بارزا في الاسهام بتشكيل سياسات تحرير الشام على المستوى الداخلي والخارجي، وعلى وجه الخصوص في إقناع العناصر لتنفيذ السياسات التي ترسمها القيادة على المستوى المحلي، أو إقناعهم بما يتم انتهاجه على المستوى الخارجي. وفي هذا الصدد من الممكن تقسيم المرجعيات الشرعية لهيئة تحرير الشام إلى مرجعيات «عابرة» للحدود الزمانية أو المكانية، لعبت دورها خارج الجغرافية السورية ولم تنتمِ تنظيميا لتحرير الشام، إلا أنه كان لخطاباتها ورسائلها وفتاويها الأثر الكبير على منهج وسياسة تحرير الشام، وهي المرجعيات التي تمت الإشارة لها في الفصل السابق، ومرجعيات محلية لعبت دورها ضمن الجغرافيا السورية، وكانت ضمن صفوف تحرير الشام، والتي سيناقشها البحث في هذا الفصل.

المبحث الأول
أبرز المرجعيات الشرعية المنضوية في صفوف تحرير الشام

المطلب الأول: عبد الرحيم عطون

أولاً: النشأة والتعليم

ليس من السهل الوصول إلى معلومات تفصيلية عن نشأة قيادات التنظيمات الجهادية، التي غالبا ما يلفها الغموض والجهالة، بما فيهم عبد الرحيم عطون الذي كان يعرف بـ «أبي عبد الله الشامي»، إلا أن تلك التنظيمات قد تتقصد أحيانا إبراز بعض قياداتها وتقديمهم لوسائل الإعلام وللرأي العام المحلي أو الدولي لأسباب مختلفة، ليكون عبد الرحيم من بين تلك القيادات التي قدمتها جبهة النصرة للرأي العام، حيث كان الظهور الأول لعطون في الإصدار المسجل الذي بثته «جبهة النصرة» سابقا، للتعريف ببعض قياداتها بعنوان «ورثة المجد»، وذلك في آذار/ مارس من العام ٢٠١٦، ليعقب ذلك ظهوره في مقطع الإعلان عن تشكيل جبهة فتح الشام على يمين أبي محمد الجولاني، ويغدو من أهم الشخصيات في هيئة تحرير الشام لاحقا، والمعروفة بطبيعة الحال للسكان المحليين في منطقة تمركز التنظيم شمال غربي سوري.

ومن المعلومات المؤكدة حول عطون؛ أنه من مواليد قرية «طعوم» التي تتبع ناحية «بنش» الواقعة على بعد عدة كيلومترات شمال شرقي مركز محافظة إدلب، وهو الأخ الشقيق لـ «محمد خير عطون» الملقب بـ «أبي الخير طعوم»

أحد أبرز مؤسسي حركة «أحرار الشام» والذي كان من الشخصيات البارزة في الشمال الغربي لسوريا قبل أن يقتل في العام ٢٠١٤، مع الإشارة إلى أن والد عبد الرحيم عطون أيضا من الشخصيات المعروفة في المنطقة، وهو أحد «المشايخ» المعروفين فيها، ويدعى بـ «محمد عطون» وكانت قد انتشرت له تسجيلات صوتية يدين فيها سياسة تحرير الشام في الغلو والتكفير وسياستها العسكرية في عزوفها عن الدفاع عن المناطق المحررة، إضافة لإنكاره لما تصدره من أحكام تكفير تجاه الفصائل الأخرى، وبدا واضحا في تسجيلاته خلاف الكبير بينه وبين ابنه عبد الرحيم عطون[1].

ولا يوجد مصادر ـ سواء ميدانية أو إعلامية ـ تشير لتلقي عطون تعليما أكاديميا في أي من المجالات سواء التطبيقية أو الإنسانية بما فيها العلوم الشرعية، في حين أشارت بعض المصادر لتلقيه دروسا دينية في بدايات التزامه لدى أتباع الشيخ «محمد ناصر الدين الألباني» الذي يعد أبرز مرجعيات المدرسة السلفية العلمية الحديثة في سوريا.

ثانياً: موقعه في هيئة تحرير الشام

يعد عبد الرحيم عطون من أبرز شرعيي هيئة تحرير الشام في الوقت الراهن، فهو رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، الذي يعد أعلى جهة شرعية في هيئة تحرير الشام، وكان عطون قد ظهر على يمين أبي محمد الجولاني في المقطع المصور الذي أعلن فيه فك الارتباط بتنظيم القاعدة وتشكيل تنظيم جديد تحت مسمى «فتح الشام»

---

(١) رابط لإحدى الصوتيات التي تأكدت نسبها لوالد عبد الرحيم عطون:
https://t.me/c/1030028241/6726

في العام ٢٠١٧[١] حيث كان عطون عضوا في مجلس الشورى في «جبهة النصرة» وأبرز الشرعيين في اللجنة الشرعية حينها، ليصبح لاحقا «الشرعي العام» أو رئيس «المجلس الشرعي» لتحرير الشام، والمرجع الشرعي الأول فيها، وتصدر عنه العديد من المواقف والبيانات التي سنستعرضها في الفقرة التالية.

ثالثاً: مواقفه وأبرز ملامح هويته الفكرية

نستعرض تحت هذا العنوان أهم مواقف عبد الرحيم عطون التي يمكننا من خلالها استنتاج أبرز ملامح هويته الفكرية.

*** أبرز مواقفه:**

يمكن اختصار أهم مواقف عطون بالنقاط التالية:

١ ـ موقفه من تنظيم داعش:

اتخذ عبد الرحيم عطون موقفا صداميا من تنظيم داعش منذ تأسيسه، حيث انتقد عطون في كتابه «في ظلال دوحة الجهاد» تنظيم داعش انتقادا حادا، وتحدث تحت عنوان «تأسيس جبهة النصرة وأحداث الشام (من بداية الخلاف وحتى إعلان الدولة)» عن بداية الخلافات بين جبهة النصرة وأشار عطون لجلوسه مع البغدادي، لحل تلك الخلافات قائلا: «جلسنا إلى البغدادي جلسة طويلة دامت لثلاثة أيام من ١٠ إلى ١٣/ ٣/ ٢٠١٣ تم خلالها إعادة تشكيل مجلس الشورى وهيكلته من جديد

---

(١) ينظر: جبهة النصرة تفك ارتباطها بالقاعدة وفصائل ترحب، الجزيرة، على الرابط:
https://shorturl.at/BFGIP

كما تم حلحلة بعض المشاكل بحسب ما بدا لنا...»[1] إلا أنه يستدرك أن المشاكل استمرت بأخذ البيعات من قبل قيادات تنظيم الدولة للبغدادي بدل الجولاني، ما أدى لإرسال رسالة شكوى من الجولاني إلى زعيم تنظيم القاعدة «أيمن الظواهري» مضيفا «حين علم البغدادي والأنباري أننا أرسلنا رسالة الشكوى للشيخ الظواهري حفظه الله، خططوا لقطع الطريق على الجبهة» ناقلا قول البغدادي «إن جاء رد الشيخ الظواهري للجبهة، فسأقبل رؤوس أهل الشام وأحمل شوالاتي أي ـ أمتعتي ـ وأرجع إلى العراق» مستدركا أنه لما جاء الرد «تنكر لكل ذلك وصنع بأهل الشام من القبائح والجرائم ما يحتاج الحديث عنه لمجلدات».

ومما ذكره عطون في سياق ما أسماه الجرائم والقبائح «الأخذ بفتوى الظفر: باعتبار كل ما بيد الجبهة غنيمة للدولة، فمن ظفر بها بأي شكل من الغصب والسلب والنهب فله ذلك، إضافة إلى الأخذ **بفتوى قتل المصلحة**: التي أصلها لهم الأنباري دون فهم منه لأقوال أهل العلم ومناطاتها الصحيحة فراح يستشهد بقول العلماء الذين قالوا: «من لا يندفع شره إلا بالقتل يقتل» وينزلها على من خالفه من الفصائل، وعلى رأسها جبهة النصرة، كما قاموا بإطلاق العنان للغلاة... حيث فشا فيهم منهج الخوارج وغلب عليهم، وصار سمة عامة هم اصطبغوا به، حتى غدوا اليوم طائفة من طوائف الخوارج المعاصرين...»[2]

ليقوم عطون بتمثيل جبهة النصرة بعد دعوة الناطق باسم تنظيم داعش حينها

---

(١) عبد الرحيم عطون: مصدر سابق.

(٢) عبد الرحيم عطون: مصدر سابق.

«أبو محمد العدناني» إلى مباهلة بين التنظيمين[1] عرف بالمباهلة التي وقعت بينه كممثل للنصرة وبين أبو محمد العدناني من داعش.

٢ ـ موقفه من تنظيم القاعدة وفك ارتباط جبهة النصرة بها:

لا شك أن ظهور عطون على يمين الجولاني في مقطع الفيديو الذي أعلن خلاله الجولاني فك ارتباطه بتنظيم القاعدة يؤكد دعم عطون لتلك الخطوة، ويؤكد أيضا الرواية القائلة أن عطون كان أحد المحركين والدافعين الرئيسين لفك الارتباط، وهو ما ترسخ لاحقا في رده على الظواهري الذي اتهم عبر كلمة له نشرت في نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر من العام ٢٠١٧ بعنوان «فلنقاتلهم بنياناً مرصوصاً»؛ «هيئة تحرير الشام» وأميرها أبو محمد الجولاني، بـ«نكث العهد»، مشيرا أن ما فعله بعد فك الارتباط بـ«القاعدة» في العام ٢٠١٦، وتأسيس «جبهة فتح الشام» هو «إنشاء كيان جديد فقط زاد من الخلافات»[2]، ليأتي رد عطون على كلمة الظواهري، أن خطوة فتح الشام مهدت الجو لجولات اندماج جديدة بين الفصائل، وأن الجبهة لم تنقض البيعة ولا العهد، وسارت بشكل شرعي وتنظيمي،

---

(١) للاطلاع على دعوة العدناني للمباهلة ينظر: تنظيم الدولة بعد مباهلة العدناني، قناة موقع على بصيرة على اليوتيوب، على الرابط

https://www.youtube.com/watch?v=vhw2jLWf3_A

مع الإشارة هنا أنه لا توجد مقاطع للمباهلة إذ عادة ما يقوم اليوتيوب بحذف المقاطع التي تنتهك سياسة النشر الخاصة به.

(٢) ينظر: الظواهري يهاجم الجولاني: لم نقبل بفك الإرتباط، جريدة المدن، على الرابط:

https://shorturl.at/qvQX2

وأنهم لايتحملون ماحصل من إشكالات أهم أسبابها إشكالات تنظيمية في بنية التنظيم، وتأخر حسم القرارات بسبب انقطاع التواصل، ووجود أشخاص تشاغب وتشوش على أي قرار يتم أخذه وتشكك فيه وتطعن.

يضاف لذلك ـ بحسب عطون ـ موضوع تأخر وصول الرسائل وإجاباتها من أهم أسباب المشاكل، ولا يصلح في ساحة متسارعة الأحداث كساحة الشام أن يكون القرار معلقاً برسالة تحتاج شهوراً لتصل ويحتاج جوابها لشهور أخرى كذلك، ما لم يفوض قادة الساحة بما يرونه في صالح الجهاد وأهله.

أما ما تطرق له الظواهري في كلمته عن اعتقال النساء والمهاجرات والأطفال بين «عطون» أن من حقهم اعتقال من يسعى جاهدًا بالليل والنهار لشق الصف باسم القاعدة ويبث الشبه، ويطعن في الدين والمنهج، خصوصًا بعد أن تكررت منهم الطلبات للكف عن ممارسة هذا النوع من الطعن.[1]

ليعقب ذلك أيضا رسالة أخرى للظواهري في العام ٢٠١٩ هاجم خلالها بعنف «تحرير الشام»، واعتبرها «مجموعة عاقة»، واتهمها بالتنافس على السلطة والنفوذ والمعابر والسيطرة على القرى والبلدات بدل قتال النظام، وفرض المكوس والضرائب على الناس، والتهجم والتحريض على المجاهدين، والجلوس مع القتلة، والإذعان للاتفاقات المذلة، وحماية الجيش التركي العلماني، مشيرا إلى

---

(١) ينظر: كيف ردت هيئة تحرير الشام بلسان الشرعي العام «عبد الرحمن عطون» على كلمة الظواهري ...!؟، شبكة شام، على الرابط:

https://shorturl.at/aqvMW

أن «تحرير الشام» تمهد لنفسها للدخول في لعبة الديموقراطية العفنة، ليعقب ذلك أيضا رد آخر لعطون قال خلاله: «ليعلم الجميع وأولهم جماعة سابقاً، أن سلاح الهيئة خط أحمر، ولا نقبل المساس به من أي أحد، كائناً من كان، ومن يقترب من سلاحنا تحت أية حجة وتأول سيعامل كصائل على مال الجهاد، وكل من تسول له نفسه أخذ قطعة من هذا السلاح تحت أي دعوى سيلاحق ويحاسب ويقاضى».[1]

٣ ـ موقفه من فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى:

لعب عبد الرحيم عطون دورا بارزا في شرعنة قتال فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى في الشمال الغربي لسوريا، وغالبا ما كان يتولى إصدار البيانات المؤيدة لتلك الاقتتالات، أو الرد على المنكرين لسياسة تحرير الشام في هذا الصدد، ويشرح د. حذيفة عزام خلال شهادته المعنونة لله ثم للتاريخ، دور عطون في هجوم تحرير الشام على فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخيرة وأبرزها جبهة ثوار سوريا وتحرير الشام حينها، وكيف رفض استقبال د. حذيفة الذي كان يقوم على مساع الصلح آنذاك، ويتحدث عن مراوغته خلال المحاكم التي يصفها عزام بـ «الهزلية»، كما يشير عزام إلى أن عبد الرحيم عطون «قالها صراحة بأن ميثاق الشرف الثوري الذي أصدرته أحرار الشام «ميثاق كفري»، مشيرا إلى أن المدعو أبو فراس السوري، الذي أصدر مقالا بعنوان «النذير العريان بكفر الأحرار» كان قد عرض المقال على عطون ولاقى استحسانه وإعجابه،

---

(١) ينظر: اشتباك الجهاديين يضع «النصرة» في مرتبة داعش، جريدة المدن، على الرابط:

https://t.ly/Et12-

بحسب ما صرح السوري نفسه عندما لاقى بعض الانتقادات حول المقال».[١]

كما تشير بعض المصادر الداخلية من هيئة تحرير الشام أن عطون كان من أبرز مؤيدي قتال أحرار الشام وتفكيكهم، خلال المواجهات التي اندلعت منتصف العام ٢٠١٧، وأدت لانهيار كبير في صفوفها[٢].

من جهة أخرى فقد أصدر عطون بيانا حول قتال تحرير الشام لحركة نور الدين الزنكي التي كانت جزءا من تحرير الشام، بدايات العام ٢٠١٨، أشار خلاله إلى أن تحرير الشام تقاتل «الزنكي» بأحكام «قتال طائفة البغي»، وقد عممت هذا الحكم على كل القطاعات، مشيرا أن «كل من ينقل عنا غير هذا فهو مفتر علينا ما لم نقله». وأكد أن «الفتوى الملزمة لهم في هذا الباب هي فتوى مجلس الفتوى في الهيئة باعتبار الزنكي طائفة صيال وبغي ممتنعة تطبق في حقها أحكام قتال طائفة البغاة»[٣]، في حين ينقل د. أيمن هاروش شهادة يقول فيه إنّه سمع تصريح «عبد الرحيم عطّون» يقول بردّة «جمال معروف» و«حزم»[٤]، وأن قتالهم لم يكن قتال بغي وصيال وإنما «قتال ردة».

---

(١) د. حذيفة عبد الله عزام، لله ثم للتاريخ .. شهادة حذيفة عزام على حوادث جبهة النصرة، موقع على بصيرة، على الرابط:
https://alabasirah.com/node/494

(٢) ينظر: تياران منقسمان داخل «تحرير الشام».. نقاتل أم لا، عنب بلدي، على الرابط:
https://www.enabbaladi.net/archives/162389#ixzz6yDR4eIUu

(٣) ينظر: «تحرير الشام» تؤكد إصرارها على قتال «الزنكي» في إدلب، عنب بلدي، على الرابط:
https://www.enabbaladi.net/archives/208433#ixzz6yDSeW7hg

(٤) حقيقة جبهة النصرة أو هيئة تحرير الشام، موقع على بصيرة،
https://alabasirah.com/node/684

أما بالنسبة للفصائل الإسلامية التي كانت قريبة من تنظيم جبهة النصرة بتحولاته المختلفة لم يختلف موقف عطون عن موقفه من فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية المعتدلة، ففي منتصف عام ٢٠٢٠ اندلعت اشتباكات عنيفة ببين هيئة تحرير الشام، وغرفة عمليات «فاثبتوا» التي تضم ٥ فصائل إسلامية أبرزها تنظيم حراس الدين[١] الذي يعد بمثابة الفرع الجديد لتنظيم القاعدة بعد فك جبهة النصرة ارتباطها بالقاعدة، وذلك على خلفية اعتقال هيئة تحرير الشام أحد أبرز قياديها المدعو «أبو مالك التلي» تصدر عطون للرد على تنظيم حراس الدين وغرفة عمليات فاثبتوا، وعلى زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري الذي أصدر كلمة ينكر خلالها ممارسة تحرير الشام ويقف فيها إلى جانب حراس الدين، وجاء في بيان مشترك بين عطون ومظهر الويس، أن القيادة العامة لتنظيم «القاعدة» قامت بتبني رواية فرعه في سوريا، أي تنظيم «حراس الدين»، خلال الاشتباكات الأخيرة بين الطرفين في محافظة إدلب، مشيرا أنه «يجب على الحراس أن يلتزموا بما اتفق عليه دون تملص وتغطية من القيادة العامة، لكنهم خالفوا عدة مرات بنود الاتفاق عبر الخطف والاحتطاب» بحسب عطون، الذي نفى دعوة تحرير الشام يومًا أنها «جماعة المسلمين» التي لها حقوق «الإمامة»، مستدركا أنه «لا يحق لأي جماعة أن تخل بالنظام القائم منذ أعوام ولا يحق للقيادة العامة في تنظيم القاعدة ولا غيرها أن تتملص من تعهدات «الحراس» أو الإخلال بالنظام العام»، مؤكدا أن «حراس الدين» «هم من بدؤوا بالاعتداء، عبر قطع الطرق ونشر الحواجز وتفتيش السيارات والتضييق بتفتيش الهواتف الشخصية،

---

(١) «فاثبتوا» تشكيل غرفة عمليات جديدة في إدلب، بلدي، على الرابط:

https://t.ly/VzGUI

والأولى بالقيادة العامة لتنظيم القاعدة تأطير الحراس والأخذ على أيديهم، منوها أن شأن «أبو صلاح الأوزبكي» و«أبو مالك التلي» اللذين اعتقلتهم تحرير الشام هو شأن داخلي ولا علاقة للحراس ولا لغيرهم به[1]. والواضح من خلال ذلك أن عطون كان يمثل المفتي الشرعي الذي يشرعن قتال تلك الفصائل، ويتولى تبرير قتال تحرير الشام لها والرد على كل من ينكر ذلك.

٤ ـ موقفه من المرجعيات الشرعية المحلية للثورة السورية:

أصدر عطون في بداية العام ٢٠١٨ بيانا هاجم فيه المجلس الإسلامي السوري الذي يعد أبرز مرجعية شرعية محلية للثورة السورية، وقال عطون في البيان الذي حصل الباحث على نسخة منه «صمتنا أكثر من مرة على بياناتكم أملاً في التروي الذي كنا ننتظره منكم في القادمات كما أكد لنا بعض المقربين منكم» مستدركا: «لكنكم في بيانكم الأخير بتاريخ ٢٦ ربيع الثاني ١٤٣٩ هـ الموافق لـ ١٣ كانون الثاني ٢٠١٨ م عدتم لسابق عهدكم من إطلاق الأحكام الخاطئة والاتهامات الباطلة المبنية على تصورات مغلوطة» متهما المجلس ببعده عن التأصيل العلمي المنضبط والانفعال والتحيز بقوله «إذا كان البعض يطلق أحياناً مثل تلك الأحكام على سبيل السباب والانفعال لا على سبيل التأصيل العلمي المنضبط فغير مقبول منكم بوصفكم مشايخ أن تقعوا في ذلك، وقد أضحى واضحاً أن مجلسكم يتبع سياسة الكيل بمكيالين».

---

(١) ينظر: لا شأن لأحد بـ«الأوزبكي» و«التلي».. قياديو «تحرير الشام» يردون على تنظيم «القاعدة»، عنب بلدي، على الرابط:

https://www.enabbaladi.net/archives/396408#ixzz6yDM32a6k

٥ ـ موقفه من المرجعيات الشرعية لتنظيم القاعدة

في ظل الصدامات التي حصلت بين تحرير الشام وحراس الدين، نشر الشيخ عاصم البرقاوي المعروف بأبي محمد المقدسي، والذي يعد أحد أهم مرجعيات تنظيم القاعدة، منشورا ينتقد فيه تحرير الشام وجهازها الأمني على وجه التحديد، وتعامله مع جهاز الاستخبارات التركي، وممارسته للظلم في المنطقة مفتيا بحرمة الانضمام له بالقول إنه «لا يجوز لمسلم والحال كذلك أن يعمل في هذا الجهاز الخبيث (الجهاز الأمني للهيئة)، الذي يعمل سنداً وعوناً وذنباً لاستخبارات دولة علمانية عضو في حلف الناتو»، مردفاً «مَن أعان الاستخبارات التركية على المسلمين، فقد ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام المعروفة، وهو (مظاهرة المشركين وإعانتهم على المسلمين)».

ليأتي الرد من قبل المجلس الشرعي الذي يرأسه عطون بأنّ «أبا محمد المقدسي» مِن الشخصيات التي كان لها «أثر سيئ» في سوريا، معلنا تبرؤ تحرير الشام منه وفق البيان الذي جاء فيه «نحن منه ومِن منهجه براء، فليس منا ولسنا منه ولا على طريقته، ونفرّق بين منهجه البدعي في التوحيد، وبين منهج التوحيد الذي تلقيناه عن أهل العلم سلفاً وخلفاً وإننا نبرأ إلى الله مِن منهج البرقاوي وسلوكه».

كما استعرض البيان ملاحظات تحرير الشام على منهج «المقدسي» والتي تمثلت ـ وفق ما جاء في البيان (إطلاقاته عبارات «التكفير والعمالة والخيانة»، انحيازه الظاهر لـ«جماعة الخوارج» (في إشارة إلى تنظيم «الدولة»)، إثارة للفتن في «الساحات الجهادية» سواء في أفغانستان أو العراق، الفجور في الخصومة وعدم

مراعاة فقه الخلاف ولا أدبه)، فيما لا يمكن تحديد موقف عطون من بقية مرجعيات «جماعات الغلو المسلحة»، إلا أن الواضح من خلال رده الذي استعرضته الورقة سابقا على الظواهري ورده على أبي محمد المقدسي، أن عطون يرى نفسه بمرتبة تؤهله لنسف تلك المرجعيات وانتقادها بل وإسقاطها عند الضرورة.

٦ ـ موقفه من الدول الفاعلة في الملف السوري:

على الرغم من الاتهامات السابقة لفصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية بالردة لاعتبارات تتعلق بعلاقاتها الدولية، وتكفيرها تحت يافطة «موالاة الكفار» والتعامل معهم، بدا واضحا محاولة تحرير الشام إعادة تقديم نفسها للمجتمع الدولي كفصيل معتدل، وذلك من خلال عدة تصريحات ومقابلات مع صحف أجنبية، كان آخرها مقابلة أبو محمد الجولاني مع الصحفي الأمريكي مارتن سميث، والتي بعث خلالها رسائل تطمينية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا بأن الفصيل الذي يقوده لا يشكل تهديداً على تلك الدول، وأن وجوده يحقق مصالحها[1]، بدا واضحا أن عطون هو أحد ركائز تلك المقاربة الجديدة وأحد عرابيها ومقدمي التبريرات الشرعية، فقد ظهر اسمه هو الآخر في تصريحات أدلى بها لصحيفة «لو تيمبس» السويسرية أشار خلالها أن هيئة تحرير الشام «لا تشكّل خطراً على الغرب»، وأن المنطقة التي تسيطر عليها تحرير الشام بحاجة للمساعدات الدولية.

---

(١) «الجولاني» يبعث رسائل تطمين للولايات المتحدة وأوروبا ويتحدث عن مصالح «مشتركة» معها، نداء بوست، على الرابط:

https://t.ly/PYB1-

وأضاف عطون «لست بصدد أن أقدّم صورة أجمل أو أكثر سوداوية عن أنفسنا، نحن نظهر الواقع فحسب، الناس هنا ليسوا مثلما كان عليه الناس في الرقة في فترة خلافة تنظيم الدولة».

مشيرا أن تحرير الشام هي «آخر من يقاتل نظام الأسد وحلفاءه لكنها لن تتمكن من القضاء عليه دون مساعدة».[1]

*** أبرز ملامح هويته الفكرية:**

يمكن اختصار ملامح الهوية الفكرية لعطون بالنقاط التالية:

١ ـ الغلو في التكفير غير المنضبط للأعيان والجماعات؛ حيث بدا ذلك واضحا من خلال تأييده للمقال المعنون بـ «النذير العريان الذي وصف الأحرار برسل المرتدين» لكاتبه أبو فراس السوري وكذلك وصفه ميثاق «الشرف الثوري» بـ «الميثاق الكفري» وتصريحه بردّة «جمال معروف» و«حزم».

٢ ـ الاستهانة بالدماء المعصومة، والذي بدا واضحا من خلال دعواته لقتال الفصائل الأخرى، سواء جبهة ثوار سوريا وحركة أحرار الشام وحركة نور الدين زنكي وغيرها من الفصائل، والتي خلفت مئات القتلى، ولعبت كلماته وفتاواه دورا كبيرا فيها تحريضا وتبريرا.

٣ ـ تبني سياسة التغلب، وهو مرتبط بطبيعة الحال بفتاواه بقتال

---

(١) شرعي تحرير الشام لصحيفة سويسرية: لا نشكل خطراً ونحتاج لدعم دولي، تلفزيون سوريا، على الرابط:

https://t.ly/q_2q4

الجماعـات والفصائـل الأخـرى وفـق ذرائـع مختلفـة، وتصريحاتـه الاسـتعلائية تجـاه الفصائـل الأخـرى، والتي مهـدت الطريـق أمام تحريـر الشـام للتغلب على الفصائـل الأخـرى وتفكيكهـا، أو إخراجهـا مـن المنطقـة، والسـيطرة شـبه الكلية علـى الشـمال الغربـي لسـوريا.

٤ ـ البراغماتية، والتي ظهرت واضحة خلال التقلبات التي مر بها عطون، من الانقلاب على تنظيم الدولة ثم تنظيم القاعدة، ثم الانقلاب على نفسه وطروحاته القديمة، المتعلقة بالممارسات السياسية والعلاقات الدولية للفصائل، والتي كفر بسببها أحرار الشام وغيرها، قبل أن يتبنى خطابا أكثر استغراقا في التودد للمجتمع الدولي، من خلال تقديم التبريرات للعلاقات مع تركيا، ومحاولة تحسين صورة تحرير الشام أمام الصحافة الغربية.

٥ ـ السـطحية، إذ يبـدو واضحـا أن عطون لم يحظَ بتعلم شـرعي كاف سـواء علـى المسـتوى الأكاديمـي، أو «المشـيخي»، وقـد بدا ذلـك واضحا فـي خطاباته وبياناتـه، التـي افتقـدت للتأصيـل العلمـي، وكانـت فـي معظمهـا ردودا علـى المنتقديـن والخصـوم بعبـارات منمقـة واسـتعارات لغويـة، وسـرد للوقائـع وفق روايتـه، سـواء فـي ردوده علـى الظواهـري أو على المجلس الإسـلامي السـوري أو علـى منتقـدي قتال تحريـر الشـام، دون الخوض بتفاصيل المسـائل الشـرعية، وهـو مـا أكـد علـى الضحالـة العلميـة لعطـون وتركـز دوره فـي تقديـم التبريرات لممارسـات تحرير الشـام.

المطلب الثاني: مظهر الويس

أولاً: النشأة والتعليم

مظهر الويس من مواليد مدينة العشارة ١٩٨٠م التابعة لمنطقة الميادين جنوب شرقي محافظة دير الزور، نشأ في عائلة ملتزمة وأتمَّ الدراسة الثانوية فيها ليلتحق بكلية الطب البشري في جامعة دمشق، لاحقا سجل الويس في معهد الفتح الاسلامي قسم الفقه المقارن، وتخرج من كلية الطب والتحق باختصاص الداخلية في دمشق، وألف كتاباً بعنوان «دراسات فقهية في طب النسائية»، عرف بتأثره بكتابات الشيخ محمد قطب وسيد قطب، وعمل على نشرها مع الشيخ عمار التلاوي في كليتي الطب والشريعة.

تـمَّ اعتقالـه من جانب مشـفى المواسـاة، وتعـرض للتعذيب في فرع فلسـطين ٢٣٥، ثـم تم تحويله إلى سـجن صيدنايا فـي آذار/ مارس من العام ٢٠٠٨، ليشـهد الاسـتعصاءات الثلاثـة التـي جـرت في السـجن ومـن ثم حُكِـم ثماني سـنوات في محكمة أمـن الدولة.

وتـمَّ نقلـه فـي العـام ٢٠١١ إلـى سـجن ديـر الـزور المدنـي[١]، قبـل أن يتـم الإفـراج عنـه فـي العـام ٢٠١٣[٢].

---

(١) ينظر: رابطة العلماء السوريين، المعتقل الشيخ الدكتور مظهر الويس أبو عبد الرحمن، على الرابط: https://islamsyria.com/site/show_cvs/378

(٢) «هيئة تحرير الشام» تكشف اللثام عن أبرز شرعييها في سوريا (فيديو)، عنب بلدي، على الرابط: https://www.enabbaladi.net/archives/138685#ixzz6yEFqQhvP

ثانياً: موقعه في هيئة تحرير الشام

انضم الويس فور الإفراج عنه إلى جبهة النصرة، ليصبح شرعيًّا بارزا فيها، ويعمل في قطاع الجنوب، في محافظة درعا قبل أن ينتقل مع مجموعة من القيادات البارزة في نهاية عام ٢٠١٥ إلى إدلب، في عملية لفها الغموض، إذ إن المناطق الواصلة بين المحافظتين كانت جميعها خاضعة لسيطرة نظام الأسد آنذاك، ليصبح الويس بعد ذلك أحد المقربين من زعيم تنظيم جبهة النصرة أبو محمد الجولاني، وينشط في المنطقة الشرقية وفي محافظة دير الزور قبل سقوطها ويتم تعيينه رئيسا للهيئة الشرعية فيها وعضو «مجلس شورى المجاهدين»، ويغدو أحد أبرز الشرعيين والممثلين لجبهة النصرة بتحولاتها المختلفة، في اللقاءات ومجالس القضاء وفي الخلافات التي نشبت بينها وبين الفصائل الأخرى، قبل أن يصبح أحد أعضاء المجلس الشرعي عقب الإعلان تشكيل تحرير الشام، وأحد أبرز المنظرين والمدافعين عن تحولاتها وممارساتها، ويتم تعينه في العام ٢٠١٧ رئيسا لمجلس القضاء التابع لهيئة تحرير الشام، وفي العام ٢٠١٩ تم الإعلان عن المجلس الأعلى للإفتاء في منطقة إدلب، والتابع لحكومة الإنقاذ المرتبطة بهيئة تحرير الشام ليضم المجلس في صفوفه مظهر الويس إلى جانب عطون وأعضاء آخرين[١].

ثالثا: أبرز مواقفه وملامح هويته الفكرية

يستعرض الباحث تحت هذا العنوان أهم مواقف مظهر الويس التي يمكن من خلالها استنتاج أبرز ملامح هويته الفكرية.

---

(١) الإعلان عن المجلس الأعلى للإفتاء في الداخل السوري، وكالة إباء، على الرابط:

https://ebaa.news/news/news_details/2019/04/38171/

*** أبرز مواقفه:**

١ ـ موقفه من تنظيم داعش:

في العام ٢٠١٤ نشر مظهر الويس بحثا مطولا من ٢٦٠ صفحة تحت عنوان «العلامات الفارقة في كشف دين المارقة» هاجم فيه منهج وممارسات تنظيم داعش، وانتقدها نقدا لاذعا، وأشار إلى أن تنظيم داعش قد «فاقت مظالمه كل الحدود، فقتلاهم بالآلاف، ومشردوهم بمئات الآلاف، فانتهكوا الحرمات واغتصبوا الأموال، تحت ما يسمى بـ«جباية الفيء وتوزيع العطايا»، ونهبت أموال الأمة واغتصبت خيراتها، وفرضوا الضرائب، وكفروا الناس طمعا بأموالهم وجردوا القرى والمناطق التي كانوا يسيطرون عليها» وأنهم «بالإضافة إلى انتهاكهم للحرمات فلم يقيموا الحدود على وجهها، وإنما غروا الناس ببعض العقوبات التي يطبقونها، والتي يسلم منها أتباعهم إلا من تمرد عليهم، فيتخلصوا منه بحجة إقامة الحدود».

وأشار إلى مغالاة التنظيم في تطبيق قاعدة «من لم يكفر الكافر»، وأنه أنصاره يعتبرونها أصلا مطردا مطلقا دون التفصيل المعروف، فتنطلق عندهم سلسلة التكفير للمخالف دون هوادة، فهم يكفرون بلا مكفر، ومن لا يستحق التكفير، ويستحلون قتل من لا يستحق القتل وغير ذلك من المسائل التي أثارها البحث، الذي حذر من خطر الغلو والخوارج، موضحا أن «الأصل الجامع للخوارج الحرورية هو الغلو في التكفير، والذي يتجلى بالتكفير بلا مكفر، وبالتالي تكفير المخالف لهم ومن هنا تبدأ سلسلة التكفير وصولا إلى الخروج على المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم». كما أشار الويس أن تنظيم داعش شابه «الخوارج الأوائل بالغلو في الإمامة فقالوا بالدار والإمام والهجرة واعتبروا زعيمهم هو أمير

المؤمنين الذي تجب بيعته على المسلمين» منوها أن هذا ديدن كل فرق الخوارج عبر التاريخ، كما أشار إلى أن الخوارج عبر التاريخ تميزوا «بالولع في سفك الدماء، وهذا ما تجلى واضحا في جماعة الدولة التي اشتهرت بعملياتها الانتحارية وطرقها الاستعراضية في القتل، وأفلامها الهوليودية في الصلب والتمثيل، وقالوا بقتل المخالف لهم من باب قتل المصلحة». كما نقل الويس إجماع المسلمين على قتال الخوارج، مشيرا إلى أن «الأمة أجمعت على وجوب قتال الخوارج إذا خرجوا على الناس، بل هو مرغب فيه في الشرع؛ لأنه ذب عن السنة ولم يأت الأمر بقتل طائفة قتل عاد إلا في الخوارج» مؤكدا أنه «من أوجب الواجبات اليوم في أرض الشام التصدي لهذه الجماعة المارقة»[1].

٢ ـ موقفه من تنظيم القاعدة وفك الارتباط معها:

كان الويس من التيار المؤيد لفك ارتباط جبهة النصرة عن تنظيم القاعدة، وظهر واضحا انتقاداته لقيادة القاعدة، حيث سبق وأشارت الورقة للبيان المشترك الذي أصدره الويس مع عطون والذي اتهما فيه القيادة العامة لتنظيم «القاعدة» بتبني رواية فرعه في سوريا، خلال إحدى جولات الاشتباك بين الطرفين، كما علق على إحدى كلامات الظواهري، بأن سلاح تحرير الشام «خط أحمر»، وهدد بقطع

---

(١) جميع روابط تحميل الكتاب المنشورة معطلة ويمطن الرجوع إلى بعض المقالات التي تناولت الكتاب: خلاصة كتاب العلامات الفارقة في دين المارقة، على الرابط:

https://justpaste.it/molakhas

بالصور وثيقة كتبتها قيادات القاعدة لفضح اتباع داعش، موقع ٢٤ الخبر بين لحظة وضحاها، على الرابط:

https://24.ae/article/419658/

اليد التي ستمتد إلى سلاحها، ونشر على حسابه الرسمي على تطبيق تلغرام أن «من يتحدث عن حل الهيئة فعليه أن يحل الأوهام والوساوس في عقله المريض، وقرار الهيئة بيد أبنائها الصادقين، مضيفا أن «هيئة تحرير الشام هي رأس الحربة في الساحة، وهي مع الصادقين من المجاهدين شوكة أهل السنّة، لذلك لا يتوقف المغرضون عن الإشاعات التي تأتي في إطار الحرب النفسية، والغاية نزع إرادة القتال من المجاهدين وإضعاف معنوياتهم». وأعرب في نهاية كلامه أن الهيئة جاهزة للتعاون والتنسيق «بل حتى اندماج يحافظ على ثوابت الساحة، ويكون فيه قرار المجاهدين مستقلاً وليس إملاءات من هنا وهناك»[1].

٣ ـ موقفه من فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى:

لا يبدو أن الويس كان يتبنى موقفا تكفيريا تجاه فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى، كما أن الويس مر بحالات جفاء مع قيادة جبهة النصرة بتحولاتها، ولم يكن يثق الثقة التامة بالجولاني وفق ما يذكره القيادي السابق في جبهة النصرة «صالح الحموي» المعروف بـ «أس الصراع في الشام»، والذي يوجه رسالة معاتبة في إحدى منشوراته على قناته في تيلغرام نشرها في آذار/ مارس من العام ٢٠١٨[2] يشير فيها إلى أن الويس لم يكن على وفاق دائم مع الجولاني، وأنه أخبره أن الجولاني يريد من الشرعيين أن يكونوا مثل مفتي نظام الأسد «أحمد

---

(١) ينظر: لكي لا تتكرر سيناريوهات حلب ودير الزور والغوطة: «جبهة النصرة» ومصير إدلب، القدس العربي، على الرابط:

https://shorturl.at/rtAU8

(٢) قناة صالح الحموي على تيلغرام، على الرابط:

https://t.me/asseraaalsham1/427

حسون»، وأنه بمجرد أن تنتقد الجولاني «يحقد عليك ويهمشك ويقصيك»، وأن أحد قيادات أحرار الشام استشارهما في مسألة الاندماج مع تحرير الشام تحت قيادة الجولاني، فكان الويس من المعارضين لذلك بحسب الحموي، بحجة غلوه ورعونته واحتمالية إقصائه للأحرار ومصادرة أسلحتهم، كما أكد الحموي أن الويس فكر بالاستقالة أكثر من مرة من تحرير الشام وشاوره بذلك، وهو ما يشير أن الويس لم يكن من المحرضين على قتال الفصائل الأخرى والتغلب عليها، ولم يكن يرى تكفيرهم إذ بدا واضحا معارضته لمنهج التكفير في بحثه «العلامات الفارقة في كشف دين المارقة» والذي تمت الإشارة له، كما لم يتم تسجيل أي من المقاطع التحريضية له، إلا أنه كان يرى في تلك الفصائل فصائل «ثورة مضادة» بحسب الحموي، مع الإشارة هنا أن الويس كان غالبا ما يتولى النيابة عن طرف تحرير الشام في لجان حل الخلاف، مثل تمثيله لتحرير الشام في الاتفاق الموقع مع أحرار الشام عقب الاقتتال الذي جرى في آذار/ مارس عام ٢٠١٧[١]، إلا أنه على الرغم من إظهاره خطاب التهدئة بشكل عام، فإن خطابا آخر غير معلن يؤيد ممارسات تحرير الشام وهجومها على الفصائل الأخرى تحت ذرائع وحجج أخرى، كان يتبناه الويس بحسب مصادر متعددة، بل كان الوجه غير المعلن لإعداد الفتاوى الخاصة بتلك الممارسات، وبدا ذلك مؤخرا عندما علّق على الاقتتال الذي دار منتصف العام ٢٠٢٠ بين تحرير الشام من جهة وبين فصائل في غرفة

(١) ينظر: اتفاق هشّ بين «الهيئة» و«الأحرار» لوقف الاقتتال، عنب بلدي، على الرابط:
https://www.enabbaladi.net/archives/135711

عمليات «فاثبتوا»، ووصفه بأنه شأن داخلي للهيئة، وزعم الويس أن ماجرى من عمليات الاعتقال التي طالت مسؤولين في الهيئة عقب استقالتهم شأن داخلي للهيئة وليس اقتتال داخلي، ولا سعي لاستئصال أحد، حسب وصفه.

وبحسب رواية «الويس»، فإنّ فصائل غرفة عمليات «فاثبتوا» رفضت كل المساعي بالتهدئة والانسحاب وهذا ما اعتبره الشرعي بغي واعتداء وعدوان يستدعي دفعه بالسبل الشرعية حسب تعبيره.[1]

٤ ـ موقفه من المرجعيات الشرعية المحلية للثورة السورية:

لم يتم تسجيل أي موقف للويس من المرجعيات الشرعية المحلية أو انتقادات لها كما هو حال عطون، الذي انتقد المجلس الإسلامي السوري انتقادات لاذعة، في حين تم رصد إحدى الانتقادات المنفردة التي وجهها الويس للدكتور عبد الكريم بكار، متهما إياه بالتخذيل والإرجاف، وأن «أنفه في سبيل الله ولم يدخل للداخل السوري حفاظا على امتيازاته المالية والدبلوماسية في الخارج»، متهما إياه بإصدار فتاوى تشرعن المصالحات وتسلم الأراضي[2].

٥ ـ موقفه من مرجعيات «جماعات الغلو المسلحة»:

لم يختلف موقفه كثيرا عن موقف عطون، حيث يعد الويس عضوا في المجلس الشرعي الذي أصدر البيان الذي تمت الإشارة إليه حول المقدسي والذي يصفه بأنه

---

(١) مظهر الويس: ما يحدث في إدلب ليس اقتتال بل شأن داخلي للهيئة ..!!، شبكة شام، على الرابط: https://shorturl.at/lnJW8

(٢) التغريدة غير متاحة، حيث تم حذف القناة التي نشرت خلالها.

مِن الشخصيات التي كان لها «أثر سيئ» في سوريا، والذي تبرأ من منهج المقدسي واتهمه بالغلو والتكفير، مع الإشارة إلى أن الويس يبدو أنه كان على علاقة جيدة مع أبو قتادة الفلسطيني ورموز من التيار الجهادي المصري مثل هاني السباعي وطارق عبد الحليم الذين قدموا له بحثه «العلامات الفارقة» وأثنوا عليه.

*** منهجه وملامح هويته الفكرية:**

١ ـ من الممكن اعتبار أن مظهر الويس أكثر انضباطا في مسائل التكفير من المرجعيات الشرعية الأخرى لتحرير الشام، وبدا ذلك واضحا في كتابه «العلامات الفارقة في كشف دين المارقة» وكذلك في رسالته التي حملت عنوان «تحذير المتبع الحر من تكفير الجيش الحر (بحث تأصيلي في حكم الجيش الحر زمن الاستضعاف وفق ضوابط التكفير)» والتي نشرت في العام ٢٠١٤[1]، كما يعد الويس من تيار الصقور في مواجهة داعش.

٢ ـ من الممكن اعتبار الويس، أكثر تأصيلا من الناحية الشرعية مقارنة بالمرجعيات الأخرى وعلى رأسهم عبد الرحيم عطون، إذ تلقى الويس تعليما شرعيًّا أكاديميا في معهد الفتح الإسلامي بدمشق، كما إن منشورات الويس يظهر فيها نوع من التأصيل والتعمق والمنهجية كما هو حال بحثه «العلامات الفارقة».

---

(١) تحذير المتبع الحر من تكفير الجيش الحر (بحث تأصيلي في حكم الجيش الحر زمن الاستضعاف وفق ضوابط التكفير)، موقع نور سوريا، على الرابط:

https://syrianoor.net/article/925

٣ ـ الخطاب المزدوج، إذ لم يظهر الويس خطابات علنيا يفتي خلالها بقتال الفصائل الأخرى، والتحريض عليها، في حين أشارت مصادر متقاطعة لدوره الكبير في تأسيس الأرضية الشرعية لتلك الممارسات، وتقديمه الفتاوى اللازمة لها، كما بدا ذلك واضحا من خلال ما ذكره القيادي المنشق عن جبهة النصرة صالح الحموي من أن الويس كان من المنتقدين بشدة للجولاني قبل أن يتحول لأبرز المرقعين له بحسب الحموي، وهو ما يؤكد ازدواجية الويس وخطابه الشرعي.

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني
أبرز المرجعيات الشرعية التي استقالت من هيئة تحرير الشام

مع التحولات التي مرت بها جبهة النصرة والممارسات المختلفة لها، كان هناك بعض المرجعيات الشرعية المهمة فيها آثرت ترك التنظيم، مع بقائها قريبة منه، وعدم قطعها حبال العلاقة معه وفيما يلي تستعرض الورقة شخصيتين من أبرز الشخصيات التي استقالت من هيئة تحرير الشام، وتناقش أبرز ملامح هويتهم الفكرية والأسباب التي دفعتهم للانشقاق/ الاستقالة عن التنظيم، ودوره الراهن وتأثيرهم بعد استقالتهم.

المطلب الأول: عبد الرزاق المهدي

أولاً: النشأة والتعليم

عبد الرزاق المهدي من مواليد دمشق ١٩٦١، شرع بدراسة العلوم الإسلامية في عام ١٩٧٧ في معهد الفتح الإسلامي بدمشق، ودرس على يد العديد من الشيوخ من أشهرهم عبد الرزاق الحلبي مفتي الحنفية بدمشق.

اهتم المهدي بعلوم الحديث وشرع في تخريج الأحاديث، تمييز الصحيح من الضعيف، ودرس كتب الحديث وعلم المصطلح وحضر دروس الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، وبدأ العمل في تحقيق المخطوطات بعد تخرجه من معهد الفتح، وعيّن إماماً وخطيباً لعدة مساجد في دمشق وريفها، وتم إيقافه أكثر من مرة عن الخطابة لأسباب أمنية، وقام المهدي بتحقيق العديد من

الكتـب منهـا تفسـير ابن كثيـر والقرطبـي والبغوي والشـوكاني، ومنها فتـح القدير والعمـدة في شـرح العدة والرحلـة في طلب الحديـث وغيرها، كما قـام باختصار بعـض الكتب مثـل موطـأ مالك[1].

ثانياً: موقعه السابق في تنظيم جبهة النصرة وتحولاتها

لم يظهر أي نشاط للمهدي في بداية الثورة إذ كان مقيما في تونس وناشطا في مجال التدريس والخطابة والدعوة هناك، كما تظهر العديد من مقاطع الفيديو من مساجد ومعاهد مختلفة في تونس، على قناته في يوتيوب حتى العام [2]٢٠١٤، حيث انتقل بعدها إلى سوريا وبدأ نشاطه هناك، في مجال الدروس الشرعية والفتاوى القضاء، ومع تأسيس جيش الفتح[3] في مارس/ آذار من العام ٢٠١٥ عمل المهدي قاضيا لفصائل جيش الفتح، وعرف باعتباره قاضيا مستقلا ومقربا من جبهة النصرة، حيث وافقت جبهة النصرة، و«الفرقة ١٣» إحدى فصائل الجيش الحر في العام ٢٠١٦، على التحاكم لثلاثة قضاة مستقلين، لحل الخلافات التي

---

(١) ينظر: موجز تعريف بالشيخ عبد الرزاق المهدي، موقع من إدلب (وهو موقع يهتم بنشر نتاج الشيوخ التابعين أو المقربين من تحرير الشام)، على الرابط:

https://shorturl.at/cdKS9

(٢) ينظر: قناة الشيخ المحدث عبد الرزاق المهدي في اليوتيوب على الرابط:

https://www.youtube.com/channel/UCxx2cOaRgYp3mYhy6i_v96A

(٣) جيش الفتح هو اتحاد فصائل عسكرية في الثورة السورية، تشكل في بدايات العام ٢٠١٥ وضم عدد من الفصائل حينها أبرزها جبهة النصرة وأحرار الشام وصقور والشام وغيرها، وكانت أولى عمليات تحرير مدينة إدلب.

وقعت بينهما، وكان المهدي أحد هؤلاء القضاة[1]، وهكذا يبدو أن المهدي قدم إلى سوريا متأخرا، ولم يعلن انضمامه أو مبايعته لجبهة النصرة أو فتح الشام، وإنما بقي مستقلا ومقربا منها، ليعلن المهدي بعد ذلك انضمامه لهيئة تحرير الشام ومبايعتها منذ تشكلها في كانون الثاني/ يناير من العام ٢٠١٧، وذلك عبر بيان رسمي، مع عدد من المشايخ الآخرين، نشر في نفس يوم الإعلان عن تحرير الشام وبحسب البيان الذي أصدروه حينها فإن هذه الخطوة أتت «رغبة في توحيد الصفوف واستجابة لوجوب جمع الكلمة وحرصاً على حقن الدماء»، على أن يكون انضمامهم صمام أمان ضد أي اقتتال داخلي، داعين جميع الفصائل في الثورة «لتبدأ مرحلة جديدة تطوى فيها صفحة الخلافات»، حسب البيان الصادر عنهم[2].

ثالثاً: أسباب استقالته/ انشقاقه من تحرير الشام

لم يمض على إعلان المهدي انضمامه لتحرير الشام ثلاثة أشهر حتى أعلن استقالته منها، وذلك في بداية آذار/ مارس من العام ٢٠١٧، معللا ذلك بتزايد تجاوزات عناصر تحرير الشام، وأن الكثير من المظلومين يطالبونه برد حقوقهم، ويحملونه المسؤولية، مضيفا «بما أنني غير قادر على رفع الظلم وإعادة الحق لصاحبه، رأيت لزاما أن أعلن عن خروجي من هيئة تحرير الشام»[3]، وكان

(١) «النصرة» و«الفرقة ١٣» توافقان على التحاكم في محكمة شرعية، عربي ٢١، على الرابط: https://shorturl.at/ghnBN

(٢) ينظر: هيئة تحرير الشام تشكيلها وقياداتها وسلسلة الانضمامات، شبكة شام، على الرابط: https://shorturl.at/fuwRZ

(٣) ينظر: سياسيون وعسكريون ينشقون عن «هيئة تحرير الشام»، عنب بلدي، على الرابط: https://www.enabbaladi.net/archives/135471

ذلك على خلفية الاقتتال بين تحرير الشام وأحرار الشام، إلا أنه على الرغم من ذلك بقيت علاقة المهدي بتحرير الشام علاقة قوية، واستمر بإلقاء الدروس في مناطق سيطرتها والمشاركة في مجالس الفتوى الخاصة بها بحسب ما يذكر، إضافة للقاءاته المستمرة مع الجولاني، حيث أشار المهدي في معرض رده على المسؤول الشرعي في تحرير الشام «يحيى بن طاهر الفرغلي» بقضية حكم فتح المعابر مع نظام الأسد نهايات عام ٢٠٢٠، حيث قال المهدي إنه دُعي إلى جلسة لمناقشة فتح المعبر، وكان القائد العام لتحرير الشام، أبو محمد الجولاني، حاضرًا، مشيرا لاعتراضه على الأمر إلا أنه وجد إجماعا من قبل الحاضرين فطلب تأجيل فتح المعابر على الأقل، مضيفا في معرض رده على الفرغلي الذي اتهمه بالتناقض «ما وافقت ولا تناقضت ولا نافقت، ولست مضطرًا لذلك والحمد لله، وإذا يراني بعضهم أصبحت ثقيلًا فيمكنني الرحيل، والعناية بالحديث النبوي الذي هو خير من الفصائل كلها»[1].

رابعاً: منهجه وملامح هويته الفكرية

يمكن اختصار أبرز ملامح منهج المهدي وهويته الفكرية بالنقاط التالية:

* تأصيله؛ يعد المهدي ـ فيما يبدو ـ من المرجعيات الشرعية المحلية الأكثر تأصيلا لتحرير الشام، إذ تلقى المهدي تعلما أكاديميا شرعيًّا، وتعلما مشيخيا، على العديد من الشيوخ الكبار في دمشق في مجالات الحديث والفقه وغيرها...

---

(١) سجال بين شرعيين مقربين من «تحرير الشام» حول فتح معابر في إدلب، عنب بلدي، على الرابط:
https://www.enabbaladi.net/archives/383661#ixzz6yKZjhleB

كما بدا واضحا اهتمامه في مجال الحديث تحقيقا وتخريجا وصدر له العديد من تخريجات الكتب الحديثية وتفاسير القرآن.

* تردده فـي الانتماء لأي فصيل، بل وتردده في الانخراط بالثورة في بداياتها حيث فضل مغادرة سورية، ليعود إليها لاحقا بعد نحو ٣ سنوات، دون أن يقوم مبايعة جبهة النصرة أو جبهة فتح الشام، ليقوم لاحقا بمبايعة تحرير الشام لأقل من ٣ أشهر ثم إعلان استقالته منها، مع تفضيله لتحرير الشام على بقية الفصائل رغم الانتقادات التي وجهها له وتفضيله البقاء قريبا من قياداتها وعناصرها ليعده البعض الوجه الشرعي غير الرسمي لتحرير الشام.

* لا يبدو أن المهدي من مؤيدي سياسة التغلب واستئصال الفصائل التي تنتهجها تحرير الشام، حيث ارتبطت استقالته من تحرير الشام بأول اقتتال لها مع أحرار الشام، وكذلك ربط انضمامه لها في البيان الذي تمت الإشارة إليه بالرغبة في توحيد الصف وحقن الدماء، وأن يكون ـ مع مشايخ ـ آخرين صمام أمان أمام أي اقتتال داخلي، ولم يتم رصد أي مقطع أو تغريدة يدعو المهدي فيها لقتال الفصائل، إلا أنه لم يكن ينكر على تحرير الشام إنكارا مباشرا، وكان كثير ما يردد في تغريداته «اللهم نسألك حقن دماء المجاهدين» ما جعل الكثيرين يتهمونه بالترقيع وبانتهاج سياسة مزدوجة تأييد ضمنيا ما تقوم به تحرير الشام وتنتهج الحياد في العلن.

* على الرغم اقتراب المهدي من فكر «جماعات الغلو المسلحة»، فإنه منضبط في مسائل التكفير وكتب الكثير في انتقاد مرجعيات القاعدة وأهمها أبو محمد المقدسي، حيث رأى أن جملة العلماء يحملون قوله تعالى «ومن لم يحكم

بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» على المستحل لذلك، مشيرا أنه لم يخالف بذلك إلا عدد قليل عرفوا بشيوخ الجهاد منهم: الشيخ المقدسي وبعض أقرانه، وأنهم لا يقارنون بأهل العلم من أصحاب الدراية في علم التفسير أو الفقه وأصوله أو الحديث واللغة والبلاغة وغيرها[1] وشن انتقادات لاذعة للمقدسي ومنهجه في سلسلة من المقالات والتغريدات اتهمه بالجهل وحذر من كتابته، في حين امتدح أبا قتادة الفلسطيني وميله نحو المنهج الوسطي، كما أن المهدي امتدح الداعية السعودي عبد العزيز الطريفي في إجازته الوصول إلى الحكم عن طريق الانتخابات منكرا على من يحكم بردته، إلا أنه تشدد وتطرف في أمور أخرى منها الفتوى بعدم الانضمام للجيش الوطني بدعوى عدم وجود محاكم شرعية في مناطق سيطرته، وكذلك فتواه بجواز استهداف ما أسماه «قرى النصيرية» وتقصد قتل الأطفال والنساء فيها وغيرها من الفتاوى التي يمكن اعتبارها فتاوى مغالية وشاذة[2]، ويعد نتاج المهدي غزيرا ولا يمكن استعراض جميع مواقفه بهذا الصدد، مع الإشارة لوجود العديد من الفتاوى الشاذة وغير المنضبطة التي يضيق البحث عن ذكرها واستعراضها.

* بحسب بعض المصادر والتغريدات التي نشرها المهدي فإنه فكر أكثر من مرة بتشكيل فصيل جديد يعتمد على الغنائم في تمويله، ويضم فيه الشباب الذين تركوا العمل مع الفصائل الأخرى نتيجة الخلافات والاقتتالات إلا أنه فشل في ذلك، ويشير في إحدى تغريداته أنه عقد اجتماعا ضم نحو ١٥ شخصا، وفي الاجتماع الثاني لم

---

(١) التغريدة موثقة لكنها غير محفوظة على وسائل التواصل نتيجة حذف حسابات المهدي وتغييرها بشكل متكرر.

(٢) التغريدة موثقة لكنها غير محفوظة على وسائل التواصل نتيجة حذف حسابات المهدي وتغييرها بشكل متكرر.

يحضر سوى شخص واحد منهم، وهو ما يظهر ضعف المهدي حركيا وميدانيا، بل وخطابيا كما هو ظاهر في فيديوهاته، مع الإشارة لأهمية الملكة الخطابية في تكوين الأتباع، وبناء عليه فإن المهدي لا يملك تأثيرا كبيرا على الطبقة البسيطة من المقاتلين، ويقتصر تأثيره على القيادات الشرعية، ومجالس الإفتاء وغيرها.

* ظهرت بعض الخلافات بين المهدي والمجلس الشرعي التابع لتحرير الشام، وعلى وجه الخصوص بينه وبين الفرغلي، ما جعله يصرح في سياق الرد، أنه بحال رآه البعض «ثقيلًا» فيمكنه «الرحيل، والعناية بالحديث النبوي الذي هو خير من الفصائل كلها» بحسب وصفه وهو يظهر حالة نفسية قد وصل لها المهدي، تدل على يأسه من الإصلاح والتغيير.

المطلب الثاني: عبد الله المحيسني

أولاً: النشأة والتعليم

عبد الله المحيسني من مواليد مدينة بريدة في منطقة القصيم في المملكة العربية السعودية، وداعية سعودي ذاع صيته خلال مشاركته في القتال إلى جانب فصائل الثورة السورية، حصل على الماجستير في تخصص الفقه المقارن من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وحصل بعدها على الدكتوراه وكان عنوان رسالته «أحكام لاجئي الحرب في الفقه الإسلامي» خارج السعودية، وهو ابن القارئ ورجل الأعمال المشهور «محمد المحيسني».[1]

---

(١) ينظر: استقال من النصرة وشكل تنظيمًا جديدًا.. تعرف على «المحيسني» أشهر جهاديي سوريا، العرب والعالم، على الرابط:

https://2u.pw/oNZkCAF

ثانياً: موقعه السابق في تنظيم جبهة النصرة وتحولاتها

مع انطلاق الثورة السورية، شرع المحيسني في جمع التبرعات لصالح الفصائل الإسلامية وعلى رأسها «جبهة النصرة وأحرار الشام»، ومع تعرض نشاطاته للتضييق من قبل السلطات السعودية، قرر مغادرتها، إلى تركيا ومنها إلى سوريا التي دخلها نهايات العام ٢٠١٣، وبدأ نشاطه كموجه شرعي وقاض مستقل للفصائل العسكرية، وعرف بقربه من جبهة النصرة، دون أن ينضم رسميا لها، وكان له دور بارز في تأسيس جيش الفتح بدايات عام ٢٠١٥ وتوفير الدعم له، وغرد أكثر من مرة أنه «مقاتل مستقل» كما أصيب في بعض المعارك، ما زاد من شعبيته وصيته داخل وخارج سوريا، مع الإشارة لقدراته الخطابية وخطبه الرنانة.

وعلى نهج مقارب لنهج عبد الرزاق المهدي عمل المحيسني قاضيا لفصائل جيش الفتح، ووافقت جبهة النصرة، و«الفرقة ١٣» إحدى فصائل الجيش الحر في العام ٢٠١٦، على التحاكم لثلاثة قضاة مستقلين، لحل الخلافات التي وقعت بينهما، وكان المحيسني أحد هؤلاء القضاة[١]، وفي كانون الثاني/ يناير من العام ٢٠١٧، أعلن المحيسني انضمامه ومبايعته لهيئة تحرير الشام في اليوم الأول من تشكيلها، وذلك عبر بيان رسمي، مع عدد من المشايخ الآخرين، نشر في نفس يوم الإعلان عن تحرير الشام وبحسب البيان الذي أصدروه حينها ـ وأشارت له الورقة سابقا ـ فإن هذه الخطوة أتت «رغبة في توحيد الصفوف واستجابة لوجوب جمع

(١) «النصرة» و«الفرقة ١٣» توافقان على التحاكم في محكمة شرعية، عربي ٢١، على الرابط:
https://tinyurl.com/kvsphm7u

الكلمة وحرصاً على حقن الدماء»، على أن يكون انضمامهم صمام أمان ضد أي اقتتال داخلي بحسب وصف البيان.

ثالثاً: أسباب استقالته/ انشقاقه من تحرير الشام

بعد مضي أقل من ٩ أشهر على تأسيس هيئة تحرير الشام أعلن المحيسني خروجه من التنظيم، عبر بيان له نشره في قناته على التيلغرام، وجاء فيه أن الاستقالة تمت بعد تجاوز اللجنة الشرعية في الاقتتال، بين «تحرير الشام» و«أحرار الشام»، موضحاً أنه سيبقى على تواصل مع كل «مجاهد في الساحة الشامية»، ومع أي فصيل.

وكان المحيسني قد أعلن قبل استقالته ضرورة تحقيق خطوات إصلاحية محددا شروطه للبقاء فيه والتي نصت على «إعادة الاعتبار لأهل العلم وحفظ مكانتهم، بأن يكونوا مرجعية حقيقية للقادة والجنود، وتفعيل ملف القضاء الداخلي وزيادة صلاحياته، وتشكيل لجنة بصلاحيات عالية تفوض في التصالح بين الهيئة والعامة، وبين الهيئة والفصائل، وتنظر في ملفات السجناء دون استثناء، وفي المظالم المرفوعة ضد هيئة تحرير الشام».[1]

وفي تسجيل صوتي للمحيسني، عقب استقالته، قال إن الاستقالة مرتبطة بالاقتتال الأخير مع «أحرار الشام» وطردها من كامل محافظة إدلب، وصولًا إلى

---

(١) ينظر: بعد التهديد باعتقاله.. المحيسني يعلن استقالته من هيئة «تحرير الشام»، أورينت نيوز، على الرابط:

https://tinyurl.com/4tbxepwj

التسريبات الأخيرة لقيادات في تحرير الشام والتي تحدثت عنه بشيء من السخرية، إضافةً إلى تجاوز «تحرير الشام» للجنة الشرعية في كافة الأمور، و«رفضها لكافة المطالب التي طرحتها في الأيام الماضية، خاصةً في ما يتعلق بقتال أحرار الشام» وأشار المحيسني إلى أنه كان من أشد رافضي الاقتتال الأخير، وأصدر بيانًا في تحريمه مع مجموعة من «أهل العلم»، إلا أن الأمر لم يلق أي استجابة، بل تم تجاوزه. وقال إنه تقدم بإصلاحات كاملة في «الهيئة» من أوضاع السجناء، والمظالم، إلا أن «الإخوة» رفضوها، الأمـر الذي جعل فـي الاستقالة ضرورة للمرحلة المقبلة[1].

أضف لذلك الخلاف الكبير بين المحيسني والجولاني على الموقف من دخول القوات التركية إلى الشمال السوري ففي الوقت الذي كان الجولاني يرسل مندوبه السياسي لمفاوضة الأتراك على إدخال قواتها إلى المنطقة كان الجولاني قد جمع المجلس الشرعي في تحرير الشام للدفع بهم نحو تصدير فتوى لحض الجنود على قتال تركيا وهو ما رفضه المحيسني نهائياً وكان سبباً لبذرة الشقاق بينهما[2].

رابعاً: منهجه وملامح هويته الفكرية

* كان المحيسني في بدايته من مؤيدي إقامة إمارة إسلامية في المنطقة وداعمًا للجولاني في كلمته «دونكم الإمارة»، إلا أنه لاحقا بدا بمظهر أكثر اعتدالا وخصومة مع تحرير الشام وقائدها الجولاني.

---

(١) المحيسني يوضح أسباب استقالته من «تحرير الشام»، عنب بلدي، على الرابط:

https://www.enabbaladi.net/archives/172594

(٢) مصدر خاص للباحث.

* انتقد المحيسني الديمقراطية في إحدى كلماته مع المقالتين في جيش الفتح موجها الكلام لهم «إن كنتم تقاتلون من أجل الديمقراطية والعلمانية فخبتم وخسرتم»، وفي ذات الكلمة وصف فيه الائتلاف الوطني لقوى المعارضة بـ «الائتلاف الوثني» الذي ينفذ أجندة الغرب، مؤكدا خلال كلمته ضرورة محاربة أي مشروع لا يسعى لـ «إقامة خلافة على منهاج النبوة»[1]، إلا أنه لم يصرح بالتكفير المباشر للائتلاف ولفصائل الجيش الوطني، كما أنـه كـان من المنتقدين لتنظيم داعش ومنهجه وإغراقه بالتكفير.

* من الواضح أن المحيسني لا يتمتع بالتأصيل الشرعي العميق على الرغم من نيله درجة الدكتوراه أو أنه عن قصد لا يريد الدخول في التاصيل خوفاً من انكشاف منهجه وتعرضه للتصنيف والاسقاط من جميع الأطراف مكتفياً ببث خطبه الدعوية والحماسية وابتعاده عن التأليف وكتابة التأصيلات المعمقة ـ حيث لم يوجد أي مؤلف أو رسالة للمحيسني بخلاف المرجعيات التي استعرضناها ـ يدل على ضعف التأصيل الشرعي لديه أو عدم الرغبة بالكشف عن منهجه لكن ذلك لم يمنعه أحيانا من بث كلمات تعجب التيار الجهادي كمهاجمة الديمقراطية بالمطلق دون وضع ضوابط لحكمها وكذلك مهاجمة الائتلاف الوطني في بعض الأحيان.

* على الرغم من التقاطع المنهجي الكبير بين المحيسني وإيديولوجيا تحرير الشام، إلا أن المحيسني كان من الرافضين بشدة للاقتتالات الداخلية، والساعين في الإصلاح بين الفصائل، وعزا سبب استقالته منها لسياساتها في استئصال الفصائل،

---

(١) المقطـع مؤرشـف لدى الباحـث، ولا يوجد رابط له على الشـبكة نتيجة حذفه لانتهاكه سياسـات النشر.

ومع ذلك فهناك اتهامات عديدة للمحيسني بميله رغم ذلك لتحرير الشام الذي لازال ينشط بقوة في مناطق سيطرتها.

* كذلك لا يعرف للمحيسني أي موقف ضد تركيا بل له الكثير من الفيديوهات والمناشير التي تؤيد السياسة التركية.

***

الفصل الثالث

قراءة في صراع الأجنحة الشرعية داخل هيئة تحرير الشام وديناميات التحول وإعادة التشكل

المبحث الأول: صراع الأجنحة وسياقات تشكل المرجعية الشرعية

المبحث الثاني: النتائج والتوصيات والخاتمة

ملحق تقييم دراسة الباحثان «جيرون دريفون وباتريك هاني» كيف أضحى الجهاد العالمي محلياً

❊ ❊ ❊

إن النهاية التي وصلت لها تحرير الشام وتحولها من فرع لتنظيم القاعدة إلى تنظيم محلي ومن إيديولوجيا السلفية إلى الانفتاح على المدارس المحلية ومن الجهادية إلى الثورة ومن استراتيجية القتال إلى الإدارة والحكم ومن القطيعة الدولية إلى فتح العلاقات الخارجية من المنظمات والجهات البحثية والعلاقة مع الدول كان نتيجة طبيعية لمكانيزما من الجدل الشرعي الداخلي والخارجي حول العديد من القضايا السياسية التي أثرت على صناعة القرار داخل قيادة تحرير الشام وهنا يأتي السؤال البديهي كيف كان يصنع القرار داخل تحرير الشام هل كان ينبثق من الرؤية الشرعية ابتداء أم ينبثق من مصلحة القيادة في الأساس ثم يأتي دور الرأي الشرعي للتبرير والمساندة وكيف كان يهندس الجسم الشرعي لتحقيق هذه العملية في هذا المبحث لنلقي الضوء على صراع الأجنحة الشرعية وتحالفاتها والظروف السياسية والاستحقاقات الشرعية التي كانت تفرضها حتى ولت بنا للمشهد الحالي الذي نراه في تحرير الشام.

المبحث الأول

صراع الأجنحة وسياقات تشكل المرجعية الشرعية

مرت العلاقة بين الجناح الشرعي وقيادة تحرير الشام بأربع مراحل من الصراعات وتصفية الأجنحة والتحالف أحياناً وهي:

أ ـ المرحلة الأولى: إدارة الصراع مع داعش

والتي امتدت منذ نهاية عام ٢٠١٣ وذلك بعد انشقاق جبهة النصرة عن تنظيم داعش وما بعدها وحينما كان ميسر الجبوري المعروف بأبي ماريا القحطاني يشغل منصب الشرعي العام لجبهة النصرة في وقتها كانت سطوة الشرعي على القيادة واضحة وقوة مركزها في إدارة التنظيم لكن لم يكن تنظيم النصرة يتمتع بتلك المركزية الشديدة بسبب تباعد القطعات وانقطاعها عن بعضها وفي هذه المرحلة كان جبهة النصرة بحاجة إلى خطاب تحشيدي ضد تنظيم داعش باعتبارهم خوارج قد أعلنوا تكفيرها وكانت بحاجة على خطاب تصالحي مع الجيش الحر لنسج تحالفات معه ضد داعش خصوصاً في المنطقة الشرقية من سورية الغنية بالنفط والغاز التي كانت تمثل خزان الموارد المالية لجبهة النصرة وحيث كان الصراع مع داعش على أشده للاستحوذ على الموارد النفطية وهو ما كان يحسنه مظهر الويس والقحطاني الذي سطر الكتب والدراسات في الرد على الدواعش والدفاع عن موقف النصرة في التحالف مع الجيش الحر كما في كتابة «العلامات الفارقة» وكتابه «تحذير المتبع الحر من تكفير الجيش الحر» حيث كان هناك تيار داخل جبهة النصرة يرى عدم شرعية قتال تنظيم داعش بالتحالف مع الجيش الحر الذي يرتب مناطات ردة وكان يرى أن الجيش الحر هم مشروع صحوات.

تميزت هذه المرحلة بعدة سمات أهمها:

١ ـ غياب القيادة المركزية للرأي الشرعي في التنظيم حيث كان فرع القلمون بقيادة ملك التلي يتحالف مع داعش بينما كان فرع الشرقية في دير الزور يخوض معها معارك ضارية وكانت القيادة المركزية في إدلب تقف موقف المتفرج وتنتظر النتائج هناك لتحسم موقفها.

٢ ـ كان التحول نحو بيعة تنظيم القاعدة يحوي في مضمونه تحولاً تكتيكياً لمنع الجنود المؤدلجين من الالتحاق بتنظيم داعش عند تيار القحطاني وكان بالنسبة للتيار الموالي للمقدسي والعريدي والتيار الأردني هو خيار استراتيجي وبدأ الشد والجذب بينهما.

٣ ـ كانت مواقف القيادة من الجهاز الشرعي موقفاً برغماتياً فقد سكتت عنها عندما كانت ترسل الأموال من غنائم النفط ثم كفرت القيادة جهازها الشرعي عندما تحالفت مع الجيش الحر لقتال داعش ورفضت القيادة إرسال المؤازرات لإنقاذ فرع الشرقية في دير الزور عندما أشرف على الانهيار.

٤ ـ مشاركة الفصائل الإسلامية في المحاكم الشرعية خصوصاً في إدلب وحلب.

ب ـ المرحلة الثانية: صعود التيار الأردني وزيادة الارتباط بالقاعدة

وهي المرحلة التي بدأت بعد سقوط المنطقة الشرقية من سورية بيد داعش نهاية ٢٠١٤ وخسارة الشرعي العام أبو ماريا القحطاني للمناطق النفطية الغنية وتصاعد الخطاب المتطرف من الشيخ أبي محمد المقدسي ضد ما سمي تيار القحطاني ولويس المتراخي في موقفه من الجيش الحر ومعارضة هذا التيار لقتال

تنظيم داعش إلا في حدود الدفاع عن النفس واعتبار أن قتالها في هذه المرحلة ما هو إلا استجابة لإملاءات غربية كافرة هنا أقدم الجولاني على عزل القحطاني الذي خسر مقومات تأثيره المالية وانتقل القحطاني على إثرها إلى درعا وبدأ بمهاجمة الجولاني والمقدسي والعريدي بكتابته على التويتر ودخلت العلاقة بينهما بقطيعة تامة، وتم تعيين سامي العريدي المقرب من المقدسي بمنصب الشرعي العام لجبهة النصرة بعد أن تصاعد تياره داخل التنظيم وكان العريدي متواجداً في درعا هو الأخر وهنا دخلت العلاقة بين القيادة والجهاز الشرعي في حالة من التوازن في النفوذ على التنظيم، لكن كان لبعد سامي العريدي في درعا عن القيادة في الشمال مركز الثقل الأكبر لقوة جبهة النصرة دوراً في إعطاء الجولاني مساحة للتحرك ليعيد ترتيب الجهاز الشرعي في الجبهة بطريقة تضمن له السيطرة المطلقة، بعد أن استثمر طويلاً برمزية المقدسي وأبي قتادة الفلسطيني لتحشيد عناصر تنظيمه في قتال فصائل الجيش الحر وإصدار الفتاوى بذلك.

اتسمت هذه المرحلة بـ:

١ ـ تصارع اللوبيات داخل التنظيم خصوصاً بين لوبي القحطاني ومعه مظهر الويس الذي يطلق عليه (التيار القُطري) وبين لوبي العريدي ومعه التيار الأردني عموماً (التيار العالمي)

٢ ـ ازداد قرب جبهة النصرة من تنظيم القاعدة وزيادة نفوذ القيادات الموالية للقاعدة داخل التنظيم من التيار الأردني.

٣ ـ تحول اتجاه جبهة النصرة من قتال داعش إلى تصفية فصائل الجيش الحر وبدأتها بجبهة ثوار سورية وحركة حزم.

٤ ـ زيادة التحالف بين تحرير الشام وفصيل جند الأقصى الذي كان يحتفظ بعلاقة جيدة مع تنظيم داعش.

٥ ـ تبني خطاب معاد لتركيا والجيش الحر عموماً والعملية السياسية في جنييف

٦ ـ استقلال جبهة النصرة بقضاء مستقل عن الفصائل وتأسيس دور القضاء.

٧ ـ اتجاه تيار القحطاني لإبراز مرجعيات للقاعدة مختلفة عن المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني ومحاولة إبراز عطية الله الليبي والشيخ الحدوشي

٨ ـ دخول القحطاني ولويس ضمن مجاميع علمائية موازية للضغط على تنظيم جبهة النصرة من خارجها مثل «مجلس شورى أهل العلم في الشام» [١] الذي جمع العديد من المشايخ السوريين وغير السوريين لتكوين مرجعية منافسة قادرة على إزاحة المرجعية الأردنية من دائرة التأثير والدخول في مركز عزام للدراسات[٢] الذي كان ينهاض الغلو والتطرف ويواجه فكر المقدسي[٣] وكتب في ذلك العديد من الكتب والدراسات أصدر مجلة اسمها مجلة الشريعة التي كانت تتناول أبحاث علمية وفكرية ضد الغلو والتطرف[٤].

---

(١) رابط صفحة معرف المجلس على التويتر:
https://twitter.com/shuraalsham

(٢) صفحة مركز عزام على تويتر:
https://twitter.com/Azzam_Center

(٣) أحد الرود العلمية التي أخرجها مركز عزام للرد على تكفير المقدسي للجيش الحر الي يقاتل داعش بالتعاون مع التحالف الدولي:
https://top4top.io/downloadf 20517 _y0y01 _ pdf.html

(٤) العدد الأول من المجلة:
https://www.zamanalwsl.net/news/article/63627/

ج ـ المرحلة الثالثة: فك الارتباط بتنظيم القاعدة وظهور الجولاني للعلن

والتي بدأت منذ منتصف ٢٠١٥ وهنا جاء القرار من قيادة تحرير الشام بعزل سامي العريدي وإبعاد القحطاني كذلك عن الواجهة بعد مجيئهم من درعا إلى الشمال بحجة القضاء على اللوبيات الشرعية المتصارعة داخل الجماعة وهي بشكل أساسي بين لوبي القحطاني ولوبي العريدي، ليرتفع نجم عبد الرحيم عطون الذي مثل الحالة المثالية لتبعية الجهاز الشرعي للقيادة، وهنا يمكن القول أن الشرعي العام للتنظيم أصبح تحت سيطرة الجولاني بالمطلق ومهمته هي تدبيج الفتاوى الشرعية لتبرير كل ما يفعله وهنا كانت النصرة بحاجة إلى إحداث تحولات مهمة بعد رؤيتها للمصير الذي انتهت إليه داعش والعمل على فك الارتباط مع القاعدة وتصفية الفصائل التي تشكل خطراً عليها والاتجاه لإنتاج مشروع محلي مع الفصائل التي تقبل المشاركة معها، وفعلاً بدأ المشروع الأول بتشكيل جيش الفتح بداية عام ٢٠١٦ والذي الذي فشل بتحرير مدينة حلب ومني بهزيمة كبيرة فيها حينها بدأ الحديث عن ضرورة الانتقال إلى مشروع توحيد الفصائل لكن ارتباط النصرة بالقاعدة كان هو العائق الأكبر أمام قبول الفصائل بهذا المشروع وبقي تيار القحطاني يضغط على الجولاني من خلال تشكيل جسم شرعي جديد سمي تجمع أهل العلم في الشام في منصف ٢٠١٦ [1]والذي ضم ١٢ شرعي من مختلف الفصائل إضافة للمستقلين ومشايخ من أحرار الشام لمنازعة شرعيي النصرة الرأي الديني في نوازل الساحة وهو ما دفع جبهة النصرة لكتابة رسالة

---

(١) إعلان التشكيل على موقع الدرر الشامية:

https://eldorar.com/node/100459

احتجاج سرية لأعضاء التجمع بسبب تجاوزها في تشكيل المجلس [1].

١ ـ اتسمت هذه المرحلة باستكمال تصفية الفصائل المعيقة لمشروع الجولاني وتم القضاء في هذه المرحلة على جيش المجاهدين.

٢ ـ قيام جبهة النصرة بنسج تحالفات مع الفصائل الإسلامية داخل غرفة عمليات جيش الفتح.

٣ ـ دخول تيار القحطاني بتفاهم مع الجولاني والعودة إلى التحالف من جديد والمعل على فرط تجمع أهل العلم في الشام.

٤ ـ فك الجولاني في ٢٨ تموز / يوليو ٢٠١٦ ارتباط النصرة بالقاعدة وأعلن عن تأسيس ما يسمى بتنظيم فتح الشام [2] والتحول العالمية إلى المحلية.

٥ ـ بدأ تيار العريدي والمقدسي والظواهري بشن هجوم لاذع على الجولاني بعد نقضه لبيعة القاعدة، وبدأ العناصر والقادة الموالين للتنظيم بالتفكير بالانشقاق.

د ـ المرحلة الرابعة: تأسيس تحرير الشام والتحول من الفصيل إلى السلطة

بدأت هذه المرحلة بعد إعلان تشكيل هيئة تحرير الشام في ٢٨ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٧ من خلال اندماج كل من جبهة فتح الشام وجبهة أنصار الدين ثم جيش السنة وجيش الأحرار ولواء الحق وكذا حركة نور الدين الزنكي تحت قيادة جابر الشيخ.

---

(١) تم رفع الرسالة هنا من قبل الباحث وهي وثيقة خاصة لم تنشر من قبل:
https://top4top.io/downloadf 20517 _fgyi1 _ pdf.html

(٢) بيان تأسيس فتح الشام وفك الارتباط عن تنظيم القاعدة:
https://2u.pw/5pMTPak

وتم تشكيل المجلس الشرعي للهيئة من:

١ ـ أبو يوسف الحموي رئيساً للمجلس. ٢ ـ عبد الله المحيسني. ٣ ـ عبد الرزاق المهدي. ٤ ـ عمر رمضان. ٥ ـ أبو الحارث المصري. ٦ ـ عبد الرحيم عطون. ٧ ـ أبو ماريا القحطاني. ٨ مظهر الويس.

وكان قد خرج من المجلس بداية تشكله كل من: ١ ـ عبد الرزاق المهدي ٢ ـ محمد أبو الصادق (نضال حسن) بسبب إعطائهم دوراً هامشياً في المجلس. ثم انشق عمر رمضان ممثل الزنكي بعد انشقاق فصيله. ثم انشق المحيسني بعد قرار الجولاني بقتال أحرار الشام.

اتسمت هذه المرحلة:

١ ـ تحالف تيار القحطاني مع تيار عطون ضد التيار الأردني.

٢ ـ تعاظم دور التيار المصري بعد انشقاق مجموعة من الشرعيين المصريين عن أحرار الشام وانضمامهم إلى الهيئة مثل (أبو اليقظان وأبو الفتح الفرغلي وأبو شعيب أبي الحارث المصري).

٣ ـ تشكيل التيار الأردني لجبهة حراس الدين وإعادة إحياء فرع القاعدة في سورية.

٤ ـ دخول الهيئة بصراع مع حركة نور الدين الزنكي وإصدار فتوى بتكفيرها من أبي الحارث المصري.

٥ ـ تشكيل تحرير الشام لحكومة الإنقاذ وفرض سيطرتها على كامل المحرر وإزاحة كل الفصائل من وجهها.

٦ ـ انشقاق عبد الله المحيسني ومصلح العلياني وكامل التيار السعودي بعد عودة الجولاني للاقتتال الفصائلي.

٧ ـ الإنسحاب بدون قتال مما أدى لتسليم العديد من المناطق للنظام في مناطق شرق سكة الحديد من محافظة إدلب.

٨ ـ انشقاق أغلب المجاميع العسكرية التي انضمت لها كجيش الأحرار وأنصار الدين وحركة نور الدين زنكي.

٩ ـ الدخول في تفاهمات مع الدول وإدخال الجيش التركي وانشقاق أغلب التيار المصري عن الهيئة.

١٠ ـ محاولة التصالح مع المدرسة التقليدية وتعيين أنس عيروط مفتياً لإدلب وتقرير كتاب العقيدة لعبد الرحمن حبنكة الأشعري في منهاج كلية الشريعة.

١١ ـ إيقاف عمل الحسبة في كامل إدلب.

١٢ ـ محاولة التواصل مع الدول وإعطاء خطاب معتدل في محاولة من الهيئة لتحسين صورتها أمام الغرب.

١٣ ـ دخول الهيئة في سلسة صراعات مع الفصائل الجهادية التي ساعدتها في قتال الفصائل مثل تنسيقية الجهاد وجماعة التحلي وحراس الدين وجند الأقصى وجنود الشام وإنهاء وجودهم تماماً.

١٤ ـ طرحت حكومة الإنقاذ التابعة للهيئة مشروعاً لتقنين الشريعة وتحويلها لمواد قانونية [١].

---

(١) موقع تلفزيون سورية:

https://2u.pw/Ao8vIoB

١٥ ـ التواصل مع المجلس الإسلامي السوري ومحاولة إبرام صفقة مصالحة معه، ولم يرد المجلس الإسلامي على المبادرة حتى الآن.

١٦ ـ التخلي نهائيا عن الخطاب الجهادي ومحاولة الالتصاق بالخطاب الثوري.

***

المبحث الثاني أهم النتائج

١ ـ كان لجبهة النصرة بتحولاتها المختلفة، نوعان رئيسان من المرجعية الشرعية، الأولى هي المرجعية العابرة المتمثلة بمرجعيات تنظيم القاعدة و«جماعات الغلو والعنف المسلحة» خارج سوريا، والثانية، هي المرجعيات الشرعية المحلية، حيث تأسست جبهة النصرة كفرع لدولة العراق التابعة لتنظيم القاعدة ابتداءً، وبذلك فإن الطبقة القيادية الأولى كانت حاملة لفكر تنظيم القاعدة، ومتأثرة بمرجعياته المعروفة منذ تشكلها، وتبني التنظيم في بداياته تدريس كتب مرجعيات بارزة في تنظيم القاعدة مثل «العمدة في إعداد العدة» لسيد إمام الشريف، و«ملة إبراهيم» لعاصم البرقاوي المعروف بأبي محمد المقدسي، وغيرها من مرجعيات تنظيم القاعدة.

٢ ـ إلا أنه مع إعلان جبهة النصرة فك ارتباطها بتنظيم القاعدة في العام ٢٠١٦، تعزز دور المرجعيات الشرعية المحلية، التي أخذت في بعض الأحيان بفتح سجلات مع منظري الفكر التكفيري وقيادات تنظيم القاعدة، وكتابة الرسائل والردود عليها، ونقد منهجها في بعض الأحيان، وبرزت أسماء عديدة مثل عبد الرحيم عطون رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، ومظهر الويس القاضي في التنظيم وعضو مجلس الإفتاء، وعبد الرزاق المهدي، الذي استقال من هيئة تحرير الشام، كما برز دور لبعض المرجعيات الأجنبية التي دخلت سوريا مثل أبو اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري أيضا، وعبد الله المحيسني سعودي الجنسية، وغيرهم، وقد أعلن بعضهم استقالته من تحرير الشام، لأسباب مختلفة، في حين بقي الآخرون ضمن صفوف التنظيم.

٣ ـ من جهة أخرى، وبعيدا عن «الشخصيات» التي تشكل المرجعية الشرعية لتحرير الشام وتحولاتها السابقة، فقد شكل «المجلس الشرعي لتحرير الشام» ككل، وكذلك «المجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة» أهم مؤسستين شرعيتين لعبتا دوراً مرجعيًّا لتحرير الشام، بما يتعلق بالفتاوى والأحكام المختلفة، وكذلك شرعنة السياسات التي تنتهجها تحرير الشام.

٤ ـ ويُعرفُ «المجلس الشرعي لتحرير الشام» باسم «اللجنة الشرعية»، ويعد عبد الرحيم عطون رئيس المجلس/ اللجنة، التي تضم أيضاً، مظهر الويس، ومصطفى حمدان المعروف بأبي الحارث الزبداني، وكذلك ميسر علي موسى عبد الله الجبوري المعروف بأبي ماريا القحطاني، ولعب المجلس الشرعي أو اللجنة الشرعية دورا كبيرا في رسم سياسات التنظيم قبل الإعلان عن تشكيل تحرير الشام وفي الأشهر الأولى من تشكيلها، حيث كانت تستشار في معظم سياسات التنظيم سواء الخارجية أو الداخلية المتعلقة بتعاملها مع الفصائل الأخرى، إلا أن دور المجلس/ اللجنة قد تراجع بشكل واضح مع تشكيل حكومة الإنقاذ المرتبطة بتحرير الشام في بداية تشرين الثاني/ نوفمبر من العام ٢٠١٧ وسط سعي تحرير الشام للتحول من بنية التنظيم/الجماعة، إلى بناء المؤسسات الحكومية التي تتمتع بقدر من الاستقلالية ـ ولو الشكلية ـ عن تحرير الشام، ولا تحتاج بالضرورة الرجوع للمجلس/ اللجنة الشرعية في جميع سياساتها.

٥ ـ في حين مثل المجلس الأعلى للإفتاء أبرز محاولات تحرير الشام لإظهار استقلالية حكومة الإنقاذ والمؤسسات المدنية في المنطقة عنها، والذي أعلن عنه في شهر نيسان/ إبريل من العام ٢٠١٩.

٦ ـ وكان من الملاحظ خلال عرض أسماء أعضاء المجلس الأعلى للإفتاء وجود ٣ أعضاء مُشتَرَكِينَ بين المجلس الشرعي لتحرير الشام، والمجلس الأعلى للإفتاء وهم عبد الرحيم عطون، ومظهر الويس، ومصطفى حمدان، إضافة لكون الشخصيات الأخرى مقربة من تحرير الشام، وهو ما ينفي مزاعم استقلالية المجلس، ويؤكد كونه إحدى الواجهات الشرعية لتحرير الشام، كما بدا واضحا أن عمل المجلس متركز على إصدار الفتاوى الفقهية، المتعلقة بالأمور الحياتية، ومسائل المعاملات وغيرها، ولا شأن له بالفتاوى السياسية، المتعلقة بسياسات تحرير الشام، والتي تعد من اختصاص المجلس/ اللجنة الشرعية لتحرير الشام.

٧ ـ وعلى اعتبار عطون رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، وعضوا في المجلس الأعلى للإفتاء، فقد تطرق البحث لأبرز مواقفه ولملامح هويته الفكرية، التي تمثلت بالغلو في التكفير غير المنضبط للأعيان والجماعات، واستهانته بـ «الدماء المعصومة»، والذي بـدا واضـحا مـن خلال دعواته لقتال الفصائل الأخرى، سواء جبهة ثوار سوريا وحركة أحرار الشام وحركة نور الدين زنكي وغيرها من الفصائل، والتي خلفت مئات القتلى، ولعبت كلماته وفتاواه دورا كبيرا فيها تحريضا وتبريرا، وفق ذرائع مختلفة، إضافة لبراغماتيته، والتي ظهرت واضحة خلال التقلبات التي مر بها عطون، من الانقلاب على تنظيم الدولة ثم تنظيم القاعدة، ثم الانقلاب على نفسه وطروحاته القديمة، المتعلقة بالممارسات السياسية والعلاقات الدولية للفصائل، كما تطرق البحث لدور مظهر الويس الذي يعد عضوا في كلا المجلسين (المجلس الشرعي لتحرير الشام والمجلس الأعلى للإفتاء)، واستعرض أبرز مواقفه وملامحه منهجه وهويته الفكرية، مشيرا إلى أنه

من الممكن اعتبار أن مظهر الويس أكثر انضباطا في مسائل التكفير من المرجعيات الشرعية الأخرى لتحرير الشام، حيث بدا ذلك واضحا في كتابه «العلامات الفارقة في كشف دين المارقة» وكذلك في رسالته التي حملت عنوان «تحذير المتبع الحر من تكفير الجيش الحر (بحث تأصيلي في حكم الجيش الحر زمن الاستضعاف وفق ضوابط التكفير)» والتي نشرت في العام ٢٠١٤[1]، ليستعرض البحث في نهايته أبرز المرجعيات الشرعية المستقيلة/ المنشقة عن تحرير الشام والتي كانت جزءا من لجنتها الشرعية حين الإعلان عن تشكيلها عام ٢٠١٧، ويقع الاختيار على عبد الرزاق المهدي، وعبد الله المحيسني، واللذان بقيا مقربين من تحرير الشام على الرغم من إعلان استقالتهم/ انشقاقهم عنها.

٨ ـ وبالمجمل؛ فقد لعب الجناح الشرعي لتحرير الشام دورا كبيرا في شرعنة سياسات التنظيم، سواء على المستوى الداخلي المتمثل بالهجوم على الفصائل الأخرى، بذرائع وحجج مختلفة، أو على المستوى الخارجي، المتمثل بالتنسيق مع بعض الدول مثل تركيا، وقبلها فك الارتباط بتنظيم القاعدة، وكان للمجلس الشرعي/ اللجنة الشرعية الدور الأكبر في ذلك عبر البيانات التي يتم إصدارها، وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة للدور الكبير الذي لعبه عبد الرحيم عطون رئيس المجلس في استصدار تلك البيانات، ومواقفه التي تعد الأكثر تشددا تجاه الفصائل الأخرى، والأكثر براغماتية في الوقت ذاته على صعيد العلاقات الخارجية، كما بدا ذلك من خلال ردوده على الظواهري، وتصريحاته خلال مقابلاته مع بعض

---

(١) تحذير المتبع الحر من تكفير الجيش الحر (بحث تأصيلي في حكم الجيش الحر زمن الاستضعاف وفق ضوابط التكفير)، موقع نور سوريا، على الرابط:
https://syrianoor.net/article/925

الصحف الأجنبية حيث يبدو أن عطون هو من أبرز الشخصيات التي تتولى شرعنة التحرك السياسي والعسكري لتحرير الشام، في حين تراجع دور المجلس بشكل كبير عقب تشكيل حكومة الإنقاذ نهاية العام ٢٠١٧، ليتم تشكيل «المجلس الأعلى للإفتاء» الذي اقتصر دوره على إصدار الفتاوى الفقهية في الشؤون الحياتية والمعاملات بعيدا عن الشأن السياسي، وفي الوقت ذاته حافظ الجناح الشرعي لتحرير الشام على علاقات طيبة مع بعض مرجعيات تنظيم القاعدة، مثل أبي قتادة الفلسطيني، في حين شن انتقادات لاذعة تجاه شخصيات أخرى مثل أبي محمد المقدسي، كما استطاع احتواء الأعضاء المنشقين/ المستقلين، ودعوتهم لبعض الاجتماعات، وترك مساحة لهم في الشمال الغربي لسوريا في مجال الدعوة والخطابة، والتي انتقدت بدورها سياسات تحرير الشام وعلى وجه الخصوص هجومها على الفصائل الأخرى، مثل المهدي والمحيسني، التي تشكل شخصيات أقل تعصبا لتحرير الشام، إلا أنها تشترك معها في مساحات فكرية واسعة في كثير من القضايا والأمور، ما قد يتيح لعبها دورا تقريبا أو حواريا في قضايا محددة مثل التكفير والبغي، مع صعوبة فتح حوارات في قضايا أخرى قد يكون هذا التيار فيها أكثر تشددا من التيار المنضوي حتى اللحظة في تحرير الشام، مع الإشارة إلى أن كلا التيارين لا يملكان سلطة تؤهلهما لتغيير المسارات العامة لتحرير الشام والتي يستبد برسمها الجولاني باعتباره «القائد الشيخ»، ولا على المفاوضات السياسية التي يجريها التنظيم، ولا يمكن أن يشكلا ـ بحال من الأحوال ـ مدخلا لمحاولات التفاوض والحوار إن لم يكن ذلك بتوجيه من متزعم التنظيم أبي محمد الجولاني، إذ يمكن اعتبارهما متأثرين فيه أكثر من كونهم مأثرين عليه، ويقتصر دورهما ـ في المجمل ـ على الاستجابة للسياسات التي يرسمها وشرعنتها وتبريرها، فضلا عن

الخلافات الداخلية التي تعتري المرجعية الشرعية في تحرير الشام والتي تضعف بدورها من قدرة الجناح الشرعي على التأثير في القضايا المفصلية التي تواجه التنظيم.

٩ ـ كما يجب التنبه لقضية مهمة وهي أن كل الخلافات التي وقعت بين المرجعيات الشرعية لتحرير الشام من كآفة الاتجاهات والتيارات وكل المناظرات والردود كانت ضمن إطار السلفية الجهادية ولم تخرج أي من هذه المرجعيات عن الطريقة السلفية الجهادية في صياغة فكر جديد، فلم نلحظ انتقال أي من هذه المرجعيات إلى السلفية العلمية أو المدرسة المقاصدية أو المدرسة التقليدية الفقهية.

١٠ ـ كما أن حالة الانشقاقات التي شهدها الجهاز الشرعي لتحرير الشام لم تكن كلها في اتجاه واحد فبعض هذه المرجعيات انشق مندفعاً نحو المزيد من الغلو والتطرف أمثال (سامي العريدي الذي تحول للمسؤول الشرعي عن حراس الدين، وأبو اليقظان المصري، وأبو شعيب المصري وبعضها رفضاً لسياسة تحرير الشام في التطرف والقتال مع الفصائل وبعد فشله في التأثير على سياسة تحرير الشام مثل (عبد الرزاق المهدي، وعبد الله المحيسني، وعلي العرجاني ومصلح العلياني) والمرجعيات المتبقية ضمن تحرير الشام حالياً هي المرجعيات القابلة للتحول واتخاذ المواقف الأكثر برغماتية أمثال (عبد الرحيم عطون، ومظهر الويس، وأبو ماريا القحطاني وأبو الحارث المصري، وأبو الفتح الفرغلي).

١١ ـ إن العلاقة بين قيادة تحرير الشام وجهازه الشرعي لا يمكن أن نختزلها بمجرد الحاجة المتبادلة بين الطرفين،حيث تحتاج القيادة للغطاء الشرعي لقراراتها ويحتاج الجهاز الشرعي إلى قوة عسكرية يستعين بها لنشر أفكاره وتطبيقها، بل إنها علاقة معقدة جداً وقد تتحول إلى صراع ناعم بين الطرفين ولعب كل فريق

على اختلاف الأجنحة في الطرف الأخر ومحاولة تأمين المصالح المادية الخاصة والحفاظ على الموقع السلطوي بناء على هذه التحالفات وهو أحد أهم محددات هذه العلاقة.

١٢ ـ كان للنقاشات والحوارات التي جرت بين المشؤوليين الشرعيين داخل تحرير الشام وبين المسؤولين الشرعيين لتحرير الشام وعدد من الشرعيين السوريين دوراً مهما في إحداث قفزة وتطور مهم في فكر تحرير الشام أدى بها في النهاية لترك الجهاد العالمي ومحاربة التنظيمات الأكثر تطرفاً وبناء نموذج للحكم وقبول الشراكة مع الفصائل غير الجهادية وفتح العلاقات مع الدول المجاورة والتواصل مع المنظمات الغربية والظهور على وسائل الإعلام الغربية.

❋ ❋ ❋

الخلاصة

مثلت التجربة الجهادية في سورية الحالة المثلى لتفكيك فكر الجماعات الجهادية وصراعها مع بعضها البعض وتوجيه ضربة إيديولوجية قوية لتنظيمي القاعدة وداعش إلى درجة إعلان الجولاني في لقائه مع مجموعة الأزمات أن الفقه الإسلامي وفق المذاهب الأربعة المعتمدة هو مرجعية تحرير الشام ولا مرجعية لها غيره[1] وهو ما يثبت تراجع أوراق السلفية الجهادية تماماً في سورية والفكر السلفي بشكل عام الذي بدأ بالانزواء.

وهذا ما قد دفع تحرير الشام لفتح قنوات تواصل مع المجلس الإسلامي السوري الذي يمثل المرجعية التقليدية لأهل سورية، محاولاً كسب المشروعية والشرعية من هذا المجلس الذي يمتلك التأثير الأكبر اليوم في المشهد الديني السوري، وهذا ما يعني ان تحرير الشام حالياً في طريقها لخلع السلفية الجهادية نهائيا في حال اتجهت الحالة السياسية إلى الاستقرار، وذلك لأن السلفية الجهادية كفكر ومنظومة فكرية لا يمكن أن تعمل إلا في حالة الاحتراب ولا يمكنها أن تؤسس لمرحلة استقرار كما هو الحال في المدرسة التقليدية التي تعبر فعلياً عن المجتمع السوري والقادرة على إدارة صفقة مع السلطة تأخذ من خلالها السلطة الثقافية على المجتمع مقابل تنازلها عن السلطة السياسية المباشرة.

وبالعودة إلى عنوان الدراسة الذي انطلقنا منه للبحث في الدور والتحولات

---

(١) موقع إباء التابع لتحرير الشام:
https://ebaa.news/news/news-details/2020/02/65491/

والبنية فإننا نخلص إلى أن دور الجناح الشرعي لم يعد يسهم بصناعة القرار والتأثير على القيادة ويلعب دوراً مركزياً وتحول إلى دور ثانوي ورافعة مؤيدة وداعمة للقرار السياسي وموجه للجنود لإقناعه بقرارات القيادة.

أما في التحولات فقد تحول من إيديولوجيا السلفية الجهادية إلى هوية فكرية هجينة تتلاقي تارة مع السلفية وتارة مع الجهادية وتارة مع المدرسة التقليدية أو الإخوانية.

أما في البنية فقد تحولت البنية من النموذج الشبكي الشبكية اللامركزية إلى النموذج الفردي إلى النموذج الهيكلي والبنية الهرمية المركزية المنظمة التابعة للقيادة مباشرة.

مع إعلان جبهة النصرة فك ارتباطها بتنظيم القاعدة في العام ٢٠١٦، تعزز دور المرجعيات الشرعية المحلية، التي أخذت في بعض الأحيان بفتح سجالات مع منظري وقيادات تنظيم القاعدة، وكتابة الرسائل والردود عليها، ونقد منهجها في بعض الأحيان، وبرزت أسماء عديدة مثل عبد الرحيم عطون رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، ومظهر الويس القاضي في التنظيم وعضو مجلس الإفتاء، وعبد الرزاق المهدي، الذي استقال من هيئة تحرير الشام، كما برز دور لبعض المرجعيات الأجنبية التي دخلت سوريا مثل أبو اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري أيضا، وعبد الله المحيسني سعودي الجنسية، وغيرهم، وقد أعلن بعضهم استقالته من تحرير الشام، لأسباب مختلفة، في حين بقي الآخرون ضمن صفوف التنظيم، من جهة أخرى، وبعيدا عن «المرجعيات الفردية» التي تشكل المرجعية الشرعية لتحرير الشام وتحولاتها السابقة، فقد شكل «المجلس الشرعي

لتحرير الشام» ككل، وكذلك «المجلس الأعلى للإفتاء في المناطق المحررة» أهم مؤسستين شرعيتين لعبتا دوراً مرجعيًّاً لتحرير الشام، بما يتعلق بالفتاوى والأحكام المختلفة، وكذلك شرعنة السياسات التي تنتهجها تحرير الشام.

وبالمجمل؛ فقد لعب الجناح الشرعي لتحرير الشام دورا كبيرا في شرعنة سياسات التنظيم، سواء على المستوى الداخلي المتمثل بالهجوم على الفصائل الأخرى، بذرائع وحجج مختلفة، أو على المستوى الخارجي، المتمثل بالتنسيق مع بعض الدول مثل تركيا، وقبلها فك الارتباط بتنظيم القاعدة، وكان للمجلس الشرعي/ اللجنة الشرعية الدور الأكبر في ذلك عبر البيانات التي يتم إصدارها، وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة للدور الكبير الذي لعبه عبد الرحيم عطون رئيس المجلس في استصدار تلك البيانات، ومواقفه التي تعد الأكثر تشددا تجاه الفصائل الأخرى، والأكثر براغماتية في الوقت ذاته على صعيد العلاقات الخارجية، كما بدا ذلك من خلال ردوده على الظواهري، وتصريحاته خلال مقابلاته مع بعض الصحف الأجنبية حيث يبدو أن عطون هو من أبرز الشخصيات التي تتولى شرعنة التحرك السياسي والعسكري لتحرير الشام، في حين تراجع دور المجلس بشكل كبير عقب تشكيل حكومة الإنقاذ نهاية العام ٢٠١٧، ليتم تشكيل «المجلس الأعلى للإفتاء» الذي اقتصر دوره على إصدار الفتاوى الفقهية، وفي الوقت ذاته حافظ الجناح الشرعي لتحرير الشام على علاقات طيبة مع بعض مرجعيات تنظيم القاعدة، مثل أبي قتادة الفلسطيني، في حين شن انتقادات لاذعة تجاه شخصيات أخرى مثل أبي محمد المقدسي، كما استطاع احتواء الأعضاء المنشقين/ المستقيلين، ودعوتهم لبعض الاجتماعات، وترك مساحة لهم في الشمال الغربي

لسوريا في مجال الدعوة والخطابة، والذين انتقدوا بدورهم سياسات تحرير الشام وعلى وجه الخصوص هجومها على الفصائل الأخرى، مثل المهدي والمحيسني، التي تشكل شخصيات أقل تعصبا لتحرير الشام، إلا أنها تشترك معها في مساحات فكرية واسعة في كثير من القضايا والأمور، ما قد يتيح لعبها دورا تقريبا أو حواريا في قضايا محددة مثل الحد من التكفير والبغي، مع صعوبة فتح حوارات في قضايا أخرى قد يكون هذا التيار فيها أكثر تشددا من التيار المنضوي حتى اللحظة في تحرير الشام، مع الإشارة إلى أن كلا التيارين لا يملكان سلطة تؤهلهما لتغيير المسارات العامة لتحرير الشام والتي يستبد برسمها الجولاني باعتباره «القائد الشيخ»، ولا على المفاوضات السياسية التي يجريها التنظيم، ولا يمكن أن يشكلا ـ بحال من الأحوال ـ مدخلا لمحاولات التفاوض والحوار إن لم يكن ذلك بتوجيه من متزعم التنظيم أبي محمد الجولاني، إذ يمكن اعتبارهما متأثرين فيه أكثر من كونهم مأثرين عليه، ويقتصر دورهما ـ في المجمل ـ على الاستجابة للسياسات التي يرسمها وشرعنتها وتبريرها، فضلا عن الخلافات الداخلية التي تعتري المرجعية الشرعية في تحرير الشام والتي تضعف بدورها من قدرة الجناح الشرعي على التأثير في القضايا المفصلية التي تواجه التنظيم.

❋❋❋

هيكلية المرجعية الشرعية لتحرير الشام وأعضائها

الشرعيين الذين تناوبوا على المركز الشرعي العام في تحرير الشام في كل تحولاتها السابقة من جبهة النصرة حتى اليوم

الاتجاهات الشرعية في تحرير الشام عبر تحولاتها السابقة

وهناك حالات فردية انشقت مبكراً عن جبهة النصرة لأسباب فكرية وهم (الشيخ علي العرجاني الكويتي والشيخ شريف هزاع المصري) اللذين انشقا عن القاعدة فكراً وتنظيما في وقت مبكر.

المرجعية الدينية
في حراس الدين،
البنية والدور

عرابي عبد الحي عرابي

المحتويات

المحتويات..... ٩٧

ملخّص تنفيذي ٩٩

مقدمة..... ١٠٧

١. «حراس الدين» قصة النشأة والأيديولوجيا..... ١١٠

١. ١: جبهة النصرة، منهجُ القاعدة في سوريّة..... ١١٠

١. ٢: تسلسل التحوّلات..... ١١١

١. ٣: «حراس الدين» نشأة التنظيم وتموضُعه ١١٩

٢. أبرز مكوّنات التنظيم بين البعد المحلّي والعالمي..... ١٢٤

٢. ١: بينة القيادة في «حراس الدين» ١٢٦

٣. الحضور الشرعي في تنظيم حراس الدين، بين الأيديولوجيا والدور ١٤١

٣. ١: الشرعي والخطاب الأيديولوجي ١٤١

٣. ٢: مساحات فاعلية الشرعيين في حراس الدين..... ١٤٧

١. دور الشرعيين في الانفصال عن الهيئة وتأسيس حراس الدين: ١٤٧

٢.حضور الشرعي داخل التنظيم، بين الفرض والرفض..... ١٥٤

٣. السعي لترسيخ الخطاب الجهادي..... ١٥٩

٤. الشرعي والتأسيس للفعل السياسيّ..... ١٦١

٥. حراس الدين بين هدم العلاقات وبنائها ١٦٥

الخاتمة ١٧٧

❊ ❊ ❊

ملخّص تنفيذي

تهـدف هـذه الدراسة إلـى الكشف ـ قدر الإمكان ـ عن بنية تنظيم «حراس الدين» والدور الذي يضطلع به علماؤه أو «شرعيوه» في ظل تردّي الحالة التنظيمية والتفكّك الذي وصل إليه الفصيل شمال غرب سورية، إضافة إلى بيان مدى القناعات الأيديولوجية التي تقرّبه من التيار الجهادي العالمي، لا سيّما في ظل العلاقة الجدلية التي تربطهم بالخطاب الجهادي والتنظيمات الجهادية في المنطقة.

ينحصر النطاق الزمني لهذه الدراسة بين ٢٠١٢ ـ ٢٠٢١، وبالتالي فإنها تعبّر عن الحالة التنظيمية لحرّاس الدين خلال فترة ما قبل تشكله الرسمي في سورية وبعدها، وقد اعتمدت الدراسة منهجًا مقارنًا بين الوصف والتحليل والعرض التاريخي، بهدف رصد أهم المراحل التي مرّ بها هذا الفصيل، والتحولات التي عرفها بناءً على قدرة الخطاب «الشرعي» أو الجهادي في التأثير فيه.

توصلت الدراسة إلى أن أسس القناعات الأيديولوجية لدى القادة ـ شرعيين وغيرهم ـ من جهة، وظـهور طبقة جديدة في جبهة فتح الشام ـ هيئة تحرير الشام الآن ـ تزاحمهم في المسؤولية والاستقطاب الفكري واتخاذ القرار، كان عاملًا أساسيًّا في الانفصال عن الهيئة إبّان تشكيلها.

اضطلع الشرعيون في حرّاس الدين بعدّة أدوار هامة أبرزها:

١ ـ إدارة المفاوضات مع مختلف الجهات، سواءً مع الفصائل القريبة منهم أثناء تأسيس الفصيل أو في التحريض ضد هيئة تحرير الشام للانفصال عنها أو في رفض أفكارها وتوجهاتها أو حتى في محاولة استمالتها تجاه نقطة ما أو موقف معيّن، وهذا ما تمثّل من خلال المواقف الرافضة للانفكاك عن القاعدة ثم الجهود المكثفة لتشكيل تنظيم جديد بدفعِ كُلٍّ من سمير حجازي أبو همّام الشامي قائد الهيئة العسكري والقائد العام لحراس الدين حاليًّا، ود. سامي العريدي ـ الشرعي العام للهيئة سابقًا ولحراس الدين لاحقًا ـ والشيخ بلال خريسات أبو خديجة الأردني ـ أمير جبهة النصرة في الغوطة الشرقية سابقًا ـ والشيخ إياد الطوباسي أبو جليبيب الأردني ـ أمير جبهة النصرة جنوب سورية سابقًا ـ والشيخ ساري محمد حسن شهاب أبو خلّاد المهندس ـ الأسير المحرر عام ٢٠١٥ من إيران، والقائد خالد العاروري أبو القسام الأردني المحرر مع أبي خلاد المهندس، إلى جانب بعض الرموز الرافضة للانفكاك عن القاعدة كأبي يحيى الجزائري.

٢ ـ إدارة التوجّه الفكريّ والإعلان عنه، فبالإضافة إلى دورهم في التأسيس فقد كانت بياناتهم وشهاداتهم المرئية والمسجّلة ومقالاتهم المكتوبة المعبّر الواضح عن الوجه الفكري الذي يظهرُ توجّهات التنظيم، وجسرًا يربط عناصر التنظيم مع تنظيرات علماء التيار الجهاديّ كأبي محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني وعطيّة الله الليبي.

٣ ـ استطاع الشرعيّون إلى جانب ذلك، رسم الرؤى الرئيسة في صفوف العناصر المنتسبة إليهم، من خلال تشكيل قناعاتهم الأيديولوجية تحت راية التنظيم عبر تقرير جملة من المبادئ كالولاء والبراء والحاكمية ومعاني التوحيد وحرمة القتال تحت الراية العلمانية أو العميّة، ورفض الاتفاقات الدولية، والحرص على

غرس ذلك ونشره على مختلف المستويات والظروف، سواء في الدورات التدريبية أو الشرعية أو الأحاديث الوعظيّة البينيّة في مختلف الأحوال.

خلصت الدراسة إلى أن الحالة الأيديولوجية في تنظيم حراس الدين لا تختلف عن الرؤية العامة لتنظيم القاعدة مع ميلٍ واضحٍ للركون في بعد سوريّة المحلّي، كما أنّ استراتيجية التنظيم الميدانية ـ من خلال مقاطعة عدّة حيثيّات ـ ترسَم وفق ثلاثة مستويات قيادية متصلة، وهي: المستوى المحلي عبر القيادات المتموضعة داخل سورية حيث يؤدي الشرعيون فيها دورًا مهمًّا، أما القرارات الاستراتيجية على المستوى الإقليمي فيترأس ـ إلى جانب الدائرة المحلّية السوريّة ـ تخطيط هذا الجانب كلٌّ من سيف العدل محمد صلاح زيدان وأبو محمد المصري الذي اغتيل في طهران قبل عدة شهور، أما المستوى العالمي فتشترك فيه الدائرتان مع قائد التنظيم أيمن الظواهري.

ترجّح الورقة دور سيف العدل الجوهري في تشكيل التنظيم من خلال منحه الموافقة الأكيدة على ذلك ـ باعتباره نائب الظواهري والأقرب على واقع الأرض والمخوّل بإدارة ملف القاعدة في سورية ـ إلى جانب أنه أراد جعل تنظيم حراس الدين وكأنّه نسخة مطوّرة من تنظيم التوحيد والجهاد الذي أداره أبو مصعب الزرقاوي في العراق، ومن ثمّ كان اعتماده على دائرتين مقرّبتين منه، الأولى كانت معه في العراق وأفغانستان ممثّلة بأبي القسام الأردني، وأبي خلاد المهندس، وسمير حجازي أبو همام الشامي، وأبو خديجة الأردني، وتتشكّل الثانية من الالتقاء الفكري مثل «أبو جليبيب الأردني» ود. سامي العريدي الذين يلتقون معه بالقرب من أبي محمد المقدسي والولاء المطلق لأفكار القاعدة، إلا أن الظروف المختلفة بشكل مطلق بين التشكيلين سواء الفرق بين أجواء غزو العراق عام ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤

من ناحية وحاجة المقاومة العراقية الوليدة إلى أي جهد ضد المحتل ممّا يقويّ أوراقها ويجمع شتاتها من ناحية أخرى، مقارنة بتراجع مساحات الحرب وفرض اتفاقات دوليّة في سورية، وظهور تنظيم هيئة تحرير الشام الذي فرض سيطرته على الفضاء الأمني والعسكري في مناطق انتشار تنظيم حراس الدين، كل ذلك أسهم في فشل هذا المشروع وظهور عثرات أوصلت ـ تدريجًا ـ لاتخاذ التنظيم قرار عدم الظهور في الساحة والدخول في مرحلة الكمون الطويلة.

بالرغم من عدم وجود مجلس فتوى أو مجلس شرعي عام في التنظيم يجمع الشرعيين في صفوفه بشكل متمايز، إلا أنه اعتمد في بنيته الإدارية على الشرعيين من ذوي الخبرات المزدوجة، إذ نال عضوية مجلس الشورى اثنا عشر شخصًا يمكن وصفهم بأنهم شرعيّون من أصل خمس عشرة عضوًا، فإلى جانب أن شرعيّ التنظيم العام متخصص في علوم الحديث النبويّ، فإن رئيس مجلس الشورى قائدٌ عسكريّ لجيش الملاحم وشرعيّه في الوقت نفسه، أما قائد التنظيم العسكريّ أبو القسّام الذي اغتيل وسط عام ٢٠٢٠ وأبو خديجة الأردني وأبو خلاد المهندس فقد كانوا ـ إلى جانب كونهم من مجلس الشورى ـ من الدائرة المقربة للزرقاوي وأبي محمد المقدسي، وكذلك تسنّم أبو أسامة الشوكاني إدارة شؤون الدعوة والحسبة وهو شرعي يمنيّ، أما القضاء العام فقد كان بيد كلٍّ من أبي عمرو التونسي، ثم أبي ذر المصريّ، وهما شرعيان أيضًا، وكذا مسؤوله الأمنيّ العامّ؛ وهذا يشير لأهمّية الشرعيّين في قيادة التنظيم ويؤكّد دقة الأدوار التي يضطلعون بها.

إلى جانب هذا فإنه ينبغي ملاحظة أن اختلاف النظرة الشرعية أو الأيديولوجية بين طرفين في مجلس الشورى كانَ سببًا في شقاق داخليّ في التنظيم سرعان ما تطوّر إلى فصل وإبعاد كلٍّ من «أبـو ذر المصري» و«أبو يحيى الجزائري» و«أبو

الوزّان اليماني» الرافضين لأي عملية عسكرية مشتركة مع فصائل الجيش الحر أو هيئة تحرير الشام؛ الأمر الذي تطور إلى شقاق داخلي تجمهر فيه عناصر من «المصريين، والجزائريين، والتونسيين» ضد القيادة العامة، مستندين فيها إلى سلطة القضاء العام بقيادة الشرعي أبو عمرو التونسي الذي وقف مع الفريق المفصول ضد القيادة ـ قبل اغتياله ـ إلا أن وساطات من المرجعيات العلمائية ممثلة بالوساطة الخاصة لأبي محمد المقدسي، وتوجيهات من قيادة تنظيم القاعدة لرأب الصدع في مواجهة أخطار التفتت أمام الحملات المختلفة ضدهم، كل ذلك سمح بعودتهم بشكل غير علني مع احتفاظهم بمراتبهم الإدارية.

اعتمدت الورقةُ بشكل أساس على المعلومات الخاصة التي استقاها الباحث من مقابلة عدة أشخاص انضم بعضهم لحراس الدين إضافة إلى أشخاص آخرين ـ سلفيّين ـ مستقلّين قريبين من التنظيم، إلى جانب مقاطعة كثيرٍ من تلك المعلومات مع المصادر المفتوحة.

الشكل (١) هيكل البنية القيادية في حراس الدين

القيادة التنفيذية[١]			
القيادة العامّة للتنظيم	المسؤول الشرعيّ العامّ	المسؤول الأمنيّ العامّ	القائد العسكريّ العامّ
سمير حجازي ـ أبو همّام الشامي	د. سامي العريدي ـ أبو محمود الشامي	محمد نمّوس ـ أبو حمزة الدرعاوي	خالد العاروري ـ أبو القسّام الأردني

(١) يجب التنبّه إلى أن القيادة التنفيذية جزء من مجلس الشورى، كما أن أفراد القيادة التنفيذية برمّتهم من الوجوه الأيديولوجية للتنظيم عدا المسؤول الأمني الذي لم يبلغ رتبة البقيّة علميًّا.

الشكل (٢) القيادة التشريعية في حراس الدين

القيادة التشريعية (مجلس الشورى)	
رئاسة المجلس	
ـ أبو خديجة الأردني، (بلال خريسات) شرعي وقيادي عسكري. ـ أبو عبد الرحمن المكي ـ شرعي وقائد جيش الملاحم.	
القاضي العامّ	المسؤول الدعوي العامّ
ـ «أبو عمرو التونسي»[١] ثم ـ أبو هريرة المصري[٢]	ـ أبو أسامة الشوكاني[٣] عُرف من المنتسبين إلى مكتبه: الشيخ حسين علي جاويش الذي قتل على يد عناصر من الهيئة في حزيران ٢٠١٨. الشيخ أبو محمد السوداني الذي اغتاله التحالف في آب/ أغسطس ٢٠٢٠ أبو يحيى الجزائري.
إياد الطوباسي «أبو جليبيب الأردني»[٤].	أبو ذرّ المصري[٥]

(١) شرعي من تونس، لا توجد معلومات عنه كثيرة، اغتاله التحالف بتاريخ ٣٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٩ إلى جانب قادة آخرين. سيأتي تفصيل الخلاف بينه وبين قيادة حراس الدين.

(٢) نجل أبو الفرج المصري الذي اغتاله التحالف عام ٢٠١٧ ـ وهو معتقل لدى هيئة تحرير الشام منذ فبراير/ شباط ٢٠٢١.

(٣) وهو في منصبه منذ تأسيس التنظيم ويرأس مركز التوحيد للحسبة والدعوة داخل التنظيم، إلا أنه لا أخبار أو معلومات عنه منذ حزيران ٢٠٢٠، ومكتبه مسؤول عن إجراء الفعاليّات الدعويّة مع الناس - خيَم دعوية، ومسابقات، وجولات، إلخ ـ ومسؤول عن جهاز الحسبة في التنظيم.

(٤) وهو شرعي إلى جانب كونه من المسؤولين في الجهاز الأمني للتنظيم، وقد اغتيل بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٨للمزيد من المعلومات عن الطوباسي واغتياله، ينظَر: مقتل إياد الطوباسي أبرز قياديي «القاعدة» في سورية، عنب بلدي، https://bit.ly/3AEsTIt

(٥) وهو شرعي إلى جانب كونه من المسؤولين الجهاز الأمني للتنظيم، وقد اعتقلته الهيئة في السادس من أبريل/ نيسان ٢٠٢١

أبو عبد الكريم المصري، وهو شرعي إلى جانب كونه من المسؤولين عن الجهاز الأمني للتنظيم[1]، إلا أنه مختفٍ عن الساحة منذ مطلع عام ٢٠٢٠	أبو يحيى الجزائري، شرعي وهو من القيادات العسكرية في التنظيم، وهو معتقل لدى هيئة تحرير الشام منذ حزيران/ يونيو ٢٠٢٠
أبو محمد السوداني، شرعي ومسؤول عن الدعوة في المعسكرات والدورات الداخلية في التنظيم[2]	خلاد الجوفي، وهو شرعي قاطع جيش الساحل ـ معتقل لدى هيئة تحرير الشام منذ حزيران/ يونيو ٢٠٢٠.

تؤكّـد الورقـة أن فاعلية الشـرعيين في مختلـف الملفّات الأمنيـة والتنظيمية جـاءت من تلاقي سـببين:

١ ـ قربهم من قيادة تنظيم القاعدة وامتلاكهم تاريخًا جهاديًّا طويلاً إلى جانب تماهيهم مع خطابها، مما جعلهم في مستوى المرجعية لدى عموم عناصر التنظيم.

٢ ـ تموضعهم في مفاصل إدارة التنظيم، حيث إن دور الشرعيّ لا يستمدّ من وظيفته ورمزيّته الأيديولوجية بشكل محض، وإنما لكونه ممسكًا بالبنية التراتبيّة داخل التنظيم، وبالتالي فهو يمتلك قرارات الإقرار والإقصاء والتأكيد والتنفيذ والتوجيه، مما يجعله مسموع الكلمة والتوجيه، مطاعًا في أمره وطلبه.

وبالنظر إلى جملة من المعضلات التي يعانيها التنظيم، مثل حالة التفتت وتفكيك هيئة تحرير الشام لهيكليته التنظيمية والإدارية، وغياب وجوهه الشرعية

(١) عرض برنامج مكافآت من أجل العدالة جائزة بمقدار ٥ ملايين دولار، لمن يدلي عن المصري بمعلومات تثبت مكانه، وقد وصفته الخارجية الأمريكية بأنه «كان وسيطًا مهمًّا بين حراس الدين وهيئة تحرير الشام» وأنه مقرب للغاية من أيمن الظواهري، ينظر أبو عبد الكريم المصري، مطلوب للعدالة، على موقع المكافآت من أجل العدالة، على الرابط الآتي: https://bit.ly/3huJebv

(٢) استهدفه طيران التحالف بتاريخ ١٥ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠٢٠، وتوفي متأثرا بجراحه في ٢٧ من الشهر ذاته، وكان للسوداني مساعٍ تفاوضية في محاولة تخفيف الحملة القائمة ضد الحراس من قبل الهيئة، حيث خاطب الجولاني مرتين قبل اغتياله، عرض في أحداهما تكليف أبي قتادة الفلسطيني بالوساطة والتحكيم بين الطرفين

بين الاختفاء والاعتقال والاغتيال؛ فإنه من المرجّح أن يؤول الخطاب الفكري عند الشرعيين المتبقين ـ العريدي، أبو عبد الرحمن المكّي، أبو همّام الشاميّ ـ في الأزمنة القادمة إلى مهادنة توجهات هيئة تحرير الشام والقوى الحاكمة للمنطقة، إلى جانب وجود إمكانية لمراجعة مقتضيات أفكار التوحيد والحاكمية والولاء والبراء، ومن ثمّ فإن الورقة توصي بضرورة التواصل مع القادة المؤثرين ـ شرعيين وغيرهم ـ في هذا التنظيم ـ أو غيره ـ بهدف فتح أبواب الحوار، حيث إن ذلك بابٌ لا بدّ من فتحه جيّدًا للإسهام في الدفع نحو الاعتدال والتراجع عن أساليب العنف، مع التنويه إلى ضرورة أن يكون منفّذو هذه الخطوات من ذوي العلم الشرعي ـ من جهة ـ وأصحاب العلاقات الداخليّة مع المؤثرين في التنظيمات الجهادية ـ من جهة أخرى ـ.

***

مقدمة

أُعلِن عن تأسيس فصيل حرّاس الدين ـ رسميًّا ـ في ٢٧ فبراير/ شباط ٢٠١٨[١]، وذلك بعد أسابيع من رفض أبي همّام الشامي ـ قائد التنظيم ـ أي عمل للجنة الفصل ـ الشرعية ـ التي أسستها هيئة تحرير الشام[٢]، ويمكن ملاحظة تأثير الحضور الفكري والأيديولوجي لدى التنظيم باعتباره فصيلاً مقرّبًا من تنظيم

(١) للاطلاع على بيان التأسيس ينظر ـ على موقع «على بصيرة» ضمن مقال ـ «تنظيم حراس الدين، وجه جديد للقاعدة في سورية» عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2TA4wLI

(٢) أصدر أبو همام الشامي في ٥/ ١٢/ ٢٠١٧ بيانا يعلن فيه عدم اعترافه بلجنة الفصل التي أسستها هيئة تحرير الشام في ٢/ ١٢/ ٢٠١٧ إثر الخلاف حول شرعية العمل باسم هيئة تحرير الشام بعد رفض الظواهري الانفصال عن تنظيم القاعدة، وتأسيس تنظيم جبهة فتح الشام ثم الاندماج ضمن هيئة تحرير الشام، وأنهم يعترفون فقط بمبادرة والصلح خير التي يرعاها مشايخ التيار الجهادي، ينظر: الصراع في «فتح الشام» وصولاً لـ «هيئة تحرير الشام» بين مؤيد ورافض لفكر القاعدة يفتح باب مواجهة معلنة، عبر شبكة شام، على الرابط الآتي: https://bit.ly/3xgHSq7، ويمكن تحميل بيان أبي همام الشامي في رفض لجنة الفصل، على الرابط الآتي https://bit.ly/3xiUyN5 أما لجنة الفصل فقد كانت برئاسة أبو عبد الكريم المصري، وعضوية أبي مالك الشامي ـ عبد الرحيم عطون ـ وأبي قتادة الألباني ومختار التركي ومصعب الشامي، وسيكون من مهام اللجنة أيضا كفالة القادة المعتقلين والإشراف على إطلاق سراحهم، وأمرت اللجنة الجميع بعدم إثارة الخلاف بين الفريقين، ينظر: إعادة تفعيل مبادرة «والصلح خير» لحل القضايا العالقة بين هيئة تحرير الشام ومناصري القاعدة، شبكة شام: على الرابط الآتي: https://bit.ly/36jpgcZ

القاعدة ووجهًا معبّرًا عن تطلعاته وإن لم يعلَن عن ذلك بشكل صريح، فهو «تنظيم إسلامي من رحم الثورة السورية المباركة، يسعى لنصرة المظلومين وبسط العدل بين المسلمين، والإسلام هو مصدر التشريع»[١]. ورغم عدم الإشارة إلى ارتباطه بتنظيم القاعدة، إلا أنّ «حراس الدين» مكوّن قاعديٌّ دون شك[٢].

يمكن فهم رؤية شرعيي التنظيم للساحة العلمائية أو الشرعية بأن أفرادها إما علماء عاملون، «يقفون في وجه الطواغيت سواء باليد أو اللسان أو بكليهما معًا»[٣]، ومنهم الشيخ أبو محمد المقدسي، الذي يعدّ من مراجعه الشرعية المعتبرة، إضافة إلى العلماء الذين يرفضون الانحياز للحكومات، ويرفضون الانسياق مع دعوات الخضوع للاتفاقات الدولية الخاصة بالشمال السوري، ومنهم الشيخ عبد الرزاق المهدي[٤] أما العلماء الصامتون عن نقد الطغاة أو الخاضعون لفصيلٍ «مرتدٍّ»

---

(١) للاطلاع على بيان التأسيس ينظر ـ على موقع «على بصيرة» ضمن مقال ـ «تنظيم حراس الدين، وجه جديد للقاعدة في سورية» عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2TA4wLI

(٢) وهذا ما أكّدته جميع المصادر التي التقاها الباحث، ففي لقاءات المشايخ والقادة والشرعيين مع العناصر كان الجميع يشير للظواهري بـ «الأمير» و«شيخنا».

(٣) من مقابلة الباحث مع «أبو مجاهد القوقازي» عبر تطبيق واتس أب في حزيران ٢٠٢١ ـ وهو عنصر سوري منتسب لحراس الدين ويقيم في إدلب ـ ويقاطع كلامه مع كلام أبو أسامة الألماني ـ عنصر ألماني تركي الأصل انضم إلى جبهة النصرة عام ٢٠١٤ واستمر في صفوفها ـ فتح الشام، هيئة تحرير الشام ـ إلى حين تأسيس حراس الدين، حيث انتقل إليه، وقد اعتقلته الأجهزة الأمنية التركية مطلع ٢٠١٩، وحكم بالسجن ٥ سنوات إلا أن التماسًا قدّم للقضاء سبب في الإفراج عنه أواخر ٢٠٢٠ بعد تخفيف الحكم عنه إلى سنتين، وقد خرج بعد قضاء سنة ونيّفٍ منها، قابله الباحث في إسطنبول مطلع شهر حزيران ٢٠٢١ بعد وساطات من مقربين منه.

(٤) كما ذكر أبو مجاهد القوقازي في مقابلتي معه.

فهؤلاء مرتدون مثله[1]، إضافة إلى ذلك فثمة علماء وطلاب علم يرتبطون مع الفصائل المجاهدة في التنظيمات المختلفة القريبة من منهج القاعدة، ويحتل هؤلاء «العلماء» أو «الشيوخ» أو «الشرعيون» أو «المُفْتُون» على اختلاف أسمائهم، مكانة خاصة في «التيار الجهادي» تتجاوز تلك التي لهم في الحركات الإسلامية السياسية، مثل «الشيخ عطية الله الليبي» ود. «سامي العريدي» ولهم فيها تأثير واضح؛ إذ يتقدم في التيارات الجهادية خطاب القتال والتضحية على ما سواه من الوظائف التي تؤدّيها هذه التنظيمات في سبيل التمهيد لإقامة «دولة الخلافة» التي لن تقوم إلا على أنقاض الدولة الحديثة، وهذا يتطلب مواجهة الأنظمة المحلية السائدة والنظام الدولي نفسه ودمويًّا، وبالتالي فإنه بأمس الحاجة لشرعية دينية فائقة، أي إنه يحتاج خطابًا دينيًّا مكثَّفًا ليبرر بشكل كافٍ شرعية توجهاتها ومقولاتها.

من هذا المنطلق، كان لا بد من الوقوف عند رمزية ودور الشرعي في فصيل تنظيم حراس الدين، وذلك بهدف تبيّن الحالة الحقيقيّة التي استدعت عددًا من الشخصيات المنتسبة لتنظيم القاعدة اتخاذ القرار بعدم الاستمرار العملي والنظري في هيئة تحرير الشام وتأسيس فصيل منفكٍّ عنها وصولاً إلى دراسة تأثير الشرعيين فيه من حيث اتخاذ القرار وزرع الأيديولوجية والتعامل مع الآخر.

تعود أهمية الدراسة المقترَحة إلى الحاجة الملحّة لرصد دور الشرعي في

---

(١) شاع في أوساط هيئة تحرير الشام أن سبب اعتقال كلٍّ من الشرعي أبي عبد الرحمن المكي في حراس الدين وخلاد الجوفي الشرعي والقيادي في جيش الساحل التابع للحراس الدين هو تكفيرهم للهيئة واعتبارها فصيل ردة، ينظَر «الفقرة الثامنة» من الرسالة المتداولة في غرفة على تلغرام لهيئة تحرير الشام، قامت بتسريبها قناة «رد عدوان البغاة» على الرابط الآتي: https://t.me/tapaiwr/2673

التنظيمات الجهادية عمومًا ـ والتركيز هنا على تنظيم حراس الدين ـ والتعرّف إلى آليات تأثيره فيها، بهدف الوقوف على الدور الذي يمكن للشرعي ارتياده وقياس النتائج التي تصل إليها الدراسة مع الدراسات التي قد تنجَز في هذا السياق.

١. «حراس الدين» قصة النشأة والأيديولوجيا

١. ١: جبهة النصرة، منهجُ القاعدة في سوريّة.

وجد «الجهاديون» وأفراد تنظيم القاعدة لأنفسهم موطئ قدم في سوريّة إثر اندلاع الثورة فيها عام ٢٠١١، مستفيدين من الحراك الجماهيري، وقد مكّنهم انطلاق العمل المسلّح في سوريّة من إنشاء كتائب وألوية تعتمد تنظير الخطاب الجهادي السائد في تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة ـ قبل الانشقاق ـ بهدف «نصرة أهل الشام» باسم جبهة النصرة لأهل الشام التي لم تعلن عن ارتباطٍ مسبَق لها[١]، ساعيةً لتشكيل إمارة إسلاميّة في البلاد بهدف تطبيق الشريعة، ومع تطوّر الأحداث وظهور تنظيم الدولة في سوريّة علنًا، اضطرّ أبو محمّد الجولانيّ ـ المعروف باسم محمد حسين الشرع ـ للانفكاك عن تنظيم الدولة الإسلاميّة ـ التي ابتُعِث من قِبَلها إلى سورية في الأساس ـ معلنًا عن تبعيّة جماعته لتنظيم القاعدة، وذلك ليحافظ على صفوف تنظيمه وقوّته من التفكّك أو الذوبان في فصائل أخرى، خاصة أن أبرز وجوه القاعدة مثل سامي العريدي، و«أبو جليبيب الأردني»، و«أبو الخير المصري»، و«أبو همّام الشامي»، لم يبايعوا تنظيم الدولة الذي كان تنظيمًا تابعًا للقاعدة في العراق ثم في سوريّة، ممّا أسهم في الإبقاء على الوجوه القويّة في جبهة

(١) ينظَر بيان إعلان تشكيل جبهة النصرة لأهل الشام على موقع أرشيف، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2vjlzFy وقد كان إصدار الإعلان بتاريخ: ٢٤/ ١٢/ ٢٠١٢.

النصرة تحت قيادته وأكسبه ذلك قوّة رمزيّة لدى الجماعات الجهادية التي لم تبايع تنظيم الدولة.

كشفت سلسلة من التحوّلات اللاحقة عن وجود تغيُّر في التعامل مع نهج القاعدة لدى الجولاني[1]، إلى جانب سعيه للاستئثار بالسلطة عبر تشكيل هيئة حكومة «حكومة الإنقاذ» تعَدُّ ذراعًا ووجهًا مدنيًّا لسلطته العسكرية، بالتوازي مع إقصاء الوجوه الجهاديّة الموالية للقاعدة والتضييق على تحركاتها الأمنية والعسكرية، مما أدى في نهاية المطاف إلى الانفصال الواضح بين الطرفين وتشكيل تنظيم حُراس الدين الجهاديّ، والانتقال من حالة الاندماج إلى الانفصال والمواجهة.

١. ٢: تسلسل التحوّلات

أ. من الخليّة إلى الجبهة:

في شهور الثورة الأولى عرض أبو محمد الجولاني[2] على أبي بكر البغدادي

---

(١) سيأتي مزيد من التفصيل في الفصل الحالي، ولمزيد من التفاصيل ينظَر: مقال، عرابي عبد الحي عرابي، مركز جسور للدراسات، هيئة تحرير الشّام بين البراغماتيّة والإيديولوجيا الملتبسة، https://bit.ly/3mQMNvo، ومن الجهاد العالمي إلى النظام المحلي: «هيئة تحرير الشام» تبني أشكالاً مختلفة من الشرعية، هارون ي زيلين، معهد واشنطن للدراسات، عبر الرابط: https://bit.ly/3yBfS0n

(٢) سوري ينتمي لمناطق جنوب سوريا ـ الجولان ـ نازح مع أسرته، تنقل في سورية بين دير الزور ودمشق، وسافر إلى العراق عقب الاحتلال الأمريكي وانضم إلى تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين من خلال انضمامه لسرايا أنصار الإسلام، وهناك استطاع تأسيس علاقات واسعة مع الوجوه الجهادية، إلى أن تقرب من قائد تنظيم الدولة أبي بكر البغدادي عام ٢٠٠٩ وما بعدها.

أمير تنظيم دولة العراق الإسلامية خطة مفصلة تهدف تأسيسَ جماعة جهادية في سوريّة، وطلب منه الدعم والتمويل، وقد وافق البغدادي على المقترح فأذن له بالخروج إلى دمشق[1]، ولم يمض وقت طويلٌ حتى أعلِن عن تأسيس النواة الأولى للجماعة التي سُمِّيت «جبهة النصرة لأهل الشام من مجاهدي الشام في ساحات الجهاد».

تشكّلت نواة التنظيم الأولى من صالح الحموي المعروف إعلاميًّا بـ «أس الصراع»[2] وعمار السيد أبو محمد[3]، ومعاوية حج أحمد «أبو خالد»، وميسر الجبوري المعروف بأبي ماريا القحطاني، ومصطفى عبد اللطيف بن صالح المعروف بأبي أنس الأردني، وإياد الطوباسي المكنى بأبي جليبيب الأردني و«أبو عمر الفلسطيني» وأنس حسن خطاب، وتنامى انتشار الجبهة في سورية وتزايدت قوّتها بشكل ملحوظ ومتسارع، كما تعززت صفوف جبهة النصرة بآلاف من المتطوّعين الأجانب الذين قدموا من مختلف البلدان والأقطار نظرًا لوجود شخصيات جهادية معلومة فيها، كالدكتور سامي العريدي، وأبو الخير المصري، ومحسن الفضلي ـ الذي كان عضوًا محوريًّا في خلية خراسان السرية التي أوفدتها القاعدة من أفغانستان إلى سورية ـ .

ما إن حلّ العاشر من كانون الأول ٢٠١٢ حتى صنّفت الولايات المتحدة

---

(١) أصدر الإعلام الرديف لتنظيم الدولة بتاريخ ٣/ ١/ ٢٠٢١، إصدارًا مطوّلًا بعنوان: النهاية والبداية، يوضح فيه هذه التفاصيل، يمكن مشاهدة الإصدار عبر الرابط الآتي: https://t.me/shaiushshs/2

(٢) على قيد الحياة، يعيش متنقّلا في عدة مدن تركية إثر فصله من قيادة الجبهة في يوليو/ تموز ٢٠١٥.

(٣) وقد كان صديقًا شخصيًّا للباحث في فترة ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٥، قتل في أغسطس/ آب في مدينة حلب عام ٢٠١٢.

جبهة النصرة منظمةً إرهابيّةً واتهمتها بأنها امتدادٌ لتنظيم القاعدة في العراق، على الرغم من أن «النصرة» كانت على علاقة طيبة في ذلك الوقت مع عامة الفصائل وقد تحالفت مع فصائل أخرى كـ«أحرار الشام» ولواء التوحيد ونفذت معها عمليات مشتركة، إلى جانب تأكيدها على أن معظم مقاتليها يحملون الجنسية السورية.

عملت النصرة بعد النجاح العسكري على تعزيز وجودها الاجتماعي بين السكان، لا سيما في حلب وإدلب وأريافهما، وذلك من خلال العمل الدعوي والاشتراك في تأسيس ما عرف بالهيئة الشرعية الرباعية[1] والعديد من الجوانب الخدمية كمشروع «باصات النقل العام» في حلب وريفها ومشروع إدارة الخدمات الإسلامية التي أنشأتها في حلب.

أعلن البغدادي في التاسع من أبريل/ نيسان ٢٠١٣ أن تنظيم جبهة النصرة امتداد لـ «دولة العراق الإسلامية» وأنها وصلت إلى هذا المستوى من الإنجاز والتنظيم واستقطاب الجهاديين المعولمين إلى صفوفها بفضل الدعم الذي قدّمه تنظيم الدولة الإسلامية للجولاني، ولم يتوقف الخطاب عند هذه النقطة وإنما

---

(١) اشترك في تأسيسها كلٌّ من لواء التوحيد، ولواء الفتح، ولواء صقور الشام، وحركة أحرار الشام، ثم انضمت للهيئة حركة الفجر الإسلامية وجبهة النصرة، وبدأ عملها بالتوسع فافتُتحت أفرعٌ لها في كل من حي الفردوس والسكري وحريتان والباب واعزاز وعندان، وامتدت أيضًا إلى ريف إدلب، في بنش وباب الهوى وسرمدا، وكانت تعتبر الهيئة الشرعية في حلب الهيئة الأم وباقي الهيئات أفرع تابعة. تعتبر الأشهر السبعة الأولى هي الأفضل بالنسبة لعمل الهيئة الشرعية وفق شرعيين عملوا بها، وبعد ذلك بدأت تسوء وتشربت الفساد، وبالأخص عندما انسحبت جبهة النصرة منها، وبدأت هيئات إسلامية أخرى بالظهور كالمحكمة الإسلامية التابعة للنصرة وكذلك ظهور محكمة إسلامية خاصة بتنظيم الدولة الإسلامية في حلب ونواحيها.

أُعلِن فيه عن إيقاف العمل بمسمّى «جبهة النصرة» والاستعاضة عنه بمسمى «الدولة الإسلامية في العراق والشام»[1]، وقد كان هذا الأمر دافعًا مباشرًا لإعلان الجولاني ما سمّاه «تجديد» البيعة لأيمن الظواهري قائد تنظيم القاعدة، ولم يفت الجولاني أن يعلن للسوريين أن إعلان البيعة لن يغير شيئًا في سياسة الجبهة[2].

اتّسمت المرحلة التالية بظهور الاضطراب والخلاف وتشظّي الهوية داخل الجماعة الجهادية التي يقودها الجولاني، الأمر الذي أدّى لاحقًا للانقسام والصراع والتنافس على الشرعية وصولًا إلى الاقتتال وتبادل تهم التكفير والتبديع بين عناصر وجماعات التيار ومرجعيّاته.

ب. من النصرة إلى فتح الشام:

لم تخفت الأصوات المطالبة بفك ارتباط جبهة النصرة بالقاعدة منذ اللحظة الأولى لإعلان البيعة. ولم يتردّد قادة الفصائل في التصريح بأن تبعيّة جبهة النصرة للقاعدة هي العائق الوحيد أمام مشروع التوحّد والاندماج الذي ما انفكت المظاهرات تخرج مطالبة به خصوصًا بعد خروج الفصائل من مدينة حلب وسيطرة النظام عليها أواخر عام ٢٠١٦.

---

(١) لم يتوفر لي المادة الصوتية التي تحدث فيها البغدادي، إلا أن تفاصيلها ذكرت في عدد واسع من مواقع الوكالات الإعلامية، ينظَر على سبيل المثال: جبهة النصرة تبايع الظواهري وتتنصل من إعلان دولة العراق الإسلامية، موقع قناة الحرة، نُشِر بتاريخ: ١٠ أبريل/ نيسان ٢٠١٣، عبر الرابط الآتي: https://arbne.ws/3jnmkUP

(٢) ينظر: الكلمة الصوتية لأبي محمد الجولاني، عبر موقع جهاديولوجيا، بعنوان: حول ساحة الشام، https://bit.ly/3wPrGfc، وينظر أيضا تفاصيل الكلمة عبر موقع وكالة رويترز للأنباء بعنوان: جبهة النصرة السورية تبايع الظواهري، بتاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠١٣، عبر الرابط الآتي: https://reut.rs/3dan3EL

وأمام الضغط الشعبي المتزايد ورغبة من قيادة جبهة النصرة في إنجاح فكرة توحد الفصائل في جسم عسكري واحد، قرّرت قيادة (التنظيم) الشروع في فك ارتباط جبهة النصرة بتنظيم القاعدة، فتوجّه أبو محمد الجولاني بموافقةٍ من أبي الخير المصري[1] للإعلان عن الانفصال عن تنظيم القاعدة وإلغاء العمل باسم «جبهة النصرة» وبالتالي تشكيل جماعة جهاديّة منفصلة لا تلتزم برؤية القاعدة وتوجيهاتها، وقد كان الإعلان عنها بتاريخ ٢٧ تموز/ يوليو ٢٠١٦، الأمر الذي يعدّ بداية حقيقية لاتساع الشرخ بين المجموعات المحلّية المنضوية تحت قيادة الجولاني وبين الشخصيات المنتمية للقاعدة والباحثة عن الاستمرار بنهج يوافق أفكارها وتطلعاتها.

لم يعدّل فكّ الارتباط وتغيير التسمية من قرار الولايات المتحدة بتصنيف النصرة تنظيمًا إرهابيًّا بل أعلن البيت الأبيض أن تقييمه للنصرة لم يتغير رغم فك

---

(١) هو عبد الله محمد رجب عبد الرحمن، من مواليد محافظة الشرقية شمال مصر عام ١٩٥٧، وكان يلقب باسم «أحمد حسن أبو الخير»، تزوج المصري من إحدى بنات أسامة بن لادن، كما كان عضوًا بمجلس شورى تنظيم «الجهاد المصري» سابقًا، وصدر ضده حكم بالمؤبد في قضية «العائدون من ألبانيا» عام ١٩٩٨، وأدرجت الولايات المتحدة اسمه على قائمة الإرهاب عام ٢٠٠٥. دخل إلى سورية في عام ٢٠١٦ مبتعثًا من قبل الظواهري لحل المشكلات العالقة بين الشخصيات الموالية للقاعدة والجولاني، ويذكر «أبو الفتح الأنصاري» ـ أحد السلفيين المقربين من حراس الدين ـ أنه كان مسؤولًا عن تأسيس تنظيم سريّ في سورية يسهّل لتنظيم القاعدة الوصول إلى أماكن متعددة من العالم، وذلك في حال أراد التنظيم إيفادهم لتنفيذ مهام خارجية. قتل في ٢٦ شباط ٢٠١٧ ، إثر غارة جوية استهدفت سيارته قرب معسكر المسطومة في ريف إدلب شمال غرب سورية من قبل طائرة دون طيار.

ارتباطها بتنظيم القاعدة، كما قالت وزارة الخارجية الأميركية إن الجبهة ما زالت هدفاً للقصف في سوريا. وهو ما جرى بالفعل، حيث قامت طائرات التحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة باستهداف «أبو عمر سراقب»، أحد القادة البارزين في «جبهة فتح الشام» والقائد العسكري لتحالف «جيش الفتح»، الذي قضى مع عدد آخر نتيجة للغارة[1].

ج. من فتح الشام إلى هيئة تحرير الشام:

كان التحوّل الثالث للتنظيم باسم «هيئة تحرير الشام» الذي أعلن عن تشكُّله في ٢٨ / كانون الثاني ـ يناير/ ٢٠١٧ وذلك بعد اندماج عدد من الفصائل في كيان عسكري واحد، بقيادة هاشم الشيخ المعروف بأبي جابر، وقد كان من أبرز الفصائل المنضوية تحتها «جبهة فتح الشام أو جبهة النصرة سابقاً التي تعتمد بشكل أساس على عدد من التشكيلات المتمرسة والنخبوية في القتال مثل «جيش الملاحم» و«جيش الساحل» و«جيش البادية» و«العصائب الحمراء» و«جيش الخلافة» و«جند الشريعة»، وكان ممن انضمّ إلى الهيئة أيضًا حركة نور الدين الزنكي، وجيش الأحرار و«جبهة أنصار الدين»، وقد صرّحت هيئة تحرير الشام في بيان تشكيلها عن الهدف العام الذي قامت عليه وهو أن يتحول هذا الكيان إلى «نواة تجمع مقدرات الثورة وتحفظ خط سيرها وتحقق أهدافها المنشودة بإسقاط النظام

---

(١) ينظر الخبر على شبكة وكالة قاسيون، بعنوان مقتل أبو عمر سراقب في الغارة الجوية، على الرابط الآتي: https://bit.ly/2U2l61t، وينظر مقتل أبو عمر سراقب القائد العام لجيش الفتح بغارة جوية شمال سورية، على موقع فرانس ٢٤، على الرابط الآتي: https://bit.ly/2wPY1Zn وذكرت الخبر عدة مواقع وشبكات إخبارية سورية أيضًا.

المجرم وليعيش أهل الشام بعزة وكرامة في ظل شريعة الرحمن»[1].

تجدر الإشارة إلى أن الظواهري وجملة من القياديين والشرعيين ـ الذين شكلوا حرّاس الدين لاحقًا ـ عارضوا تشكيل هيئة تحرير الشام، وقد أشار الظواهري إلى أن هذا الانفصال عن القاعدة جرى دون موافقته، وأن الجولاني يسعى لتشكيل تنظيم لا ينتمي للمنهج الجهاديّ الصحيح، وذلك في كلمته المعنونة بـ «فلنقاتلهم بنيانًا مرصوصًا» التي بثتها مؤسسة «السحاب»[2] حيث تطرق فيها للخلافات الحاصلة في الشمال السوري وما تقوم به هيئة تحرير الشام من اعتقالات طالت رؤوس الشرعيين الذين يخالفون منهج الجولاني ويوافقون نهج تنظيم القاعدة، منهم ـ أبو جليبيب الأردني، وأبو همام الشامي ود. سامي العريدي ـ والجدل الحاصل حول القضية والبيانات المطالبة بالإفراج عنهم. ولم يكن خافيًا في كلمته موقفه من التحولات التي حدثت في ٢٠١٦ فيما يخص جبهة النصرة التابعة للقاعدة في سورية، وما رآه من أنه «تدهور في وضع المجاهدين منذ فك الارتباط»[3]، وأن

---

(١) ينظر: فتح الشام تعلن تشكيل هيئة تحرير الشام، والدعاة ينضمون، موقع المدن، على الرابط الآتي: https://bit.ly/2W3GAit

(٢) وذلك في تاريخ ٢٨/ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٧

(٣) سبّب فك الارتباط إشكالات متعددة لدى «جبهة فتح الشام» تمثلت بعزوف العديد من القادة العسكريين والشرعيين والعناصر عن العمل ضمن مكوناتها، إضافة إلى ميل بعض التنظيمات المقربة منها إلى تنظيم الدولة وكان منها لواء الأقصى الذي صار أشبه ما يكون بالواجهة الخلفية لتنظيم الدولة في حين أن شخصيات عدة أخرى كانت تعمل على مشروع بناء كيان مقابل لفتح الشام يعيد الارتباط بالقاعدة، وقد تجدد الحديث عن مشروع الارتباط بالقاعدة والذي قادته شخصيات عدة من الشرعيين الكبار، لهم تأثير في الوسط الجهادي لاسيما لدى المهاجرين، وقد انطلق التأسيس الفعلي لفصيل بعد تشكيل هيئة تحرير الشام حيث بدأت الانشقاقات عنها، وبدأ

الأوضاع العسكرية في حلب لم تكن لتسمح بالتعليق على الحدَث آنذاك، ولكن هذا لا يعني أن القيادة العامة في التنظيم والفروع الأخرى لا يتابعون ما يجري فيها.

اتهم الظواهري الجولاني بـ«نكث العهد»، وكان جازمًا في أن ما فعله بعد فك الارتباط بـ«القاعدة» وتأسيس «جبهة فتح الشام» قد «زاد من الخلافات» لأنه في حقيقته تراجع أمام الضغط الأمريكي وهو في الوقت ذاته لن يوقف القصف ولا التصنيف بالإرهاب ولا غير ذلك من الحجج الواهية[1]، كما شدّد فيه على رفضه

أشخاص مثل خالد العاروري أبو القسام الأردني، ود. سامي العريدي الشرعي العام في جبهة النصرة سابقًا، وأبو جليبيب الأردني ـ إياد الطوباسي ـ شرعي جبهة النصرة سابقًا في قاطع الغوطة، وأبو همام الشامي ـ سمير حجازي ـ القائد العسكري، بالدعوة لظهور مكون جديد في الشمال السوري ينضوي فيه المنشقون عن الهيئة من المهاجرين والشرعيين وقادة عسكريين، إلا أن هيئة تحرير الشام اعتقلت هؤلاء الأشخاص، مما جعل «الظواهري» يرسل رسالة صريحة للجولاني يطالبه فيها بإعلان البيعة للقاعدة من جديد والإفراج عن الأسرى من المشايخ والقادة. وقد رفض «الجولاني» تجديد البيعة وتوعّد بإنهاء أي مكون جديد تحت أي مسمى كان في الشمال، وهنا جاءت «مبادرة أهل العلم للصلح بين المجاهدين» التي فيها كلٌّ من المرجعيات الشرعية الآتية «الشيخ أبو قتادة الفلسطيني ـ الشيخ أبو الفضل الحدوشي ـ الشيخ أبو محمد المقدسي ـ الشيخ أبو عبد الرحمن المكي ـ الشيخ أبو عبد الله الهاشمي ـ الشيخ أبو ماهر ملحم ـ الشيخ أبو حذيفة السوداني ـ الشيخ أبو محمود نائل مصران» وذلك في تشرين الأول من عام ٢٠١٧، وشملت الدعوة بحسب البيان آنذاك جميع الأطراف للرجوع لأهل العلم وتسليمهم الزمام لحل المعضلات والفصل في قضايا الخلاف وعلى رأسهم هيئة تحرير الشام وجيش الأحرار والمبايعين لتنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الشام

(١) ينظر: كلمة «فلنقاتلهم بنيانًا مرصوصًا» أيمن الظواهري، مؤسسة السحاب، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3Aq1wC9، وفي حال حذف المادة من الموقع وعدم توفّر نسخة أرشيفية منها يمكن مراجعة: «تسجيل صوتي لـ«أيمن الظواهري» معلقاً على اعتقال مشرعي القاعدة من قبل

التخلي عن «جهاد الأمة»، أو نقض البيعة، وأن القاعدة لن تنتهي في سوريّة إلا باتحاد جميع المجاهدين وقيام حكومة إسلامية فيها[1]

لقد كان هذا الحال دافعًا للبدء بتأسيس تشكيل جديد تشرف عليه القاعدة، ـ وهو ما تمّ بتشكيل تنظيم حراس الدين لاحقًا ـ بغية «إعادة الجهاد إلى منهاجه الصحيح»[2]

١ . ٣: «حراس الدين» نشأة التنظيم وتموضُعه

يعَدُّ تنظيم حراس الدين ـ بأغلب مكوّناته ـ من التنظيمات التي انشقّت عن هيئة تحرير الشام، حيث أعلِن عن تشكيل التنظيم في ٢٧ فبراير/ شباط ٢٠١٨، إلا أن إرهاصات الانفصال عن هيئةِ تحرير الشام بدأت في المرحلة التي سبقت الانفصال عن القاعدة قبل ذلك بمدّةٍ طويلة ـ أي قبل الانفكاك وتأسيس جبهة فتح الشام ـ وانتهت بحلّ «أبي محمد الجولاني» جبهة النصرة وإنشاء جبهة فتح الشام ونقض بيعته للقاعدة واعتقاله لعدد من شرعيّي القاعدة ورموزها في سوريّة إثر رفضهم فكّ الارتباط مع القاعدة وبدء موجة من الانشقاقات الداخلية في التنظيم

هيئة تحرير الشام، شبكة شام، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3ynRpf5 وقد أشرت لهذا المصدر بديلاً عن التسجيل لاحتوائه على تلخيص وافٍ لما ورد في التسجيل من ناحية، ونظرًا لحذف هذا التسجيل عدة مرات من شبكة الإنترنت.

(١) ينظر: المرجع السابق، كلمة «فلنقاتلهم بنيانًا مرصوصًا» أيمن الظواهري، مؤسسة السحاب، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3Aq1wC9 وينظر: «الظواهري يهاجم الهيئة والجولاني يلمح لهذا الأمر» على موقع عربي ٢١، عبر الرابط: https://bit.ly/2VkOfHl

(٢) ينظر قيادي في حراس الدين يشرح لأخبار الآن أسباب ضعف القاعدة في سورية، على الرابط الآتي: https://bit.ly/33jMVYM

الرافضة لتحرّكات الجولانيّ والطبقة المحيطة به من القادة الأمنيين والعسكريين والشرعيين المرتبطين بعلاقات ومصالح محليّة ودوليّة.

أدركت القيادات الرافضة لفك الارتباط مقدار التغيّر الطارئ في الساحة، واختلال موازين القوى داخل التيّار الموالي للقاعدة لصالح التوجّه المهادِن الساعي لتكريس نفسه في سلطة مقبولة دوليًّا ودائمة مستقبلاً، فابتدأ الشرعيون والأمنيّون والعسكريون منهم على الفور الإعداد للتشكيل المناهض.

اندفعت الهيئة لاعتقال عدد من أبرز القيادات التي ترفض انفصال الجبهة عن القاعدة ويحاولون إرساء دعائم التشكيل الجديد، منهم إياد الطوباسي المعروف بـ «أبي جليبيب الأردني» ـ شرعي وقيادي ـ، وبلال خريسات المعروف بـ «أبي خديجة الأردني» ـ شرعي وقيادي ـ ، والقائد العسكري سمير حجازي «أبو همام الشامي» ـ عسكري وقيادي ـ إضافة إلى الشرعي العام د. «سامي العريدي» وأبو خلّاد المهندس ـ أمني وقياديّ ـ ، إلا أن سراحهم أُطلق تباعًا بعد وساطات من وجوه سلفيّة جهاديّة مختلفة[1]، كأبي محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطينيّ، إضافة إلى ضغط أيمن الظواهري على الجولاني في ٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٧ أي بعد يومين من الحملة حيث هاجم الظواهري في كلمته «فلنقاتلهم بنياناً مرصوصاً» الجولانيّ واتهمه بـ «نكث العهد».

استمرت محاولات الإصلاح ضمن غرف مغلقة يجري الحديث فيها

---

(١) ينظر: تحرير الشام تطلق سراح سامي العريدي، شبكة قاسيون، عبر الرابط: https://bit.ly/3bYLz8C، وينظَر: هيئة تحرير الشام تعتقل قادة القاعدة الأردنيين، جريدة المدن، عبر الرابط: https://bit.ly/34gPr2m، وينظَر: ماذا تعرف عن قيادات وشرعيي جبهة النصرة الذي ألقي القبض عليهم، شبكة شام، عبر الرابط: https://bit.ly/34ITOZZ

مطوّلاً دون التوصّل لحل بين قيادة تحرير الشام والموالين لتنظيم القاعدة ـ الذين استقطبوا المزيد من المناصرين لهم من المهاجرين وأصحاب الميول الجهادية والمنشقين عن تحرير الشام ـ ، وكان مركز نشاطهم في الريف الغربي لحلب ثم ريف إدلب الغربي الممتد إلى منطقة الساحل حيث الجبال الوعرة، وكان واضحًا من ذلك أنهم يهدفون للإعلان عن كيان جديد يتبع لتنظيم القاعدة مباشرة، فقد كان الخامس من كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٧ اليوم الذي أعلن فيه أبو همام السوري عدم اعترافه ـ مع الشرعيين والقياديين المختلفين مع هيئة تحرير الشام ـ بلجنة الفصل، وكان مثيرًا للانتباه أن تظهر في اليوم ذاته قناة بعنوان «جيش البادية» ـ على تطبيق تلغرام ـ ذيّلت أول منشوراتها بوسم «قاعدة» الجهاد وهي المرة الأولى التي سيعلَن فيها إعلاميًّا عن انشقاق مجموعة مسلحة عن هيئة تحرير الشام ومبايعتها لتنظيم القاعدة، وفي اليوم اللاحق ـ أي ٦/ ١٢/ ٢٠١٧ ـ نشرت اللجنة الإعلامية لجيش البادية مقطعها المرئي الأول بعنوان «ركب الشهداء» وفي ١١/ ١٢/ ٢٠١٧ حيث يتمرّد قائد جيش البادية ـ بلال الصنعاني (شرعي وعسكري) ـ على قرار إقالته الصادر عن قيادة هيئة تحرير الشام، باعتبار جيش البادية مجموعة مسلحة ضمن قطاع البادية في الهيئة. وستصدر اللجنة الإعلامية لجيش البادية مجموعة أخرى من المقاطع المرئية والصور الثابتة التي تظهر جانبا من نشاطات ومواقف الجيش مثل: المقطع التعريفي بجيش البادية، ومعسكر أبو تراب الحموي، ومعارك الجيش في ريف إدلب، وموقفه من صفقة القرن وغيرها[1].

(١) ينظر الروابط الآتية في قناة «على نهج الإمام» التي ما زالت تحتفظ ببعض بيانات جيش البادية وأخباره وإصداراته، ١. قرار عزل أمير جيش البادية، عبر الرابط الآتي: https://t.me/Nhgalaemam1/1070،

إثر ذلك بأيام ـ في ٢٣ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٧ ـ ظهرت قناة أخرى على تلغرام باسم «جيش الملاحم»، نشرت العديد من الصور لما أسمته «رباط جيش الملاحم في ريف حماة الشمالي». وكان أمير جيش الملاحم أبو عبد الرحمن المكي ـ الشرعي السعودي المعتقَل لدى الهيئة منذ ٦ أكتوبر/ تشرين الثاني ٢٠٢٠[١] ـ قد أصدر بيانًا يؤكد فيه أنه على تواصل مع الشرعي العام لهيئة تحرير الشام والمعتقَل لديها حينها د. سامي العريدي إلى جانب القائد العسكري أبي القسام الأردني ـ خالد العاروري ـ وأنه طلب رأيهما في الانشقاق عن هيئة تحرير الشام[٢]، ومن الجدير بالذكر أن جيش الملاحم كان جزءًا من قاطع الملاحم التابع للهيئة التي نشرت تقريرًا يؤكد أن أبا القسام الأردني أقنع قاطع الملاحم بالانشقاق عنها وأخبر بذلك القيادة العامة لتنظيم القاعدة[٣]، كما أن جيش البادية وجيش الملاحم ليسا

---

٢. البيان المعنون بـ «لقاؤنا في الأقصى» حيث يؤكد على الالتزام بنهج الشيخ أسامة بن لادن، عبر الرابط: https://t.me/Nhgalaemam1/1018، ٣. إصدار مرئي بعنوان «ركب الشهداء» يظهر فيه معسكر أبو تراب الحموي عبر الرابط: https://t.me/Nhgalaemam1/962.

(١) ينظر: «هيئة تحرير الشام» تعتقل قيادياً سعودياً بتنظيم «حراس الدين»، على موقع العربي الجديد، على الرابط الآتي: https://bit.ly/3hGAo9c

(٢) ينظر: شهادة الشيخ المجاهد أبو عبد الرحمن المكي بخصوص ما ذكر أن جيش الملاحم خرج بسبب القسام، قناة على نهج الإمام، عبر الرابط الآتي: https://t.me/Nhgalaemam1/953، ومن الجدير الإشارة إلى أنه في ١١/ ١/ ٢٠١٨ ـ أي قبل إعلان تشكيل حراس الدين بأيام ـ أعلن جيش البادية وجيش الملاحم عن أول عمل عسكري مشترك تمثل في تحرير قرية المشيرفة في محافظة إدلب.

(٣) ينظر: لماذا أقدمت هيئة تحرير الشام على خطوة التوقيف الأخيرة لبعض الإخوة، وثيقة نشرها الإعلام الرديف التابع لهيئة عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3hfHkuZ

التشكيلين الوحيدين الذين انشقا عن هيئة تحرير الشام بل كانت هناك مجموعات أخرى متفاوتة الحجم والانتشار انشقّت عنها وانتظرت الوقت المناسب للإعلان عن نفسها وانخراطها في صفوف مع حراس الدين.

أصدرت مؤسسة السحاب في ٧/ ٠١/ ٢٠١٨ بيانًا بعنوان «وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين» كرّر نداءً سابقًا من القيادة العامة للقاعدة إلى «جنود قاعدة الجهاد في الشام» داعية إياهم إلى أن: «يتعاونوا مع كل المجاهدين الصادقين، وأن يسعوا في جمع الشمل ورأب الصدع [....] ويبادروا إلى خدمة المجاهدين والمهاجرين والمستضعفين وسائر المسلمين»[١]

في٢٧/ ٠٢/ ٢٠١٨ أعلِن رسميًّا عن البيان الأول الموقّع باسم الفرع السوري الجديد لتنظيم القاعدة «تنظيم حراس الدين» بقيادة أبو همام السوري ـ سمير حجازي ـ بعنوان «أنقذوا فسطاط المسلمين»، داعيًا إلى نصرة الغوطة وشنّ العمليات العسكرية ضد قوات النظام السوري إضافة إلى دعوة الفصائل المتحاربة في الشمال السوري ـ أي فصيل حركة نور الدين زنكي وحركة أحرار الشام المنضويتان في جبهة تحرير سوريّة مقابل هيئة تحرير الشام ـ إلى «وقف الاقتتال فيما بينها» والتفرّغ لقتال النظام وتوحيد الجهود «ودفع الصائل»، كما عرّف التنظيم عبر حسابٍ له ـ سابقًا على برنامج تلغرام ـ وصفحته على تويتر: بأنه «تنظيم إسلامي من رحم الثورة السوريّة المباركة، يسعى لنصرة المظلومين وبسط العدل بين المسلمين»[٢].

---

(١) ينظر البيان على مؤسسة السحاب التابعة للقاعدة عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2UkSS7f

(٢) ينظر النص الكامل لبيان تشكيل تنظيم الحراس ضمن تقرير: حراس الدين، وجه جديد للقاعدة،

يجدر التنويه إلى أنه رغم عدم إشارة التنظيم إلى ارتباطه بتنظيم القاعدة إلا أن قيادات التنظيم أنفسهم ـ في غالبيتهم ـ بايعوا التنظيم في مراحل سابقة من حياتهم، ولهم صلات قويّة مستمرة مع قيادة تنظيم القاعدة، نظرًا لاستمرار التواصل وتلقّي التوجيهات منها إلى الآن، رغم دخول التنظيم في مرحلة من الكمون الطويل[1].

٢. أبرز مكوّنات التنظيم بين البعد المحلّي والعالمي

سارعت بعض التشكيلات إضافة إلى المكوّنات المنفصلة عن «هيئة تحرير الشام» أو الرافضة لفكّ ارتباطها بالقاعدة إلى إعلان انضمامها إلى التنظيم الجديد، وقد كان أبرز المجموعات التي بايعت «حراس الدين» هي: «جيش الملاحم»، و«جيش البادية»، و«جند الشريعة»، و«جيش الساحل»، وأنصار التوحيد التي تعدُّ من بقايا «جند الأقصى»، وعدد من السرايا الصغيرة الميّالة لرؤى القاعدة الفكرية، مثل: «سرايا كابول»، و«سرايا الساحل»، و«سرية غرباء»[2].

انتشرت المجموعات التابعة للتنظيم في مناطق ريف اللاذقية وجسر الشغور

في موقع على بصيرة، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/39Od9Er، وينظر حساب التنظيم على تويتر عبر الرابط: https://bit.ly/2xRjEc8

(١) أكّد أبو الفتح الأنصاري للباحث وجود تواصلات مستمرة بين سيف العدل المصري وبين زوج ابنته «أبو همام الشامي» و«د. سامي العريدي» الشرعي العام في حراس الدين، وقد كان من توجيهاته الحاسمة عدم الانجرار خلف المواجهة التي تسعى لها هيئة تحرير الشام.

(٢) ينظر: حراس الدين، وجه جديد للقاعدة، في موقع على بصيرة، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/39Od9Er، وينظر حساب التنظيم على تويتر، عبر الرابط: https://bit.ly/2xRjEc8، وينظر: حراس الدين وتكيّفات القاعدة في سورية، حسن أبو هنية، موقع عربي ٢١، عبر الرابط: https://bit.ly/2EOPqZv

إضافة إلى ريف إدلب الشرقي سابقًا ومدينة سرمين ومنطقة باريشا القريبة من حارم وبعض المناطق البعيدة عن خطوط التماس مع مناطق «غصن الزيتون»، فأقام معسكراته فيها لتدريب عناصره كمعسكر «الشيخ أبي فراس السوري» الذي كان أحد قيادات «جبهة النصرة» وقتل في غارة للتحالف الدولي عام ٢٠١٧[١]، ومعسكر «أبو خلاد المهندس» ـ ساري محمد حسن شهاب ـ ، الذي اغتيل لاحقًا بعبوة ناسفة[٢]

يعدُّ القياديُّ المنشق عن هيئة تحرير الشام «سمير حجازي المكنّى بـ«أبي الهمّام الشامي» قائد التنظيم إضافة إلى وجوه أخرى بارزة في مجلس الشورى الخاص بالتنظيم مثل الأردني «سامي العريدي» و«أبو جلييب إياد الطوباسي»[٣] و«أبو خديجة الأردني بلال خريسات[٤]» و«أبو القسّام خالد العاروري[٥]» و«أبو عبد الرحمن المكّي[٦]» إضافة إلى أسماء أخرى في معظمها من «المهاجرين» كـ

---

(١) ينظر: حراس الدين يفتتح معسكرًا جديدًا في إدلب، قناة أورينت، https://bit.ly/2Q3VU7U وينظر: خطوة عسكرية مفاجئة لحراس الدين، موقع الدرر الشامية، عبر الرابط https://bit.ly/2rSKOJq

(٢) جرى ذلك في إدلب بتاريخ ٢٢ آب/ أغسطس ٢٠١٩، ينظر: مقتل «أبو خلاد المهندس» يفضح الصراعات المستمرة داخل القاعدة، على موقع أخبار الآن، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3dLafVA

(٣) تم اغتياله بعبوة ناسفة في درعا لاحقًا.

(٤) تم اغتياله من قبل التحالف لاحقًا.

(٥) تم اغتياله من قبل التحالف لاحقًا.

(٦) اعتقلته هيئة تحرير الشام لاحقًا.

«خلاد الجوفي»[1]، و«أبو عمرو التونسي»[2]، و«أبو ذرّ المصري»[3]، و«أبو يحيى الجزائري»[4].

٢. ١: بنية القيادة في «حراس الدين»

من خلال تتبّع عدة حيثيات ومقاطعتها، يمكن التوصّل إلى أنّ استراتيجية التنظيم ترسَم وفق ثلاثة مستويات قيادية وهي: المستوى المحلّي ـ أو المتموضعون داخل سورية ـ حيث يؤدي الشرعيون فيها دورًا مهمًّا، مثل أبي عبد الرحمن المكي ود. سامي العريدي وأبي محمد السودانيّ، والمستوى الإقليمي حيث يترأس تخطيط هذا الجانب كلٌّ من سيف العدل وأبو محمد المصري الذي اغتيل في طهران قبل عدة شهور، والمستوى العالمي الذي يترأسه أيمن الظواهري بشكل مباشر؛ وعليه فإن قرارات التنظيم الاستراتيجية أو السيادية منها ـ كالمواجهة الشاملة مع تحرير الشام أو الجيش التركي أو الدخول في مرحلة الكمون ـ لا يتخذ فيها القرار على المستوى المحلي فحسب وإنما يكون للمستويين الآخرين دور في ذلك أيضًا.

٢. ١. ١. القيادة التنفيذيّة

تتشكّل القيادة التنفيذيّة من المسؤولين المباشرين في مفاصل التنظيم،

---

(١) اعتقلته هيئة تحرير الشام لاحقًا.

(٢) تم اغتياله من قبل التحالف لاحقًا.

(٣) حاول التحالف اغتياله، إلا أنه نجا بجروح خطيرة، وقد اعتقلته هيئة تحرير الشام لاحقًا.

(٤) حاول التحالف اغتياله، إلا أنه نجا بجروح خطيرة، وقد اعتقلته هيئة تحرير الشام لاحقًا.

كالقياديّ العامّ والعسكري العامّ والشرعي العام والأمني العامّ وقادة القطاعات العسكريّة. ونجملها في تعريف بأهم هذه القيادات في التنظيم[1].

١. سمير حجازي:

وهو أمير التنظيم ويعرف أيضًا بلقب فاروق السوري، وكنية «أبو همّام الشامي» من مواليد ريف إدلب أوائل عقد السبعينات، وقد سافر إلى أفغانستان عام ١٩٩٨ والتحق بمعسكر الغرباء التابع لأبي مصعب السوري لمدة عام واحد، ثم انتقل بعدها إلى معسكر الفاروق ثم معسكر المطار، حيث تخرج منه متفوقا على جميع زملائه باستثناء أبي العباس الزهراني أحد المشاركين في هجمات ١١ سبتمبر الذي نال الرتبة الأولى. عيّنه سيف العدل على منطقة المطار وعمل مدربًا في معسكرها، بايع أسامة بن لادن مصافحة ـ كما قال عن نفسه ـ ، وعيّنه القائد العسكري للقاعدة أبو حفص المصري مسؤولًا عن السوريين في أفغانستان.

غادر مع سيف العدل أفغانستان بعد التدخل الأمريكي، ليتم تكليفه من طرف مصطفى أبو اليزيد بمهمة للقاعدة في العراق، التقى حينها بأبي مصعب الزرقاوي وأبي حمزة المهاجر. عمل على تدريب وتأهيل بعض كوادر تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بتكليف من الزرقاوي. عاد أبو همام السوري إلى أفغانستان في ٢٠٠٥ ليتم تكليفه من قبل قيادة تنظيم القاعدة هناك بترتيب أعمال للتنظيم داخل سورية،

---

(١) يقارَن هذا الفصل بـ «تنظيم حراس الدين.. صعود القاعدة وأفولها في المشرق العربي»، المؤلف بالاشتراك بين د. محمد أبو رمان، ود. حسن أبو هنية، مؤسسة فريدريش إيبرت، مكتب الأردن، ٢٠٢١، ٢٢٥ ـ ٢٣٥، ومن المهم الإشارة إلى أن هذا الكتاب صدر بعد تحكيم الدراسة والمشاركة بها في الورشة المعنية في معهد قرطبة حول دور الشرعيين في التنظيمات الجهادية.

إلا أنه اعتقل في لبنان ومكث في السجن خمس سنوات، خرج بعد الثورة السورية والتحق بجبهة النصرة ليعيّنه الجولاني قائدًا عسكريًّا عامًّا لها. وبقي في منصبه حتى تأسيس جبهة فتح الشام حيث استقال من منصبه، وقد اعتقلته هيئة تحرير الشام ـ لاحقًا ـ بدعوى تمسّكه ببيعته للقاعدة وتشكيله فصيلاً تابعًا له، إلى أن أفرِج عنه، وتلا ذلك الإعلان عن تنظيم حراس الدين الذي بويعَ أميرًا له[1].

٢. خالد مصطفى العاروري:

القائد العسكري لتنظيم حراس الدين، من مواليد عام ١٩٦٧ من الأفغان العرب القدامى، من محافظة الزرقاء الأردن شرق عمّان، عرف عنه في شبابه تأييده لجماعة الإخوان وانتسابه لها في مرحلة الثانوية من حياته، إضافة لإعجابه بحركة حماس، وقد سمّى ولده الأكبر بالقسّام لإعجابه بكتائب عز الدين القسام التابعة لحماس، ثم التقى بالزرقاوي لاحقًا في بداية التسعينات مما نحا بقناعاته إلى التوجّه السلفي الجهادي، وقد تعزّزت علاقته بالزرقاوي، وقد عملا على تأسيس «جماعة التوحيد» في الأردن، إلا أنه قبض عليهما لاحقًا في مارس/ آذار ١٩٩٤، وقد سجن الاثنان في سجن «سواقة» جنوب الأردن وهناك تطورت صداقتهما وتعمّقت أكثر، كما أمضيا مع أبي محمد المقدسي فترة من الوقت في أحد سجون

---

(١) المعلومات منقولة بأغلبها عن أبي الفتح الأنصاري، وأبي أسامة الألماني الذي التقى به أثناء انضمامه للحراس، وأيضًا يمكن الاستئناس بالمصادر الآتية: مقطع فيديو يتكلم فيه أبو همام عن نفسه بعنوان شهادة فاروق السوري، على موقع أرشيف، عبر الرابط: https://bit.ly/3AIOe3M ، وماذا تعرف عن قيادات وشرعي «جبهة النصرة» الذين ألقي القبض عليهم؟ شبكة شام، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3hDN68T ، وأبو همام السوري: ١٦ عامًا من «التشدد»، الشرق الأوسط، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3jJOGIZ .

الأردن، فتأثر كثيرًا بنهجه وكتاباته خاصة كتابه الشهير «ملة إبراهيم». وحين أطلق سراحهما في عفو ملكيّ عام ١٩٩٩ خرجا إلى أفغانستان وانضمّا للقاعدة وتلقيا تدريباتهما في معسكر «هراة» القريب من الحدود الإيرانية، وتوطّدت علاقتهما بالزواج والمصاهرة، حيث تزوج خالد بإحدى شقيقات الزرقاوي، وبعد تأسيس الزرقاوي جماعة التوحيد والجهاد في العراق عقب الاحتلال الأمريكي عين العاروري نائبًا له على الجماعة، وكان قبل ذلك مستشارًا له في أفغانستان.

أوفده الزرقاوي للقيام بمهمة لوجستية في إيران عام ٢٠٠٦ إلا أنه ألقي القبض عليه وسجن فيها، وقد كانت علاقة العاروري ـ قبل ذلك ـ بقيادات القاعدة متميزة، حيث كان صديقًا لأبي مصعب السوري وأبي همّام الشامي «سمير حجازي» إضافة إلى ساري شهاب «أبو خلاد المهندس» ـ الذي اغتاله التحالف لاحقًا ـ وقد أودِع في السجن في إيران مع «سيف العدل» نائب أيمن الظواهري عام ٢٠٠٧ المتخفّي في إيران، وأبي الخير المصري ـ الذي اغتاله التحالف عام ٢٠١٧ ـ وأفرج عنهم جميعًا في تموز/ يوليو ٢٠١٣ بصفقة مع تنظيم القاعدة في اليمن اقتضت إطلاق الديبلوماسي الإيراني المختطف في اليمن نور أحمد نكبخت، لينضمّ إثر ذلك إلى جبهة النصرة في سورية مع ساري شهاب[1]، وقد أصبح فيها قياديًّا عسكريًّا عامًّا قبل الانشقاق عنها وتشكيل تنظيم حراس الدين.

حافَظ العاروري ـ أو الشيخ أبو القسّام كما كان ينادى ـ على ولائه لتنظيم القاعدة وبقي على تواصل مع قيادتها، وكان له دور رئيسيٌّ في إقناع بعض

---

(١) نقلًا عن أبي الفتح الأنصاري، ويمكن الاستئناس بالآتي: صفقة تبادل «أسرى» مثيرة بين تنظيم القاعدة وطهران، الشرق الأوسط، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2UrDOom

المجموعات العسكرية بالانشقاق عن هيئة تحرير الشام لصالح مشروع القاعدة الجديد في سورية.

رغم كل ذلك فإنه لا تتوفّر الكثير من المعطيات والتفاصيل عن سيرته، ولم يعرف عنه نشاط في مجال الكتابة باستثناء بعض الردود القصيرة والمرتجلة التي كتبها أثناء الأزمة مع هيئة تحرير الشام، وقد اعترف في إحداها أن الكتابة والتفاعل مع ما يُنشر على الإنترنت ليسا من أولوياته[1]، وقد صادرت الهيئة حاسوبه الشخصي خلال حملة الاعتقالات التي شنتها ضد الموالين للقاعدة، ووجدت أنه كان على تواصل مباشر مع سيف العدل وأبي محمد المصري ويضعهما في صورة ما يجري في سوريا أولًا بأول[2]

وصل أبو القسام إلى مرتبة مهمة في تنظيم القاعدة، فهو واحد من ١٢ عضوًا في مجلس شورى التنظيم العام ـ إلى جانب أبو همّام الشامي القائد العام لتنظيم حرّاس الدين ـ ، وقد عمل العاروري مع د. سامي العريدي وأبو خلّاد المهندس في ريف اللاذقية مع مجموعة من الأردنيين والمصريين، ضمن الخلية المعروفة بـ «سرايا خراسان» وقد أشيع عن مقتله عام ٢٠١٧ إلى أن أعلن عن وجوده مع قيادات حراس الدين عام ٢٠١٨.

تشير معلومات متقاطعة إلى أن خلافات متكررة وقعت بين القسام والصنعاني

---

(١) ينظر: شهادة أبو القسام ورده على الشرعي العام للهيئة عبد الرحيم عطون، قناة على نهج الإمام، عبر الرابط: https://t.me/Nhgalaemam1/833

(٢) أكّد هذه المعلومة للباحث القاضي في الهيئة أبو محمد سرمدا «حسين هاشم» إثر سؤاله عن هذه النقطة، حيث كان ضمن لجنة التحقيق التي التقت بأبي القسام الأردني.

من جهة وبين أبي مارية القحطاني، كما حاول أبو مارية اغتيال العاروري عدة مرات، وقد ضبطه أبو القسام ذاته في إحداها متلبّسًا ـ في حزيران من عام ٢٠١٩ ـ أثناء متابعته ومراقبته له ومحاولته وضع عبوة ناسفة تحت سيارته، إلا أن الجولاني تدخّل بقوة لحلّ القضيّة قبل تطوّرها[١].

إثر تعقّب أثره لمدة طويلة استطاع التحالف بتاريخ ١٤ حزيران/ يونيو ٢٠٢٠ اغتياله إلى جانب «بلال الصنعاني» أمير جيش البادية في حراس الدين.

٣. بلال الصنعاني:

يشاع عن الصنعاني أنه من اليمن وأن اسمه الحقيقي هو «بلال الصنعاني»، إلا أن مصادر البحث أكّدت أن اسمه «بلال مهنّد الجعدان»، وتؤكّد هذه المصادر أنه من بلدة العشارة في ريف دير الزور الشرقي[٢]، ويعتَقَد أنه من مواليد منتصف عقد الثمانينات، وقد انضم للقاعدة في العراق بعد عام ٢٠٠٦ وكان ضمن مجموعة الجولاني حينها، وانضم إليه بعد تأسيس جبهة النصرة واستمر معه إلى حين تأسيس هيئة تحرير الشام، وقد انشق عن الهيئة بتاريخ ١١/ ١١/ ٢٠١٧ لينضم إلى حراس الدين مع ٣٠٠ عنصر من جيش البادية الذي كان المسؤول العسكري العام فيه، ومنذ ذلك الحين تصاعدت الخلافات بين الصنعاني وهيئة تحرير الشام، إذ اعتقلت الهيئة والده بتهم مختلفة ـ كالاحتيال إضافة إلى وجود أحكام قصاص في حقه ـ، وقد لقّب نفسه بالصنعاني نظرًا للأصول التي تعود إليها عشيرته «العقيدات» ذات الأصل القحطاني القادم من اليمن.

---

(١) في مقابلة مع أبي الفتح الأنصاري المصدر المحلي المقرب من حراس الدين.

(٢) نقلًا عن ضابط برتبة عميد في قيادة أركان الجيش الوطني.

إلى جانب تولّي الصنعاني قيادة جيش البادية في تنظيم حراس الدين، فقد كان معروفًا بلقب الشيخ «بلال» لتلقّيه العلم الشرعي عن مشايخ من القاعدة في العراق وسورية، كما أنه كان عضوًا في مجلس شورى التنظيم إلى جانب أبو القسام الأردني، وقد حاولت عدة أطراف «محلية» كخلايا تنظيم الدولة وهيئة تحرير الشام، و«خارجية» كالتحالف اغتياله عدة مرات عبر العبوات الناسفة أو استهداف سيارته بصواريخ موجهة، وقد نجح التحالف في ذلك بتاريخ ١٤ حزيران/ يونيو ٢٠٢٠، حيث اغتيل مع أبي القسام الأردني «خالد العاروري».

٤. أبو خديجة الأردني:

اسمه الحقيقي بلال خريسات أردني الجنسية، كان مقربًا من أبي محمد المقدسي، وقد أمضى معه عدة سنوات في السجن تلقى خلالها أبو خديجة دروسًا شرعية في العقيدة والأصول من المقدسي بشكل مباشر، ومع انقضاء ١٠ سنوات خرج منه وانضم إلى جبهة النصرة في سورية، حيث عمل مسؤولًا شرعيًّا في قاطع الغوطة الشرقية ثم قاضيًا أمنيًّا، إلا أنه عزل بعد ذلك من منصبه بتوصية من لجنة المتابعة في جبهة النصرة[1].

كان ـ طوال المدة التي أمضاها في سورية ـ من المقربين إلى أبي جليبيب الأردني ـ سيأتي الحديث عنه ـ وقد أعلن بعد تشكيل جبهة فتح الشام رفضَه للخطوة وتمسّكه ببيعة القاعدة، عمل مع القادة الآخرين على تأسيس تنظيم حراس

(١) نقلًا عن أبي الفتح الأنصاري.

الدين[1]، وقد قُتِل في قصف لطائرة من دون طيار استهدفت سيارته في محافظة إدلب في ٢١/ ١٢/ ٢٠١٩[2]

٥. خلاد المهندس:

واسمه الحقيقي ساري محمد حسن شهاب، وهو أردني الجنسية، وقد نشط في أفغانستان قبل عشرين عامًا ثم توجه إلى العراق مع الزرقاوي واعتقل مع أبي القسام الأردني في إيران وأفرج عنه معه لاحقًا فانتقل معه إلى سورية.

لا تتوفر معطيات كثيرة حول سيرته الذاتية، لكن الثابت أنه كان ضمن قادة القاعدة الذين وصلوا إلى سوريا في ٢٠١٥ بموجب صفقة تبادل المعتقلين بين تنظيم القاعدة في اليمن وإيران، وأنه كان من المتخصّصين في حقل التخطيط والهندسة العسكرية ـ الألغام والمتفجرات والتحصينات ـ إلى جانب تخصّصه الشرعي الذي تلقاه من أبي محمد المصري مع أبي القسام في سجنهم في إيران[3].

يبدو من بيان التعزية بمقتله الذي أصدرته القيادة العامة لتنظيم القاعدة أن خلّادًا احتلّ مكانة متميزة في التنظيم حيث وصفه البيان بأنه كان «عَلَمًا من أعلام الجهاد المخضرمة، وطودًا شامخًا من أطواد الثبات» وأنه «كان من المساهمين

---

(١) المرجع السابق ذاته.

(٢) ينظر: التحالف الدولي يقتل قيادياً لـ«حرّاس الدين» شمال إدلب، تلفزيون سوريا، عبر الرابط: https://bit.ly/2UsCG3، وينظر: مقتل أبو خديجة الأردني زعيم «حراس الدين»، الشرق الأوسط، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3jO4Pgk

(٣) نقلا عن أبي الفتح الأنصاري.

في تطوير الحراك الجهادي، فناهض ببحوثه وأفكاره جيوش الأعداء في ساحات الجهاد المتناثرة»[١]

كان خلاد المهندس يكتب في قناته على تلغرام باسم «الأمير المنسي»[٢]، وكان له دور كبير في تأسيس تنظيم حراس الدين ـ من حيث التخطيط والتنظيم والدعوة للانضمام[٣] ـ وكان من بين القادة الذين اعتقلتهم هيئة تحرير الشام في حملتها ضد الشخصيات الموالية للقاعدة. قتل في ٢٢/٠٨/٢٠١٩ إثر انفجار عبوة ناسفة استهدفت سيارته في مدينة إدلب[٤].

٦. سامي العريدي:

ولد في عمان سنة ١٩٧٣ وحصل على درجة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية من الجامعة الأردنية، ثم الماجستير من نفس الجامعة، ونال درجة الدكتوراه عام ٢٠٠١ في علم الحديث. تأثر بالفكر السلفي الجهادي لكنه حصر نشاطه في الجانب العلمي والنظري حتى اندلاع الثورة السورية في ٢٠١١ حيث التحق بها وانضم إلى صفوف جبهة النصرة، وعرف بكنية «أبو محمود الشامي»، وقد تولى منصب الشرعي العام في الجبهة عام ٢٠١٥، وخوّلته قيادتها بالحديث

---

(١) ينظر بيان في رثاء المجاهد الوفي أبي خلاد المهندس، على مؤسسة السحاب عبر الرابط: https://sahabmedia.co/?p=2672

(٢) ينظر أرشيف بعض كتاباته على الرابط الآتي: https://tgstat.com/channel/@mansey3

(٣) نقلا عن أبي الفتح الأنصاري.

(٤) ينظر: مقتل «أبو خلاد المهندس» يفضح الصراعات المستمرة داخل القاعدة، على موقع أخبار الآن، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3dLafVA

عن عقيدة ومنهج جبهة النصرة، انشقّ عن تنظيمه بعد الإعلان عن جبهة فتح الشام وبقي محتفظًا بولائه لتنظيم القاعدة إلى أن أسّس مع رفاقه تنظيم حراس الدين حيث يشغل فيه ـ إلى الآن ـ منصب الشرعي العام[1].

٧. أبو جليبيب الأردني:

إياد الطوباسي من مواليد عام ١٩٧٤ بمدينة الزرقاء الأردنية، سافر مع الزرقاوي والقسام أواخر التسعينات إلى أفغانستان وانضم إلى معسكرات القاعدة، ثم عاد ودخل إلى العراق وانضم إلى صفوف تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بزعامة أبي مصعب الزرقاوي، توطدت علاقته بالزرقاوي الذي تجمعه به أيضًا علاقة مصاهرة، وقد بقي في العراق حتى اندلاع الثورة السورية في ٢٠١١، حيث انتقل إليها في السنة ذاتها متوجهًا إلى درعا ليساهم في تأسيس الخلايا الأولى لجبهة النصرة، وقد استمر فيها أميرًا عاما لجبهة النصرة في درعا والقنيطرة جنوب سورية، إلى أن غادرها مع كبار قادة جبهة النصرة كأبي مارية القحطاني ومظهر الويس وسامي العريدي وغيرهم، في الشمال عيّنه الجولاني أميرًا على منطقة الحدود والساحل، إلا أنه لم يلبث أن ترك منصبه بعد أسبوعين من إصدار القرار، وقرّر العودة إلى درعا في الجنوب، لكن قيادة الجبهة رفضت بشكل قاطع السماح له بالعودة إلى هناك واعترضت طريقه أكثر من مرة، وبعد الإعلان عن تأسيس جبهة فتح الشام رفض أبو جليبيب الخطوة وأعلن عن ولائه لتنظيم القاعدة، وكان

---

(١) نقلًا عن عدة مصادر ميدانية. يمكن الاستئناس بالمراجع الآتية: سامي العريدي.. من مفتي جبهة النصرة إلى المرجع الشرعي لتنظيم «حراس الدين» على موقع ٢٤ الأخباري، على الرابط: https://24.ae/article/428085/ ، وينظَر: ماذا تعرف عن قيادات وشرعيي جبهة النصرة الذي ألقي القبض عليهم، شبكة شام، عبر الرابط: https://bit.ly/34lTOZZ .

ممن اعتقلته هيئة تحرير الشام في ٢٠١٧ مع الشخصيات أخرى التي كانت تسعى لتأسيس فرع جديد للقاعدة في سورية[١].

شغل منصبًا قياديًّا في تنظيم حراس الدين بعد تأسيسه، في ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٨. لقي مصرعه في ظروف غامضة هو ومجموعة من رفاقه في درعا ـ اتُّهمت الهيئة وأطراف أخرى بها ـ ، ونعاه تنظيم حراس الدين في بيان رسمي، وقال بأن أبا جليبيب ورفاقه «ارتقوا إلى ربهم وهم مقبلون عازمون على إعادة جذوة الجهاد إلى أرض حوران المباركة، مهد هذا الجهاد المبارك»[٢].

٢. ١. ٢: القيادة التشريعيّة (مجلس الشورى):

كانت الأسماء آنفة الذكر من أهم الأسماء التي عملت في حرّاس الدين وأسسته، وقد تعرّض أغلبها للاعتقال أو الاغتيال، إلا أن صفًّا آخر من القيادة لا يقلّ أهمية عن تلك المجموعة، وهي المتمثلة في مجلس الشورى الذي يتشكّل من ١٥ عضوًا، بعضهم يشغل مهامّ تنفيذيّة محددة، وبعضهم الآخر له مهامّ عامّة.

يمكن توضيح شكل مجلس الشورى كما في الآتي[٣]:

---

(١) ينظر: من هو «الجهادي» إياد الطوباسي الذي قتل بظروف غامضة في درعا؟، بي بي سي عربي: على الرابط: https://www.bbc.com/arabic/middleeast-46786800، ومن قتل «أبو جليبيب الأردني» لدى انتقاله من إدلب الى حوران؟ جريدة المدن، عبر الرابط: https://bit.ly/3hCWppn

(٢) ينظر بيان تعزية في الشيخ أبي جليبيب ومن معه من الأطهار، على موقع مؤسسة شام الرباط الإعلامية، على الرابط الآتي: https://bayaaan.com/archives/943

(٣) تتقاطع هذه المعلومات مع ما استخلص من مقابلة أبي الفتح الأنصاري وأبي أسامة الألماني وأبي مجاهد القوقازي والقاضي في هيئة تحرير الشام «أبو محمد سرمدا».

رئاسة المجلس:

ـ أبو خديجة الأردني، بلال خريسات: شرعي وقيادي عسكري، استمرّ في المجلس إلى أن حدثت بينه وبين قيادته خلافات فأشيع عن خروجه من التنظيم، إلا أنه اغتيل من قبل التحالف عام ٢٠١٩.

ـ أبو عبد الرحمن المكي ـ شرعي وقائد جيش الملاحم، وقد حلّ محلّ أبي خديجة الأردني، إلا أنه معتقل لدى الهيئة الآن ـ كما تقدّم ـ.

أعضاء المجلس الدائمون:

ـ القائد العامّ للتنظيم: أبو همّام الشامي: «سمير حجازي».

ـ المسؤول الشرعي العامّ: د. سامي العريدي، وهو مسؤول عن إيضاح وجهة نظر التنظيم وأفكاره وأيديولوجيّته، كما أنه المسؤول عن تقرير المناهج والأفكار التي ينبغي توجيهها للعناصر أثناء انتسابهم للتنظيم في كلّ من المعسكرات والدورات التدريبية، ونقاط الرباط، والمؤسسة الإعلامية.

ـ القائد العسكري العامّ: خالد العاروري أبو القسّام الأردني، ولا يعرف من خلَفَه في المنصب إثر مقتله.

ـ المسؤول الأمني العامّ: أبو خلاد المهندس، ساري شهاب، وقد خلفه ـ إثر اغتياله ـ أبو مصعب الدرعاوي[1]، محمد حمزة نموس وهو معتقل عند الهيئة منذ فبراير/ شباط ٢٠٢١، وهو نجل الشرعي والمنظر في جبهة النصرة سابقًا «رضوان نموس» المعروف بـ «أبو فراس السوري»، الذي اغتيل من قبل التحالف بتاريخ ٣/ ٤/ ٢٠١٦.

---

(١) له لقبان آخران: أبو عبد الله السوري، وأبو حمزة الدرعاوي.

ـ القاضي الأمني العامّ: وقد تداول هذا المنصب كلٌّ من «أبو عمرو التونسي»[1] الذي اغتاله التحالف بتاريخ ٣٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٩ إلى جانب قادة آخرين. ثم أبو هريرة المصري ـ نجل أبو الفرج المصري الذي اغتاله التحالف عام ٢٠١٧ ـ وهو معتقل لدى هيئة تحرير الشام منذ فبراير/ شباط ٢٠٢١.

ـ المسؤول الدعويّ العامّ: أبو أسامة الشوكاني، وهو في منصبه منذ تأسيس التنظيم إلا أنه لا أخبار أو معلومات عنه منذ حزيران ٢٠٢٠، وهو مسؤول عن إجراء الفعاليّات الدعويّة مع الناس ـ خيَم دعوية، ومسابقات، وجولات، إلخ ـ ومسؤول عن جهاز الحسبة في التنظيم.

أعضاء متبدّلون

١ ـ إياد الطوباسي «أبو جليبيب الأردني» وهو شرعي إلى جانب كونه من المسؤولين عن الجهاز الأمني للتنظيم، وقد اغتيل بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٨[2].

٢ ـ أبو ذرّ المصري، وهو شرعي إلى جانب كونه من المسؤولين في الجهاز الأمني للتنظيم، وقد اعتقلته الهيئة في السادس من أبريل/ نيسان ٢٠٢١[3].

٣ ـ أبو عبد الكريم المصري، وهو شرعي إلى جانب كونه من المسؤولين عن

---

(١) شرعي من تونس، لا توجد معلومات عنه كثيرة، سيأتي تفصيل الخلاف بينه وبين قيادة حراس الدين.

(٢) للمزيد من المعلومات عن الطوباسي واغتياله، ينظَر: مقتل إياد الطوباسي أبرز قياديي «القاعدة» في سورية، عنب بلدي، https://bit.ly/3AEsTIt

(٣) ينظر: «تحرير الشام» تعتقل قيادياً في «حراس الدين» أُشيع أنه قُتل بغارة للتحالف، العربي الجديد، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3jVzbgU

الجهاز الأمني للتنظيم، إلا أنه مختفٍ عن الساحة منذ مطلع عام ٢٠٢٠.

٤ ـ أبو يحيى الجزائري، شرعي وهو من القيادات العسكرية في التنظيم، وهو معتقل لدى هيئة تحرير الشام منذ حزيران/ يونيو ٢٠٢٠[١].

٥ ـ أبو عمر منهج، قيادي محلّي من قرية «عرب سعيد» جنوبي إدلب، انضم للقاعدة من خلال الشيخ «أبو علي كفروحين»، وقد اعتقلته الهيئة أثناء هجومها على المنطقة المذكورة، في ٢٣ حزيران/ يونيو ٢٠٢٠، ثم أفرجت عنه بعد اعتقاله لأربعة أشهر مقابل ألّا يعود للانضمام إلى حراس الدين[٢]

٦ ـ أبو محمد السوداني، شرعي ومسؤول عن الدعوة في المعسكرات والدورات الداخلية في التنظيم، وقد استهدفه طيران بتاريخ ١٥ أكتوبر/ تشرين الأول، وتوفي متأثرا بجراحه في ٢٧ من الشهر ذاته، وكان للسوداني مساعٍ تفاوضية في محاولة تخفيف الحملة القائمة ضد الحراس من قبل الهيئة، حيث خاطب الجولاني مرتين قبل اغتياله، عرض في واحدة منهما تكليف أبي قتادة الفلسطيني بالوساطة والتحكيم بين الطرفين[٣]

---

(١) وصفه الشرعي العام للهيئة «عبد الرحيم عطون» بأنه المكتبة الشاملة، والشيخ العالم الجليل [أين؟؟؟ ما التوثيق؟؟؟].

(٢) يؤكد أبو الفتح الأنصاري أنه تواصل مع أبو عمر منهج وأن صمته عن التصريح بشيء لا يعني الرضوخ لمطالب الهيئة. للمزيد عن أبو عمر ينظر: «أبو عمر منهج».. من باحث عن «القاعدة» في سوريا إلى سجون «تحرير الشام»، عنب بلدي، على الرابط الآتي: https://bit.ly/3jYnHJE

(٣) ينظر أبو محمد السوداني.. خاطب الجولاني مرتين قبل أن تقتله طائرات التحالف، أورينت نيوز، على الرابط الاتي: https://bit.ly/2TQIaFz

٧ ـ خلاد الجوفي، شرعي قاطع جيش الساحل ـ معتقل لدى هيئة تحرير الشام منذ حزيران/ يونيو ٢٠٢٠.

اضطلع الشرعيون في حراس الدين بأدوار هامة، من بينها:

١ ـ إدارة المفاوضات مع مختلف الجهات، سواء مع الفصائل القريبة منهم أثناء تأسيس الفصيل أو في التحريض ضد هيئة تحرير الشام للانفصال عنها أو في رفض أفكارها وتوجهاتها أو حتى في محاولة استمالتها تجاه نقطة ما أو موقف معيّن.

٢ ـ يمثّل الشرعيون الوجه الفكري الذي يظهرُ توجّهات التنظيم عبر المقالات والبيانات والكلمات المرئية.

٣ ـ يعد الشرعيون ـ في حقيقة الأمر ـ جسرًا يربط عناصر التنظيم مع تنظيرات علماء التيار الجهاديّ كأبي محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني وعطيّة الله الليبي.

٤ ـ للشرعيين دور رئيس في تشكيل القناعات الأيديولوجية للعناصر المنضوية تحت راية التنظيم سواء في الدورات التدريبية أو الشرعية أو الأحاديث الوعظيّة البينيّة في مختلف الأحوال.

٥ ـ اعتمد الفصيل في بنيته الإدارية على الشرعيين من ذوي الخبرات المزدوجة إذ ينال عضوية مجلس الشورى ١٢ شخصًا يمكن وصفهم بأنهم شرعيّون من أصل ١٥ عضوًا، فإلى جانب أن شرعيّ التنظيم العام متخصص في الحديث، فإن رئيس مجلس الشورى قائدٌ عسكريّ لجيش الملاحم وشرعيّه في الوقت نفسه أما قائده العسكريّ المغتال وأبو خديجة الأردني وأبو خلاد المهندس فقد كانوا ـ إلى جانب كونهم من مجلس الشورى ـ من الدائرة المقربة للزرقاوي وأبي محمد المقدسي،

وكذلك تسنّم أبو أسامة الشوكاني إدارة شؤون الدعوة والحسبة وهو شرعي يمنيّ، أما القضاء العام فقد كان بيد كلٍّ من الشيخ أبي عمرو التونسي، ثم أبي ذر المصريّ، وهما شرعيان أيضًا، وكذا مسؤوله الأمنيّ العامّ..

كل هذه الوظائف والمهام ـ التي اضطلع بها الشرعيون في حراس الدين ـ تؤكد أهمّية حضورهم الفكري والبنيوي في قيادة التنظيم، ويشير لحساسيّة الأدوار التي قاموا بها، وهذا ما سيبيّنه الفصل القادم.

٣. الحضور الشرعي في تنظيم حراس الدين، بين الأيديولوجيا والدور

٣. ١: الشرعي والخطاب الأيديولوجي

لم ينشر تنظيم حراس الدين بيانًا خاصًّا يوضّح اختياراته الأيديولوجية وتوجّهاته الفكريّة، وبالرغم من كون كثير من مؤسسي التنظيم والمبايعين له من التيار الجهاديّ ـ المستقل أو المبايع للقاعدة سابقًا ـ إلا أن ذلك لا يعدّ ـ رغم ضرورة الاستئناس به ـ دليلاً حاسمًا على الهويّة الفكرية للتنظيم.

من ثمّ فقد كان المعبر الأوضح عن أفكاره هي الاختيارات والمنشورات والكلمات والمقالات التي ينشرها شرعيو التنظيم على الفضاء الافتراضي وقنواتهم الخاصة في تطبيق تلغرام، إلى جانب البيانات التي تصدّر في التنظيم عبر مؤسسته الرسمية «شام الرباط».

لم يقف الباحث على جهة معيّنة يحقّ لها إقرار سياسة التنظيم الفكرية، إذ إنّ التداول الخاص في التنظيم حبيسٌ بين القيادة التنفيذية العامّة ومجلس الشورى الذي ينخرط فيه كلّ من مسؤولي القضاء الشرعي والحسبة والدعوة في التنظيم، مع ملاحظة أن أغلب مفاصل الفعالية في التنظيم كانت بيد أشخاص ذوي خلفيّات

شرعية، أي أن معظم كوادر ونشطاء التنظيم هم إلى حدٍّ ما «مسؤولون شرعيون» وبما أن التنظيم هو في أساسه تنظيم جهاديّ التوجّه ـ وإن ببعد محليٍّ في مرحلة تأسيسه ـ فكون معظم كوادره الفاعلة من الشرعيين أمرٌ غير مستبعَد بل هو المفضّل لدى العناصر، وبالعكس فإن غياب هذه الصفة فيهم ستسبّب أزمة داخل التنظيم، وهذا يثبت أهمية الشرعي ودوره المتنامي فيه ـ كما سيعرضُ الفصل ـ.

في حقيقة الأمر فإن التوافقات التي نراها بين إصدارات تنظيم القاعدة والأفكار التي ينشرها شرعيّو «حرّاس الدين» تكاد لا تخلو من تطابق أو تماثل شديد، فبالنظر إلى ما أخرجه التنظيم من أفكار نرى أنها مشابهة لأفكار تنظيم القاعدة التي خصص لها مئات المواد المرئية والنصية والسمعية التي توضّح اختياراته الأيديولوجية[1]، خصوصًا بعد الخلاف الذي فصل بين كلٍّ من تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة.

---

(١) نمثل في هذا المعرض للكتب الآتية التي تعدّ نماذج مرجعية لعموم التيار الجهادي القريب من تنظيم القاعدة ولمنظرين مستقلين يعدّون مرجعيات شرعيّة للقاعدة وحراس الدين على حد سواء، منها على سبيل المثال:

ـ الأعمال الكاملة لعطية الله الليبي، دار المجاهدين، نسخة إلكترونية، ط١، ٢٠١٥.

ـ العمدة في إعداد العدة، عبد القادر بن عبد العزيز، نسخة إلكترونية، موقع التوحيد والجهاد.

ـ الجامع في طلب العلم الشريف، عبد القادر بن عبد العزيز، نسخة إلكترونية، موقع التوحيد والجهاد.

ـ الولاء والبراء، عقيدة منقولة وواقع مفقود، أيمن الظواهري، نسخة إلكترونية، دون بيانات

ـ الحصاد المر، أيمن الظواهري، منشورات جماعة الجهاد، نسخة إلكترونية

ـ كشف النقاب عن شريعة الغاب، أبو محمد المقدسي، نسخة إلكترونية، منبر التوحيد والجهاد

ـ ملة إبراهيم، أبو محمد المقدسي، نسخة إلكترونية، منبر التوحيد والجهاد.

اختصرت قيادة حراس الدين الصراع في سوريّة بأبعادٍ عقديّة ودينيّة محضة، فـ «المعركة معركة الإسلام، وهذا الصراع صراعٌ بين الكفر والإيمان، صراعٌ بين الحق والباطل، صراع بين الموحدين والمشركين [...] هي معركة بين المجاهدين الموحدين الصادقين ضد أعداء الدين من الكافرين والطواغيت والمرتدين والملحدين والمنافقين، فإما أن تثبتوا فيستعملكم ربكم، وإما أن تتولوا فيستبدلكم ربكم»[1]، فالصراع بين ملّة كفرٍ وإيمان، والحرب على الإسلام عمومًا ولأهل الشام فيها نصيب كبير.

وهذا الاختزال الكبير، إنما هو تهرُّب من صياغة موقف خطابٍ سياسيٍّ وشرعيٍّ واضحٍ تجاه واقع معقد، وهذا الاختزال ذاته يأخذ بالاعتبار الطبيعة المركبة للصراع وما يستتبعه ذلك من مرونة وذكاء في التعاطي مع عناصره وذلك بالتحالف مع هذا الطرف واحتواء هذا وتأجيل المواجهة مع ذاك[2]، ومن ثمّ فإننا لا نستغرب أن نرى أبا عبد الرحمن المكّي ينصّ على حرمة القتال مع الرايات العميّة ولو كان ذلك لدفع الصائل، فالقتال الشرعي الوحيد هو الذي يحصل لتكون كلمة الله هي العليا و«القتال تحت الرايات العمية يحصل فيه تشويه للدعوة الإسلامية، ومشابهة العصاة وأهل الجاهلية، وتغرير المسلمين بأن هذه الراية هي راية الدين»[3] إلا أن

---

(١) ينظر: كلمة يا أهل الشام الثبات الثبات، أبو همّام الشامي، كلمة صوتية بثتها مؤسسة شام الرباط، بتاريخ: ٧/ ٣/ ٢٠٢٠، يمكن الوصول إليها عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3B01Zv4

(٢) يراجَع دراسة: تنظيم حراس الدين، إشكاليات النشأة والتفكيك، عبد الغني مزوز، المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، نسخة إلكترونية، ص: ٥٧.

(٣) أبو عبد الرحمن المكّي، الراية، ضمن رسالة عقديّة في حرمة القتال إلى جانب الرايات العميّة، بتاريخ ٧/ ١١/ ٢٠٢٠، ينظر الملف على الرابط الآتي على قناة تلغرام:

https://t.me/Abdul_Rahman_AlMakki/83

هذا القول الأخير، لا ينقض الرأي الأول، فالتحريض ضد الرايات العميّة من قبل أحد أهم شرعيي التنظيم، جاء قبيل اعتقاله بمدة قصيرة، كما أنّ كلامه ذلك كان بعد اغتيال التحالف الدولي لعدد من أهم كوادر التنظيم العسكرية والفكرية، ومن ثمّ فاختيار التصعيد ههنا أمر مسوّغ ومفهوم.

وحين يسأل د. سامي العريدي عن عقيدتهم التي يدينون لله بها، فإنه لا يخرج عن الكلام الذي تلقّاه عن أبي محمد المقدسي وشيوخ القاعدة، حيث السياق واضح، إما التوحيد أو الكفر والحرب على الإسلام، أما تنظيم الدولة فخوارج نهضوا إلى قتال المسلمين ظلمًا وعدوانًا، ولا تحكيم إلا بحاكميةٍ من الله، ولا ولاء أو براء إلا لمن يوالي الله أو يعاديه، والحكام المسلمون طواغيت يقيمون على برلمانات شركية، ولا قوام للدين إلا بكتاب يهدي وسيف ينصره[1]، وهذا بمجمله لا يخرج عن مقولات أبي محمد المقدسي ونهج تنظيم القاعدة.

فالميل للعنف لدى القاعدة مستندٌ إلى مفاهيم مشوّهة عن كلٍّ من الحاكمية والجهاد والولاء والبراء والحاكمية والتوحيد، واعتبار الجهاد قتالاً هو الطريق الأمثل لتحقيق أمر الله وحاكميته، وقامت ـ بهدف توظيف هذا المفهوم وجعله واقعًا ـ باستحلال الأنفس والدماء والأموال، بناء على وصف الواقع بالشرك والكفر، ثم يتأسس على ذلك لزوم مواجهة الكفر والشرك والجاهلية ـ أو الكفريات بتعبير أبي محمد المقدسي ـ كالإقرار بحق التشريع المطلق والتحليل والتحريم لغير الله إضافة الى وجود كم هائلٍ من

(١) ينظر: نبذة عما ندين به لله ونعتقده، د. سامي العريدي، نسخة إلكترونية، ص: ٦ ـ ١٢، وقريب من ذلك ما قرره أبو عبد الرحمن المكي في كتابه: «مسائل الهمّام على نواقض الإسلام» ص٥٧.

التشـريعات والقوانين المخالفة للشـريعة الإسـلامية في كافة النواحي الاجتماعية والاقتصاديـة والتجاريـة والجنائيـة وغيرهـا[١]

وهنا يجب ـ قبل كل شيء ـ الكفر بهذا الطاغوت ـ أي الدستور وقوانينه ـ ومعاداته والبراءة منه وعدم الرضى والاستسلام إلا لحكم الله وحده وذلك كي يتحقق معنى لا إله إلا الله[٢]، وقد جرّ ذلك إلى إطلاق أحكام التكفير ـ بالجملة ـ على قطاعات كبيرة من المؤسسات الرسمية العسكرية ـ باعتبارها طوائف ممتنعة[٣] ـ والمدنية[٤]، ولا فرق بين من حكم أو شارك في حماية أو تطبيق هذا الدستور وهذه القوانين سواءً أكان رئيسًا أو مرؤوسًا أو مسؤولاً أو قاضيًا أو جنديًّا أو حتى إسلاميًّا هدفه الغائي تطبيق الشريعة أو علمانيًّا هدفه محو الشريعة، إذ الحاكمية تقتضي البراءة من الطاغوت ومن كل من دافع عنه ونافح عن قوانينه وأصر على تحكيمه وتعبيد العباد له[٥]

---

(١) يراجع في هذا الإطار الآتي: عبد القادر بن عبد العزيز، العمدة في إعداد العدة، (٦ ـ ٨) والفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الحاكمية، مقال إلكتروني، أبو محمد المقدسي، ضمن موقع: منبر التوحيد والجهاد، وينظر: الحصاد المر، أيمن الظواهري، (١/ ١٨ ـ ٢١)، وينظر: كشف النقاب عن شريعة الغاب، أبو محمد المقدسي، نسخة إلكترونية، منبر التوحيد والجهاد، (٢٤).

(٢) ينظر: كشف النقاب عن شريعة الغاب،(100)

(٣) ينظر: المرجع السابق، (١١٢ ـ ١٣٣).

(٤) يجدر الإشارة إلى أنه لم يسبقه في هذا المضمار إلا سيد إمام في كتابيه: (العمدة في إعداد العدة) و(الجامع في طلب العلم الشريف).

(٥) ينظر: كشف النقاب عن شريعة الغاب، أبو محمد المقدسي، (١٠١)، ويوافقه د. سامي العريدي في مقاله: هل شذَّ علماء الحركة الجهاد في تكفير الأنظمة الحاكمة بالقوانين الوضعية؟، ينظر عبر الرابط: https://justpaste.it/15smg

ولعلّ أبرز المواقف التي صدرت من شخصيات شرعية من حراس الدين، وتتشابه مع ميول المقدسي ومفاهيمه تلك، هو الجرأة التي أعلنها الشيخ أبو خديجة الأردني في موقفه من الرئيس المصري الراحل محمد مرسي حيث وصفه بالطاغوت وأنه «ليس منا» وذلك في مخالفة صريحة لرأي شرعيي التنظيم ولموقف تنظيم القاعدة ذاته من محمد مرسي وتجربته في الحكم، فرغم أن «الأعمال الصالحة التي وقعت من مرسي ومن على شاكلته فإنها تمنع لحوق مسمى الكفر به» إلا أن مرسي ذاته وصل إلى الحكم من خلال «الطاغوت» الذي أُمر المسلمون باجتنابه، وتأييد هذا الطاغوت ـ أي الديمقراطية وأنظمة الحكم المعاصرة ـ من قبل العلماء الشرعيين إنما هو تمرير لحلقة جديدة من التحولات وانقلاب سافر على مسلمات طالما كانت من القلاع الحصينة لعقيدة أهل السنة والجماعة[1]

وسنرى إلى جانب أبي خديجة الكثير من مشايخ تنظيم حراس الدين[2] عبر قنواتهم على تطبيق تلغرام أو الحسابات الرديفة المؤيدة لهم، تبث أفكارهم دون نسق واضح وخطاب محدّد، إلى اليوم، حيث لم يصدر عن تنظيم حراس الدين أي دراسة أو بحث أو كتاب يتضمن منهجه وخطابه السياسي بشكل مفصل ومؤصّل، باستثناء بعض التدوينات والمقالات والبيانات التي لا تخرج في معظمها عن نهج وأفكار كلٍّ من تنظيم القاعدة وأبي محمد المقدسي على وجه الخصوص.

---

(١) ينظر مقال أبي خديجة الأردني، ليسوا منا، مؤسسة بيان، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3yJQLZI

(٢) من بينهم أبو محمد السوداني، وأبو عبد الرحمن المكي، وخلاد المهندس، وأبو جليبيب الأردني، وأبو خديجة الأردني، وأبو ذر المصري، وأبو يحيى الجزائري، وغيرهم، إلا أن تلغرام نظرًا لسياسته ومعاييره، يحذف هذه القنوات ولا ينجو منها إلا القليل، مثل قناة على نهج الإمام التي فيها أرشيف مهم لمشايخ حراس الدين.

وهذا يقودنا ـ بشكل ما ـ إلى النظر للمقدسي باعتباره مرجعية معتبرة عند حراس الدين وإن لم يعلن عن ذلك؛ إذ إن المقدسي منظر جهادي بارز، وقد كان له دور أساسيٌّ في تأمين الغطاء الشرعي والأيديولوجي لتنظيم حراس الدين في الوقت الذي نشطت فيه مسألة الانفكاك عن القاعدة والدعوة لتأسيس تشكيل بديل، حيث نشط المقدسي بشكل مكثف على قناته في تلغرام وموقعه الإلكتروني معلّقًا على الأحداث وداعمًا للتنظيم من خلال كتابة المنشورات وإصدار الفتاوى والإجابة على الأسئلة التي ترده من عناصر التنظيم بخصوص أحكام المشاركة في المعارك، وإخلاء نقاط الرباط من عدمه، وحكم قيادة الهيئة وغيرها، وتوصيف القتال الحاصل هل هو قتال فتنة أم قتال بغي[1] دون أن يكون هناك اعتراض من قيادات التنظيم لاحقًا ضد آرائه وفتاويه ومواقفه، إضافة إلى وجود د. سامي العريدي ذاته في اللجنة العلمية الشرعية في منبر التوحيد والجهاد الذي يشرف عليه المقدسي، مما يؤكد أن المقدسي يحظى بالثقة داخل تنظيم حراس الدين ويضطلع بدور حيوي لم يضطلع به غيره من مشايخ الساحة الجهادية المستقلين خارج سورية.

٣. ٢: مساحات فاعلية الشرعيين في حراس الدين

١. دور الشرعيين في الانفصال عن الهيئة وتأسيس حراس الدين:

في ٢٨ من تموز/ يونيو ٢٠١٦ بثت مؤسسة المنارة البيضاء كلمة لأحمد حسن أبو الخير المصري نائب قائد تنظيم القاعدة د. أيمن الظواهري يعلن فيها

---

(١) ينظر على سبيل المثال: كبير شرعيي «تحرير الشام» يرد على المقدسي والأخير يعلق، على موقع: عربي ٢١، https://bit.ly/3zOVlXe، وينظر: ملاحظات على تعقبات فضيلة الشيخ أبي عبد الله الشامي، أبو محمد المقدسي، على موقع منبر التوحيد والجهاد، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/38xAprX

موافقة التنظيم على انفصال جبهة النصرة، مؤكدًا أن التنظيم لم يألُ جهدًا ليحافظ على ـ ما سماه ـ «الجهاد الشامي» قويًّا متلاحمًا لا يفصل المجاهدين عن حواضنهم المحليّة، وأن انتشار الجهاد في البلاد المتفرقة يحتم قيادتها بعقلية الأمة لا الجماعة، وهنا يجب أن تكون الجماعات والتنظيمات عامل توحيد وحشد لا تفريق ومنابذة[1].

في اليوم ذاته ظهر أبو محمد الجولاني مع الشرعي العام للجبهة عبد الرحيم عطون وأبي الفرج المصري، ليعلن عن فك ارتباط التنظيم بالقاعدة وتغيير اسمها إلى جبهة «فتح الشام»[2]، وعلى الرغم من أهمية هذا التحوّل إلا أن المشهد أظهر تعقيدات واسعة تمخّض عنها الواقع الأيديولوجي والجهادي في المنطقة، بدءًا من الانفصال عن الكيان الجديد، وصولاً لتأسيس كيان جديد بعيدًا عنه وإدارته مستقبلًا

إثر إعلان الانفصال بدا أن جبهة فتح الشام دخلت مرحلة جديدة من العمل، وأن التنظيم الداخلي بات أكثر تماسكًا، وأن مرحلة الفصائلية المبنيّة على الاختلافات الأيديولوجية ستغدو جزءًا من التاريخ، ليحلّ مكانها العمل الموحّد دون التفرقة التي تفرضها تصنيفات الدول وتوجّهات الجماعات.

هذه الدلالة الطبيعية ـ بمقتضى الحال ـ لخبر الانفصال عن القاعدة والسعي

---

(١) ينظر الكلمة على أرشيف موقع جهادولوجي، عبر الرابط الاتي:

https://jihadology.net/2016/07/page/2/

(٢) ينظر تعرف على جبهة فتح الشام.. «النصرة» سابقا، قناة الجزيرة، على الرابط الآتي:

https://bit.ly/3AMfhLs

للتوحّد مع الفصائل الميدانيّة، إلا أنّ مراسلات وتصرّفات كشف عنها لاحقًا ـ سيأتي الحديث عنها ـ أكّدت غياب التنسيق وظهور شقاق واضح داخل مكونات «فتح الشام» وميل قيادات مهاجرة ومحلّيّة كثيرة منها للخروج عنها والعودة لظل تنظيم القاعدة.

شهدت هذه المرحلة أي عشية الإعلان عن جبهة فتح الشام انقطاعًا للتواصل بين جبهة النصرة وبين الظواهري استمر لثلاث سنوات تقريبًا، بسبب الظروف الأمنية لأيمن الظواهري. لكن هذا الأخير وضح قبل غيابه أن أبا بصير الوحيشي قائد تنظيم القاعدة في اليمن سيكون نائبًا له ومكلفًا بتدبير شؤون التنظيم إلى حين تفعيل التواصل معه من جديد. بعد فترة من انقطاع التواصل مع الظواهري دخل إلى سوريا في ٢٠١٥ مجموعة من كبار قيادات القاعدة قادمين من إيران وقد جرى إطلاق سراحهم بموجب صفقة تبادل بين إيران وبين القاعدة في اليمن[١]، وضمن ترتيبات الصفقة نفسها أطلقت إيران قيادات أخرى ـ هم أبو محمد المصري، وسيف العدل ـ مع عدم السماح لهم بمغادرة إيران، والسماح لكلٍّ من أبي الخير المصري وأبي القسام الأردني وخلاد المهندس وأبي عبد الكريم المصري بالوصول إلى سوريّة.

أظهر أبو الخير المصري لقيادة جبهة النصرة وثيقة مهمة تكشف موقعه القيادي ودوره داخل القاعدة، تتضمن الوثيقة أسماء الشخصيات التي ستتولى بالترتيب قيادة تنظيم القاعدة في حال غياب أيمن الظواهري، وبموجبها أصبح أبو

---

(١) ينظر: صفقة تبادل «أسرى» مثيرة بين تنظيم القاعدة وطهران، الشرق الأوسط، عبر الرابط الآتي:
https://bit.ly/2UrDOom

الخير المصري نائبًا ومستخلفًا على التنظيم حتى يظهر الظواهري من جديد[1]

ما هي إلا شهور قليلة حتّى يعلَن عن تأسيس هيئة تحرير الشام، بعد قرار أهم الفصائل في الشمال التوحّد ضمن جسد واحد، أهمّها جبهة فتح الشام، وجبهة أنصار الدين، وحركة نور الدين زنكي، ولواء الحق، وجيش السنة، والحزب الإسلامي التركستاني، وجيش الأحرار المنشق عن حركة أحرار الشام، وقد انضم للجسم الجديد تباعًا عدد من الكتائب الصغيرة والشخصيات والهيئات المستقلة وغيرها، وتولّى قيادة هذا التشكيل القيادي المنشق من حركة أحرار الشام هاشم الشيخ أبو جابر[2].

لقد كان هذا الإعلان قطيعة مبطّنة تنظيميًّا وبداية شقاق فكري بين جبهة فتح الشام وتنظيم القاعدة الذي فقد بعد شهر من ذلك ـ أي في ٢٧ فبراير/ شباط ٢٠١٧ ـ عبد الله عبد الرحمن ـ أبو الخير المصري ـ الذي استهدفته بقصف جوي طائرة أمريكية من دون طيار[3].

هـذا الاغتيال سيكرس حـالة الاحتـقان وعـدم الثقة بيـن التشكيل الجديد والشخصيات التي مازالت تحتفظ بولائها وبيعتها للقاعدة، فالمصري وإن كان المستخلَف الثاني في تنظيم القاعدة إلا أن شخصيّته توافقية ولا يميل للقيادة أو

---

(١) ينظر أسماء المستخلفين في قيادة تنظيم القاعدة في الوثائق الآتية، عبر الرابط الآتي:

https://bit.ly/3k4TqZK

(٢) كان ذلك في ٢٨/ ٠١/ ٢٠١٧.

(٣) ينظر: القاعدة تؤكد مقتل أحد أبرز قادته، أبو الخير المصري، في غارة بطائرة من دون طيار، بي بي سي عربي، عبر الرابط الآتي: https://bbc.in/3wAdPsh

المناكفة، بل إن أفكاره تميل للعمل القطري بعيدًا عن توجّهات الجماعات العامة، وهذا ما تفيده شهادة عبد الرحيم عطّون الشرعي العام لهيئة تحرير الشام، حيث يذكر أنه حثّ جبهة النصرة على فتح مكتب للتواصل مع تركيا، وحاول إقناع الفرع اليمني للقاعدة بترك العمل الخارجي، وأنه كان مرحّبًا شخصيًّا بفكرة فك الارتباط بين القاعدة والنصرة قبل أن يرفضها القادة الآخرون[1].

هـذه الشـهادة يرفضها شرعيّو تنظيم حراس الدين، ويرون أن أبا الخير المصري كان قد اجتهد وأخطأ في فهم التفويض الذي أقره إياه الظواهري، وأن الاستخلاف لا يعني البتّ في البيعة، وأن القيادات الأقرب منه إلى الظواهري ـ أبو محمد المصري وسيف العدل ـ كانوا قد رفضوا فكّ الارتباط وذلك بحسب ما أكده كلٌّ من د. سامي العريدي، وأبي القسّام وغيرهما من شرعيي حراس الدين في شهاداتهم[2]

كان دور الشـرعيين ـ الذين شـكّلوا حـراس الدين لاحقًا ـ مقتصـرًا على الردّ والشـهادة فـي موضـوع الخـلاف ـ فـك الارتبـاط ـ دون إظهـار ذلـك للعلـن، إلا أن تأسـيس هيئـة تحريـر الشـام وإنـكارِ أبـي الخيـر المصـري أي دور أو علـم لـه

---

(١) ينظر رد عبد الرحيم عطون على كلمة الظواهري، يمكن تحميل الوثيقة من الرابط الآتي:
https://bit.ly/3i1EpFD

(٢) ينظـر سلسـلة لله ثـم للتاريخ للشـرعي العام لحـراس الدين، سـامي العريدي، عبـر الرابط الآتي: https://t.me/Nhgalaemam1/830 ومقطـع فيديـو يتكلـم فيـه أبـو همـام عـن نفسـه بعنـوان شـهادة فاروق السـوري، على موقع أرشـيف، عبر الرابط: https://bit.ly/3AIOe3M، شـهادة أبو القسـام ورده علـى الشـرعي العام للهيئـة عبد الرحيم عطـون، قناة علـى نهج الإمام، عبـر الرابط: https://t.me/Nhgalaemam1/833

بالمسألة فاقم من الخلاف[1]، ودفعهم للحرص على تأسيس تشكيل جديد[2]

(١) بحسب شهادة العريدي، في سلسلة لله ثم للتاريخ، وفي هذا الإطار الكثير من التفاصيل، بدءًا من أن أبا الخير المصري هو الذي أخبر قيادة جبهة النصرة بأن صلاحياته كمستخلف تخول له البت في مصير علاقة النصرة بالقاعدة ومن هنا كان اتفاق الجولاني معه على تغيير اسم جبهة النصرة وإعلان انفصالها عن تنظيم القاعدة، على أن يكون هذا الانفصال إعلاميًّا فقط مع بقاء البيعة سرًّا، فإن مضت فصائل الثورة في مشروع التوحد ونجحت في تحقيقه، فستلغي جبهة النصرة بيعتها للقاعدة وإن فشلت الفصائل في التوحد بقيت العلاقة والبيعة كما كانت، وذلك بحسب شهادة عبد الرحيم عطون آنفة الذكر.

إلا أن شرعيي حراس الدين يؤكدون في شهاداتهم أن المصري أرسل رسالة إلى سيف العدل وأبي محمد المصري الموجودين في إيران يطلعهما على مضمون اتفاقه مع الجولاني، فرفضا الاتفاق، إلا أن المصري أصر على تنفيذ الاتفاق لفهمه مقتضى الاستخلاف بأنه تفويض في البتّ بما يلزم، إلا أن الظواهري نفسه أعلن في رسالته الأولى رفضه لخطوة فك الارتباط إعلاميّا مع بقاء البيعة سرية، وأنّب أبا الخير المصري لموافقته على الخطوة، وأكد له أن فصل أي فرع من فروع القاعدة ليس من صلاحيات الأمير نفسه وإنما من صلاحيات مجلس الشورى، بحسب شهادة العريدي ـ في سلسلة لله ثم للتاريخ ـ وأن صلاحيات «المستخلف» وإن عظمت لا تبلغ صلاحيات النائب، وقد حاولت جبهة فتح الشام ثني الظواهري عن رفضه إلا أنها لم تفلح، فمضت في مشروع الاندماج في هيئة تحرير الشام. بالتوازي مع ذلك علّق بعض القادة عملهم في التشكيل الجديد ـ منهم أبو همّام الشامي والطوباسي وأبو خديجة ـ وانشق آخرون ـ منهم العاروري والعريدي وساري شهاب ـ بحسب ما ذكره أبو الفتح الأنصاري للبحث، لكن دون أن يعلنوا ذلك على الإعلام، وتولى أبو القسام الأردني مهمة التواصل مع القيادة العليا لتنظيم القاعدة من أجل وضعها في صورة ما يجري. وتلقي الأوامر والتعليمات بخصوص ما ينبغي على المنشقين فعله، وهنا كد القيادي سامي العريدي القيادي المنشق عن النصرة أن أبا الخير توقف عن تأييد الانفصال ورد على كل من سأله عن موقفه بأن المسألة باتت خارج نطاق صلاحياته.

(٢) أكّد ذلك جميع من قابلهم الباحث.

كان لشرعيي هيئة فتح الشام نفسها ـ عطّون ومظهر الويس وأبو مارية القحطاني ـ تحفظات حول أفكار التيار الجهادي ومنظّريه، بينما يعتبر كل من أبي جليبيب الأردني وأبي خديجة الأردني وسامي العريدي وأبي القسّام الأردني وأبي همّام الشامي وأبي يحيى الجزائري من أبرز الوجوه القيادية المتشبثة بأفكار السلفية الجهادية، إلا أن هذا الاختلاف لم يحدث أن تحوّل إلى تضارب وتنافس في المنهج الشامي باعتباره موقف «إيمان أو كفر» إلا بعد الانفكاك عن القاعدة، فقد كان العريدي والقحطاني ومظهر وأبو خديجة يعملون ضمن المفصل الشرعي والقضائي لجبهة النصرة سابقًا، إلا أنّ الهيئة بدأت بالتضييق على القيادات الموالية للقاعدة، التي بدأت سعيها الفعلي لتأسيس جسم جديدٍ يعيدُ حضور القاعدة في سورية.

أوقف حاجز تابع لهيئة تحرير الشام في ١٨ أبريل/ نيسان ٢٠١٧ زوجة إياد الطوباسي «أبو جليبيب الأردني» للاستعلام عن مكانه في مؤشر واضح على أن الهيئة ضاقت ذرعًا بتحركات الرجل ورفاقه الموالين للقاعدة، كما تشير وثيقة صادرة عن هيئة تحرير الشام أن أبا القسام الأردني بعث رسالة إلى قيادته يكشف فيها أنه استطاع إقناع حوالي ٢٠٠ عنصر بالدخول في مشروعه إضافة إلى قاطع الملاحم في الهيئة[١]، وقد حاولت الهيئة استدراك الأمر فأعلنت في ٢٧ تموز/ يوليو ٢٠١٧ عن قرار تمنع هيئة تحرير الشام بموجبه «تشكيل أي فصيل جديد في الشمال وتحت أي مسمى»[٢] وأتبعت ذلك باعتقال عدد من

---

(١) ينظر: شهادة الشيخ المجاهد أبو عبد الرحمن المكي بخصوص ما ذكر أن جيش الملاحم خرج بسبب القسام، قناة على نهج الإمام، عبر الرابط الآتي: https://t.me/Nhgalaemam1/953

(٢) ينظر: «تحرير الشام» تمنع تشكيل أي فصيل جديد في الشمال السوري، السورية نت، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/36qqpQl

القيـادات التـي رفعـت انتقاداتها ضد خطـوة الانفكاك عن القاعدة ورفضت مسـعى تشـكيل هيئة تحرير الشـام[1].

٢. حضور الشرعي داخل التنظيم، بين الفرض والرفض

إذا ما أَمْعَنّا النّظر في بنية العلاقة بين مكوّنات حراس الدين القياديّة، فسنرى أن أغلب القيادات الشرعية التي كان حضورها طاغيًا على ما سواها مرتبطٌ بأبي مصعب الزرقاوي، إما عن طريق اللقاء العابر أو الصداقة المتينة أو التوافق الفكري، بدءًا من الخليّة الخماسيّة التي أفرِج عنها في إيران، والتي كانت قريبة من الزرقاوي بحكم اللقاء والعيش معه في العراق أو أفغانستان ـ أبو القسّام الأردني، أبو جليبيب الأردني، أبو همّام الشامي، أبو خلّاد المهندس ـ أو من خلال اللقاء به في السجن

(١) اندفعت الهيئة لاعتقال عدد من أبرز القيادات التي ترفض انفصال الجبهة عن القاعدة ويحاولون إرساء دعائم التشكيل الجديد، منهم إياد الطوباسي المعروف بـ «أبي جليبيب الأردني» ـ شرعي وقيادي ـ، وبلال خريسات المعروف بـ «أبي خديجة الأردني» ـ شرعي وقيادي ـ، والقائد العسكري سمير حجازي «أبو همام الشامي» ـ عسكري وقيادي ـ إضافة إلى الشرعي العام د. «سامي العريدي» وأبو خلّاد المهندس ـ شرعيّ وقياديّ أمني ـ، إلا أن سراحهم أُطلق تباعًا بعد وساطات من وجوه سلفيّة جهاديّة مختلفة، كأبي محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطينيّ، إضافة إلى ضغط أيمن الظواهري على الجولاني في ٢٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٧ أي بعد يومين من الحملة حيث هاجم الظواهري في كلمته «فلنقاتلهم بنياناً مرصوصاً» الجولانيّ واتهمه بـ «نكث العهد». ينظر: تحرير الشام تطلق سراح سامي العريدي، شبكة قاسيون، عبر الرابط: https://bit.ly/3bYLz8C، وينظَر: هيئة تحرير الشام تعتقل قادة القاعدة الأردنيين، جريدة المدن، عبر الرابط: https://bit.ly/34gPr2m، وينظَر: ماذا تعرف عن قيادات وشرعيي جبهة النصرة الذي ألقي القبض عليهم، شبكة شام، عبر الرابط: https://bit.ly/34ITOZZ

في الأردن سابقًا ـ أبو خديجة الأردني ـ، أو من خلال القرب من منهجه الفكري ـ د. سامي العريدي[1] ـ .

كانت هذه الدائرة في مرحلة التأسيس أشبه بالمحرّك الأساس للتنظيم، ويبدو أن أعضاءها أرادوا إعادة استنساخ تجربة الزرقاوي في العراق، حيث إن سيف العدل كان قد أشاد به سابقًا ودعمه عند أسامة بن لادن لمساعدته في إرساء تنظيم للقاعدة من خلاله في بلاد الشام والعراق لاحقًا[2]

---

(١) كتب العريدي في إحدى مقالاته: «ما أحوجنا في هذه الأيام إلى إحياء فقه وسيرة هؤلاء القادة العظام ـ يقصد الزرقاوي ـ الذين نصروا دين الله بكل ما يملكون وثبتوا على الحق ولم يغيروا ولم يبدلوا.. فمن الواجب هذه الأيام إحياء سيرتهم ونشر أقوالهم وكتبهم» ينظر:

(٢) نقلًا عن وثائق آبوت الخاصة بأسامة بن لادن والتي أتاحتها الولايات المتحدة على شبكة الإنترنت، ينظر: تحولات في الجهاد العالمي، حسام جزماتي، تلفزيون سوريا، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2UGiv2E، وقد انتشر في المنتديات والمواقع الجهادية قبل حوالي عقد ونصف مقال منسوب إلى القيادي في القاعدة سيف العدل عنوانه «السيرة الجهادية للقائد الذباح أبي مصعب الزرقاوي» ينظر عبر الرابط: https://bit.ly/36votWO يتناول فيه سيف العدل جانبا من سيرة الزرقاوي، خصوصا ذلك الجانب المتعلق بوجوده في أفغانستان وملابسات تأسيسه لمعسكر هيرات. سيف العدل اعترف أن الزرقاوي حين قدم أول مرة إلى أفغانستان كانت "لديه أراء متشددة في بعض القضايا والأمور، وأن سيف العدل أخذ تفويضًا من أسامة بن لادن وأيمن الظواهري للتعامل مع الزرقاوي ومحاولة احتوائه، وقد اعترف سيف العدل أنه ساعد الزرقاوي وأبي القسام الأردني في تأسيس معسكر هراة، وأنه وظف جزءًا من موارد القاعدة لهذا الغرض. فبدأ الزرقاوي في استقطاب العناصر الأردنية والفلسطينية والسورية إلى معسكره، وكان مشروع الزرقاوي يقوم ضرورة على العودة إلى بلاد الشام وتدشين عمل جهادي مستدام هناك، وبعد الاجتياح الأمريكي لأفغانستان قام سيف العدل بتأمين خروج الزرقاوي ورفاقه إلى إيران ومنها

في فترة لاحقةٍ عن التأسيس حدث تمرُّدٌ واضح داخل تنظيم حراس الدين قاده كلٌّ من أبي اليمان الوزّاني وأبي يحيى الجزائري وأبي ذرّ المصري والقاضي العام أبي عمرو التونسي، بدعوى الإخلال في منهج الولاء والبراء، واستدلوا لذلك بالمعارك التي جرت في ٢٠١٩ واشتركت فصائل من الجيش الوطني المدعوم من تركيا، وقد كان هذا مستندًا للتأكيد على إخلال القيادة بموضوع الولاء والبراء.

ابتدأ الخلاف عندما رأى أبو يحيى الجزائري وأبو ذر المصري عدم المشاركة في بعض محاور القتال إلى جانب فصائل المعارضة القادمة من مناطق درع الفرات، وعدّوا ذلك خروجًا عن أمر الله، كما أنهما رغبا في كسر الخطوط التي تضعها الدول والفصائل المتعاونة معها، من خلال الهجوم المنفرد في أماكن لا تتوقّعها روسيا ولا قوات النظام، وقد كان للقياديين أهمية في التنظيم فهما عضوان في مجلس الشورى، كما أن أبا ذر المصري نفسه مسؤول في القضاء الأمنيّ داخل التنظيم[1]

أمام تصاعد واتساع دائرة النقد الموجه لقيادة حراس الدين من طرف أبي يحيى الجزائري وأبي ذر المصري وتلامذتهما وأتباعهما، وتحوّله من ملاحظات وتحفظات شرعية وعسكرية إلى توجّه أيديولوجي وتمرّدٍ يتخذ شكل التنفيذ ضد

إلى شمال العراق حيث سيطلق الزرقاوي برنامجه الجهادي البديل بعد احتلال العراق. وهذا بأكمله يؤكد لنا أن سيف العدل له دور أساسي في رعاية الزرقاوي والدفع به إلى صدارة المشهد الجهادي، وسيكون أمرا طبيعيا أن يقوم الآن بذات الدور مع الثلة التي رفضت الانفصال عن القاعدة في سورية، خاصة أن أهم عناصرها كان معه في السجن بطهران أي أبو القسام الأردني النائب السابق للزرقاوي ورفيق دربه وخلاد المهندس وأبو همام الشامي الذي كان مدرّبًا ومشرفًا على معسكر هراة المذكور.

(١) كما ذكر أبو أسامة الألماني وأبو الفتح الأنصاري للباحث.

القيادة الممسكة بزمام الأمور، فقد قرر مجلس قيادة التنظيم فصل كل من أبي ذر وأبي يحيى لأسباب تنظيمية حسب التعبير الوارد في تعميم الفصل الصادر بتاريخ ٢٣/ ٦/ ٢٠١٩[١]

كان لرفض الجزائري والمصري الامتثال للقرار دور واضح في زيادة تأزيم المشكلة، حيث أكدا أن قرارات الفصل من صلاحيات القضاء وليس القيادة، وبناء على ذلك تفاعل قرابة ٣٠٠ عضوٍ من التنظيم مع موقفهما، ورفعوا دعوى قضائية «لحل النزاع القائم في الجماعة بخصوص فصل الشيخين أبي ذر المصري وأبي يحيى الجزائري» وهو ما أكده القاضي العام آنذاك أبو عمرو التونسي بالقول: إن قرارات الفصل غير نافذة حتى يصادق عليها القضاء وأن دعوى يرفعها ٣٠٠ شخص لا بدّ من الوقوف عندها وإمضاء النظر فيها[٢].

تجاهل مسؤولو الحراس الإجراءات المتخذة بحقهم، وأصدروا قرارًا جديدًا بفصل عدد من الأشخاص من أبرزهم القاضي «أبو عمرو التونسي» و«أبو اليمان الوزاني»، إلا أن التونسي ـ بوصفه قاضيًا عامًّا ـ لوّح بتوجهه لعزل القيادة عن منصبها[٣]

---

(١) ينظر: «حراس الدين» ا لصراع الداخلي يحتدم.. وقائمة المفصولين تتسع، المدن، عبر الرابط: https://bit.ly/2UCZApt

(٢) ينظر: معلومات تكشف: القاعدة في سوريا في أزمة حقيقية، حيث جاء في التقرير وثائق صوتية لأبي عمرو التونسي، إلى جانب أمر استدعاء العريدي وأبو القسام وأبو همام الشامي للقضاء، على موقع أخبار الآن، https://bit.ly/3eoUeFp وينظر: قيادات جهادية تتحدث لـ «القدس العربي» عن طبيعة الخلافات بين مسؤولين من «حراس الدين»، القدس العربي، عبر الرابط: https://bit.ly/2TWVlVD.

(٣) أكّد ذلك أبو الفتح الأنصاري.

في ٣٠ حزيران/ يونيو ٢٠١٩ أي بعد أربعة أيام فقط من إصدار القضاة المفصولين مذكرات استدعاء بحق قادة التنظيم، قامت طائرات التحالف الدولي بقصف اجتماع ضم عددًا من القادة والمسؤولين الشرعيين المفصولين أدى إلى مقتل عدد منهم، وكان من أبرز من قضوا في القصف القاضي أبي عمرو التونسي وأبي دجانة التونسي وإصابة أبي ذر المصري الذي أشيع أنه قتل في القصف إلى جانب إصابة أبي اليمان الوزاني وأبي يحيى الجزائري، وقد تدخّلت قيادة القاعدة إثر هذه الضربة القاسية لدى مسؤولي حراس الدين بطلبٍ مباشر بإيقاف الخلاف والتركيز على وحدة الصف[1].

وبالنظر إلى خلفيات المشكلة فإن الأمر وإن لُبّس بلبوس الخلاف العقدي، إلا أن بعدًا آخر غاب عن التعاطي مع المسألة، وهو بعدُ الانتماء، فأغلب المفصولين ليسوا من دائرة ـ الزرقاوي والمقربين منه ـ حيث كانت هذه الدائرة تستأثر بتوزيع الموارد ـ على شحّها ـ ضمن الكتائب التي تواليهم، مع إهمال بقية الكتائب الأخرى، وعلى ما يبدو فإن موقف السعوديين من القضية كان مماثلاً لموقف القيادة، إذ لم يؤثر عنهم اشتراكٌ في تلك الحملة ضد القيادة، ولعل الواقع يفسّر ذلك، فالمهاجرون «الجزراويّون والأردنيون» أفضل ـ ماديًّا ومعنويًّا ـ حالاً من المهاجرين المغاربة والمصريين، وكان لهذه المجموعات قدرةٌ أكبر في الحركة والتجارة وإقامة العلاقات مع الناس والفصائل بوجه يكاد لا يقارن مع المجموعات الأخرى.

وبالرغم من أن الشرعيّين والقضاة الذين جرى فصلهم كانوا يتمتعون بتأييد ودعم من قطاعات كبيرة في تنظيم حراس الدين، إلا أن قيادة التنظيم العامة لم

---

(١) أكّد ذلك أبو الفتح الأنصاري.

تمنحهم المبرر للاستمرار في الانشقاق كما أن مقتل أهم رموز هذا التيار الناقم على الدائرة الضيقة في القيادة بقصف التحالف أدّى إلى تخفيف حدة التوتر داخل التنظيم، ووجّه البوصلة للتركيز في متابعة المستجدات التي ستتلاحق إثر ذلك في الشأن المحلّي كالعلاقة مع الهيئة، والإعداد المستمر للوقوف ضد الاتفاقات الدولية التي يبرمها ضامنو آستانة والقتال ضد النظام وداعميه.

٣. السعي لترسيخ الخطاب الجهادي

كانت إحدى الوظائف التي طمح شرعيّو حراس الدين إليها هي تطبيق الشريعة الإسلامية، وإنشاء حكومة تتخذ الإسلام منطلقًا لرؤيتها الوجودية، ومن ثمّ نشط التنظيم ـ إلى جانب العسكرة ـ في نشر أفكاره ورؤيته، في أجزاء مختلفة من محافظة إدلب وحلب.

من أبرز ما قرّره حراس الدين هو رفض القتال إلى جانب الدول التي يصف حكوماتها بالطاغوت، ومن ثم رفض القتال في أي محور يشترك فيه الجيش التركي في عامي ٢٠١٩ و٢٠٢٠، وقد كان لأبي عبد الرحمن المكي رسالة واضحة في هذا الكلام، سماها بـ «الراية» حيث تشكل الرايات أساسًا مهمًّا للتفرقة بين الإيمان والكفر[١]، بل إن الصراع كلّه في أرض الشام ليس إلا صراعًا بين معسكري كفرٍ وإيمان، يقودها المسلمون الموحدون، والطواغيت المرتدون[٢].

إلى جانب ذلك لم يكن من الملفت أيضًا الترويج لعودة التنظيم من باب اللقاء

---

(١) أبو عبد الرحمن المكّي، الراية، مرجع سابق.

(٢) ينظر فيديو لـ د. سامي العريدي، بعنوان حقيقة الصراع، يوضح فيه هذه النقطة، عبر قناة الدرر السنية، على الرابط: https://t.me/zahid10_9/1794

في القدس وتحرير المسجد الأقصى كما يبشر تنظيم القاعدة[١]، إلا أن خطابات تنظيم حراس الدين تؤكّد هذا التوجّه، فرمزية الأقصى حاضرة بقوة في إصداراته المختلفة، وقد كان آخرها البيان الرسمي الذي أصدره بعنوان «المسجد الأقصى أمانة في أعناقنا»[٢].

أنشأ التنظيم «مركز دعاة التوحيد الدعوي» الذي ترأسه الشرعي اليمني أبو أسامة الشوكاني، والذي ضمّ عددًا من الفاعلين الشرعيين أبرزهم أبو هريرة المصري ـ نجل أبي ذر المصري ـ وأبو محمد السوداني وأبو عبد الرحمن المكّي[٣]، وقد تركّزت معظم أنشطة المركز على الخيَم الدعوية في مساجد بعض القرى إلى جانب خطب الجمعة، والمحاضرات الثقافية للشباب، ومنتديات الدعوة العامة، وجولات الدعوة، والدروس الثقافية، وزيارات نقاط الرباط والمستشفيات وتوزيع المطويّات وكتابة الشعارات والتوجيهات الموقعة باسم التنظيم على الجدران البارزة في المناطق العامة.

إلى جانب ذلك فقد افتتح المركز نحو ١٥ معهدًا أو نقطة تعليمية في قرى ومدن إدلب، لتعليم مبادئ العربية والإنكليزية والدراسات الدينية للأطفال، إلا أن إنشاء الحسبة أو جهاز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان من أهم أنشطته؛

---

(١) ينظر الروابط الآتية في قناة «على نهج الإمام» التي ما زالت تحتفظ ببعض بيانات جيش البادية وأخباره وإصداراته، ١. قرار عزل أمير جيش البادية، عبر الرابط الآتي: https://t.me/Nhgalaemam1/1070 ، ٢. البيان المعنون بـ «لقاؤنا في الأقصى» حيث يؤكد على الالتزام بنهج الشيخ أسامة بن لادن، عبر الرابط: https://t.me/Nhgalaemam1/1018

(٢) ينظر البيان في قناة رد عدوان البغاة، https://t.me/tapaiwr/4063

(٣) نقلًا عن أبو الفتح الأنصاري.

حيث كان عناصر التنظيم يحضون الناس على عدم الاختلاط والدعوة للالتزام باللباس الشرعي ـ النقاب واللباس الأسود السابغ الفضفاض ـ ، إلا أن الهيئة أوقفت هذا الجهاز عن العمل العلني[١] وذلك إثر المشكلة التي جرت بين الحسبة وطلاب من جامعة إيبلا الخاصة، حيث اقتحم عددٌ من عناصر الحسبة ـ التابعين للتنظيم ـ الحرم الجامعي في جامعة إيبلا بتاريخ ٢ أيار/ مايو ٢٠١٨، وطالبوا إدارة الجامعة بعزل الطلاب الذكور عن الطالبات الإناث، وذلك بحجة أن الاختلاط حرام، إلى جانب التهديد بإغلاق الجامعة في حال لم يتم تنفيذ التوجيهات[٢]

٤. الشرعي والتأسيس للفعل السياسيّ

اتسم الخطاب السياسيّ لتنظيم حراس الدين بالتشدّد والراديكاليّة، فلا يميل لعقد اتفاقٍ مع أي دولة تنخرط في الملف السوري، كما أنه يعلن عن رفض الاتفاقات الموقعة بين هذه الأطراف، ومن خلال الخارطة الفكرية لمشايخ التنظيم المطابقة لمرجعيات القاعدة وأبي محمد المقدسي ـ بالأخص ـ فإن الوصول إلى هذه الراديكاليّة أمر متوقّع.

مال شرعيو التنظيم إلى التأكيد ـ في خطابهم وفعلهم السياسي ـ على الآتي:

١ ـ رفض الاتفاقات الدولية

يرفض التنظيم المسارات السياسيّة كافّة، وقد أعلن عن رفضه لاتفاق سوتشي الموقّع بين تركيا وروسيا عام ٢٠١٨ حول إنشاء منطقة منزوعة السلاح في إدلب

---

(١) نقلا عن المصدر السابق ذاته.

(٢) ينظر الخبر ضمن: «حراس الدين» التابع للقاعدة يقتحم جامعة خاصة في ريف إدلب، على الرابط الآتي: https://bit.ly/36tF5hw

كما اعتبره التنظيم «مؤامرة كبرى» تشبه ما حصل في البوسنة، حيث «قتل الصرب المسلمين تحت أعين الأمم المتحدة» بحسب تعبير أحد قضاة التنظيم[١]

وقريبًا من ذلك يؤكد الشرعي العام د. سامي العريدي رفضه للتفاهمات الدولية، ويجزم في هذا الإطار بأن الجماعات الجهادية التي تلجأ إلى وعود الأصنام أو التفاهمات الدولية، هي نفسها مثل مجموعات الدعوة إلى الإسلام التي تلجأ إلى الديمقراطية لتنفيذ «شريعة الله»، إذ إن كليهما يعتقدان أنهما يعملان بشكل جيد لكنهما يسيران نحو السراب، ومن ثمّ فإن التعامل مع «الكفار» سواء في زمن السلم أو زمن الحرب، يجب أن تتحكم فيه أحكام الشريعة وأن تكون تحت إشراف العلماء والخبراء الأتقياء، ورغم ذلك فكثيرًا ما تكون التفاهمات الدوليّة محض خداع[٢]

نرى أن هذا التوجّه لدى شرعيي حراس الدين طغى على غرفة «وحرض المؤمنين» التي تعدّ أكبر تجمّع للرافضين لاتفاقيات الروس والأتراك، فأعلنت رفضها اتفاقيتي سوتشي عام ٢٠١٨ وموسكو ٢٠٢٠

*** اتفاق سوتشي ٢٠١٨**

قامت خلايا حراس الدين وفصائل «وحرّض المؤمنين» بالعديد من الهجمات على مواقع النظام في ريف اللاذقية وريف حماة وريف إدلب الشرقي والتخوم

---

(١) ينظر: من هم حراس الدين الذين رفضوا اتفاق سوتشي، موقع بي بي سي العربي، عبر الرابط: https://bbc.in/3dTrwdE

(٢) ينظر فيديو «حقيقة الصراع»، سامي العريدي، مرجع سابق. وينظر الفيديو في حال الحذف على قناة الصحفي همام عيسى https://t.me/HammamIssa/2522

القريبة من المنطقة العازلة المتفق عليها في اتفاق «سوتشي» عبر القصف بالأسلحة الثقيلة كراجمات الصواريخ أو مدافع الهاون، أو عبر التسلل إلى ما خلف خطوط المنطقة العازلة والقيام بكمائن ليليّة لدوريات النظام والجنود الروس[١]

وقد منعت «هيئة تحرير الشام» إضافة إلى فصائل أخرى في المنطقة تنظيم «حراس الدين» من القيام بعمل عسكري ضد مواقع النظام السوري في ريف اللاذقية الشمالي، بهدف تجنيب المنطقة قصف قوات الأسد والالتزام باتفاق «سوتشي» بحسب بعض المصادر الإعلامية، مما دفع بعض شرعيي «حراس الدين» إلى وصف الهيئة بالحارسة لاتفاق سوتشي، لا المعترفة به فقط[٢]

*** اتفاق موسكو ٢٠٢٠**

شاركت مجموعات مختلفة من التنظيم في المعارك التي جرت في سراقب وجبل الزاوية أواخر شهري يناير/ كانون الثاني وفبراير / شباط ٢٠٢٠ وقد أسفرت هذه المعارك إلى استنزاف كبيرٍ في صفوف التنظيمات الجهادية العاملة في المنطقة؛ لا سيما حرّاس الدين وأنصار التوحيد، مع تقدّم النظام السوري وحلفائه إلى معاقلهم الأساسية مثل ريف حلب الجنوبي وجنوب شرق إدلب قبل أن تتحول إلى داخل معاقل أخرى كـ «سرمين» شرقي إدلب، وكنصفرة وكفر عويد جنوبي

---

(١) ينظر أخبار استهداف غرفة وحرض المؤمنين لقوات النظام على الروابط الآتية:

https://bit.ly/2CxrZSo

https://bit.ly/2SktRmF

https://bit.ly/2AbmGq3

(٢) ينظر هيئة تحرير الشام تمنع حراس الدين من مهاجمة النظام في ريف اللاذقية، موقع جريدة المدن، عبر الرابط الاتي: https://bit.ly/34gn0kX

إدلب، من أجل الدفاع عنها ومنع النظام من السيطرة عليها أو التثبيت فيها.

وقد رفض التنظيم وغرفة وحرض المؤمنين اتفاق موسكو علنًا[١]، وقد حرص أبو الهمام الشامي على تأكيد رفض الخضوع عسكريًّا في كلمة صوتية له، إلا أن واقع الأمر يثبت التزام كافة الأطراف الجهادية بوقف إطلاق النار، كما تؤكّد معلومات مختلفة عدم ممانعة الحراس لفتح طريق M4 للحركة التجارية ما دام تحت سيطرة تركيا أو الفصائل المسلّحة، بناء على ما سمّي داخل التنظيم بأهون الشرور مع الاشتراط بأن تكون مواقع الحراس جنوب الطريق آمنة من المحاصرة أو مخاطر التفكيك[٢]، وإلى جانب ذلك فقد رفضت غرفة «وحرض المؤمنين» ـ التي يعدّ تنظيم حراس الدين أكبر مكوّن فيها ـ اتفاق موسكو الموقع في ٥ مارس/ آذار ٢٠٢ إلى جانب رفضها سابقًا مساري سوتشي وآستانا، وتعهّدت على مواصلة القتال ورفض تقديم الثورة وجهاد أهلها على مذبح المصالح الدوليّة[٣]، كما أعلن قائد تنظيم حراس الدين أبو الهمّام الشامي عن رفض الاتفاق فيها وطالب «أهل الشام» بالثبات ودعم المجاهدين في مواجهة أعدائهم[٤]

---

(١) ينظَر: كلمة أبو الهمام الشامي لأهل الشام، يا أهل الشام الثبات الثبات، مقطعٌ صوتيٌّ، على الرابط: https://bit.ly/2Rjx2ga، وينظَر: وحرّض المؤمنين ترفض تسيير الدوريات التركيّة الروسيّة وتدعو للقتال، شبكة بلدي نيوز، على الرابط: https://bit.ly/3bZmQRY

(٢) نقلًا عن أبي الفتح الأنصاري، في المقابلة التي أجراها الباحث معه.

(٣) ينظَر: وحرّض المؤمنين ترفض تسيير الدوريات التركيّة الروسيّة وتدعو للقتال، شبكة بلدي نيوز، على الرابط: https://bit.ly/3bZmQRY

(٤) ينظَر: كلمة الشامي «يا أهل الشام الثبات الثبات»، مقطعٌ صوتيٌّ، على الرابط:

https://bit.ly/2Rjx2ga

٥. حراس الدين بين هدم العلاقات وبنائها

إذا كان للشرعيّين في حراس الدين دور مهمّ في الانفصال عن هيئة تحرير الشام وتحريض الفصائل على ذلك، ثم دورهم في تأسيس تنظيم حراس الدين، فهم مع ذلك يملكون تأثيرًا واضحًا في بناء التحالفات والعلاقات وكذلك إنهاء العلاقات وتغيير استراتيجيات التحالف، ويظهر ذلك جليًّا من خلال موقفهم من الضامن التركي في مسار آستانة، ودورهم في تكوين الغرفة المشتركة لاتفاقية سوتشي التي عرفت بـ «حرّض المؤمنين» ثم تأسيس الغرفة الأكبر التي عرفت باسم «فاثبتوا» وصولاً إلى التحريض ضد فصيل أنصار التوحيد الذي كان مكوّنًا أساسيًّا في الغرفة الأولى «وحرّض المؤمنين» لاتهامات متنوّعة.

رغم ذلك فإن بناء العلاقات مرهون بحالة القوة أو التصدي للخطر المشتَرَك، إلا أن حالة الضعف أوجبت على شرعيي حراس الدين اتباع أسلوب مختلف من التنازل أو اللين في الخطاب، إلى جانب التأكيد على ضرورة التضحية والثبات في صفحات تلك الرسائل المبثوثة في الخطابات والمناشدات على حد سواء.

أ. تكوين التحالفات

ـ تشكيل غرفة «وحرّض المؤمنين»

فور تشكيله تنظيم حراس الدين زار قياديو التنظيم وشرعيوه ـ خاصة أبو القسام الأردني ود. سامي العريدي وأبو الهمّام الشامي وأبو يحيى الجزائري وأبو ذر المصريّ وساري شهاب خلاد المهندس ـ أغلب الفصائل في الشمال، داعين للتحالف معهم ضد الاتفاقات الدولية وضد الفصائل التي توافق عليها، من خلال تجميع الفصائل الجهاديّة في غرفة واحدة، الأمر الذي ترجم عمليًّا بإنشاء

غرفة «وحرّض المؤمنين» بتاريخ ١٥ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٨ والتي ضمت تشكيلات «أنصار التوحيد»، و«جبهة أنصار الدين»، و«جبهة أنصار الإسلام»[١]، وقد شاركت في معارك مختلفة على امتداد الشهور التي تلت تشكيلها، كمعارك صد تقدّم قوات النظام في مناطق ريف إدلب الشرقي في شهر ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٩، أو المعارك المتكررة في تلال كبانة الاستراتيجية، أو معارك سراقب وجبل الزاوية في يناير وفبراير / كانون الثاني وشباط ٢٠٢٠.

ـ تشكيل غرفة «فاثبتوا»

كانت بداية ظهور حراس الدين في سورية دافعًا لحديث وسائل الإعلام العربية والعالمية عن ولادة فصيل تابع للقاعدة قد يكون أكثر خطورة مما سواه في الساحة السوريّة، وأنّه سيكون مجدّدًا لتنظيم القاعدة، إلا أن التنظيم ذاته لم يستطع تنمية قوته، أو تجاوز معضلة سيطرة هيئة تحرير الشام على ملفات الساحة التي ينحصر فيها جغرافيًّا، ومن ثمّ سعت قيادات حراس الدين[٢] لإنشاء تحالف من عدة فصائل رافضة للاتفاق الأخير بين موسكو وأنقرة، فتم الإعلان عن غرفة فاثبتوا في ١٢ حزيران/ يونيو ٢٠٢٠.

---

(١) ينظر: وحرض المؤمنين، غرفة عمليات جديدة في شمال سورية، الدرر الشامية، على الرابط: https://bit.ly/39MqwVt

(٢) بالتحديد هم أبو همام الشامي الذي كان له علاقة قوية مع عبد المعين كحّالة المعروف باسم أبو العبد أشداء المنشق عن هيئة تحرير الشام وصاحب مشروع تنسيقيّة الجهاد، وأبو القسام الأردني الذي كان له دور مهم في استمالة أبي مالك التلّي تجاه التحالف الجديد مستغلًّا نقمته على الإقصاء والتهميش الذي يعاني منه داخل هيئة تحرير الشام، وأبو عبد الرحمن المكي الذي كان مع سامي العريدي وخلاد الجوفي بمثابة مراجع شرعيّة تحرض ضد الهيئة وتستثير الفصائل ضد سلوكياتها.

استلهمت الغرفة اسمها من الآية القرآنية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] إضافة إلى الحديث الشهير: (يا عباد الله اثبتوا)[١] ويشير هذا الاستلهام إلى أن هذه الفصائل ترى أن المواجهة قريبة وأنّهم قليلون في مواجهة عدوّهم ولذا يجب عليهم الثبات، وقد نصّ البيان على أنّ الغرفة جاءت لـ«دفع صيال المعتدين وكسرِ مؤامرات المحتلين» وقد ضمت كلًّا من «تنسيقية الجهاد» بقيادة أبي العبد أشداء «عبد المعين كحّال»، ولواء المقاتلين الأنصار، بقيادة أبي مالك التلّي «جمال زينيّة» المنشق عن هيئة تحرير الشام، وجماعة أنصار الإسلام السلفية ـ من القومية الكردية ـ وجبهة أنصار الدين، بقيادة الشيخ أبي عبد الله الشامي «الفجر»، إلى جانب تنظيم حراس الدين، بقيادة أبي همّام الشامي.

ومن الملاحظ أن الغرفة الجديدة بكل مفاصلها تكوّنت إما من منشقين عن الهيئة أو من جبهة فتح الشام سابقًا أو جبهة النصرة، أي ربطتها علاقة سابقة بالهيئة، إضافة لفصائل غرفة و«حرض المؤمنين» التي عارضت سياسات الهيئة[٢]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، برقم: ٢٩٣٧.

(٢) تم تشكيل تنسيقية الجهاد في ٩ شباط / فبراير من ٢٠٢٠ إثر إطلاق سراح أبو العبد أشداء، الذي كان من القياديين البارزين في «الهيئة»، وانضم إليها بعد الخروج من حلب عام ٢٠١٦ حيث كان في حركة «أحرار الشام» وكان يرأس لواء «مجاهدو أشداء» تعدادهم نحو ٢٠٠ مقاتل أغلبهم من حلب، وتولّى قيادة جيش عمر بن الخطاب في تحرير الشام، وفي أيلول/ سبتمبر ٢٠١٩ أصدر تسجيلاً بعنوان «كي لا تغرق السفينة» تحدث فيه عن الفساد الإداري والمالي في الهيئة والأخطاء القاتلة التي يرتكبها قياديوها، وإثر ذلك اعتقلته الهيئة بحجة رفضه تسليم نفسه للقضاء العسكري وإثر اعتقال دام ٤ شهور تم إطلاق سراحه، وقام بتشكيل تنسيقية الجهاد في ١٠ شباط/ فبراير من

مقاتليه السابقين والمتطوعين الجدد بحدود (٢٠٠) تقريبًا، ومن الجدير بالذكر أن أهم المقرّبين من أبو العبد: أبو حمزة الكردي، شرعي جيش عمر سابقًا، وأبو شعيب المصري، طلحة المسيّر، الذي يوصف بأنه «مرجعية دينية» هامة في المنطقة.

أما «لواء المقاتلين الأنصار» فيقوده «أبو مالك التلي»، جمال زينية، وهو من القياديين البارزين في «هيئة تحرير الشام»، وكان أمير «جبهة النصرة» في القلمون الغربي بريف دمشق، إلى أن انتقل إلى محافظة إدلب، بموجب الاتفاق بين «حزب الله» و«الهيئة» في إطار اتفاق المدن الأربع في آب ٢٠١٧.

ويحسَب التلّي على التيّار المتشدد في «الهيئة» الرافض للاتفاقات الدولية وهو قريب في فكره من «أبو الفتح الفرغلي» والشرعي السابق «أبو اليقظان محمد ناجي»، وفي شهر أبريل/ نيسان ٢٠٢٠ أعلن التلّي استقالته من الهيئة وكان أن سبق له الاستقالة منها في الماضي أيضا، إلا أن أبا مارية القحطاني أعلن عودته إلى صفوفها واستمر في مهامه مسؤولاً عن ملف التعليم إلى حين تأكيد انشقاقه عن الهيئة بانضمامه إلى غرفة فاثبتوا، كما تشير بعض المصادر من الداخل إلى أن التلّي انضم بحوالي نصف العناصر المهجّرين من أرياف دمشق أي عناصر لوائه وبعض المجموعات الأخرى التي كانت تحت قيادته، وأن انضمامه هذا تأكيد على انشقاقه مع نحو ٦٠٠ عنصر على الأقل عن الهيئة، وينتشرون بين سرمدا ـ بابسقا ـ كفر دريان، أي في المناطق التي تنتشر فيها مخيمات المهجرين من دمشق وريفها، إلا أن الهيئة استطاعت التعامل مع ذلك وفكّكت الغرفة وأعادت ضبط التوازنات داخل بنيتها من خلال أعادة الهيكلة التي قامت بها.

«جبهة أنصار الإسلام»: أعلن في شباط/ فبراير ٢٠١٥ عن وجود فصيل عسكري بمسمى جبهة أنصار الإسلام ويتركّز في غرب محافظة إدلب وجبال الساحل ولا يعرف اسم القيادي فيه، وقد انضم الفصيل إلى غرفة «وحرض المؤمنين» منذ بداية تشكيلها عام ٢٠١٨.

عدد الفصيل لا يتجاوز ٧٠ مقاتلاً معظمهم من الأكراد «سوريين وعراقيين وإيرانيين» وينتشرون في ريف إدلب الغربي ضمن مناطق الحزب التركستاني، وبينهم وبين جبهة أنصار الإسلام بقيادة «ملا كريكار» في إقليم كردستان العراق صلات تنظيمية، حيث يتلقون التمويل والتجنيد منهم.

كان من المتوقع أن تنتج آثار مباشرة عن تشكيل الغرفة، أبرزها:

التأكيد على الاستقلاليّة، والتوحّد أمام الاستهداف بحيث تكون الغرفة الجديدة بمثابة اتفاق دفاعٍ مشتركٍ أمام الجهات التي قد تهاجم مكوّنات الغرفة، سواء كان الاستهداف من الداخل أو الخارج، إضافة إلى إيجاد مساحة للمناورة والفاعليّة حيث تسيطر هيئة تحرير الشام على الملف الإداري في المنطقة، وبالتوازي مع ذلك فإنها ترغب في إظهار قدرتها على إدارة الملف العسكريّ وضبط تفاصيله، إلا أن الغرفة الجديدة طمحت لأن تتيح لمكوّناتها استقلاليّة ومساحةً أكبر في مواجهة الميليشيات الإيرانية وحلفاء النظام.

إلا أن هيئة تحرير الشام لم تمهل الغرفة الوليدة أي وقت، فأعلنت عن عدم شرعيتها بدعوى أنها تزيد في شرذمة الفصائل وتقسيمها، وأن أبا مالك التلّي مع كتائبه عضوٌ فيها ومن ثم لا يحق له الخروج من الهيئة التي يدين ببيعة دائمة لها، كما أن الهيئة حاصرت الغرفة وبدأت تفكيكها في غضون أيام من تأسيسها، الأمر الذي

«جبهة أنصار الدين»: أعلن أواخر تموز ٢٠١٤ عن تشكيل جبهة «أنصار الدين» بمشاركة أربعة فصائل هي «فجر الشام، وفصيل شام الإسلام، وفصيل جيش المهاجرين والأنصار، وفصيل الكتيبة الخضراء» ثم انضموا لحركة أحرار الشام لاحقا وقد عادت الجبهة للاندماج مرة أخرى في ١٠ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٦ من خلال عودة فصيل «حركة فجر الشام الإسلامية» بقيادة «أبو عبد الله الفجر الشامي» وحركة «شام الإسلام» ـ أغلب عناصرها مغاربة ـ التي يقودها «أبو محمد البيضاوي» في جسم عسكري واحد تحت قيادة الدكتور «أبو عبد الله الفجر الشامي» وبقيادة أبو الوليد العسكري من حلب، وينتشرون في جبال الساحل والريف الغربي لحلب خاصة دارة عزة، وقد كانت الجبهة مع الهيئة منذ بداية تشكيلها ثم انشقت عنها في فبراير/ شباط ٢٠١٨، وشكلت مع حراس الدين وجبهة أنصار الإسلام غرفة وحرض المؤمنين.

كان بداية القضاء على فصيل حراس الدين وتفكيكه من قبل الهيئة ـ التي نجحت في مسعاها إلى غاية اليوم ـ[1].

---

(١) أصدرت القيادة العامة لتنظيم القاعدة بيانًا مطوّلًا تطالب فيه «المجاهدين» بمجموعة من الأمور وتبيّن رأي التنظيم في قضيّة الانفصال عن الهيئة وتشكيل غرف عمليّات أو فصائل جديدة، وقد أكّد البيان على جملة من النقاط، أهمّها عدم شرعيّة تأويل هيئة تحرير الشام لنصوص البيعة والالتزام بالجماعة، خاصّة أنّها هي نفسها انشقّت عن تنظيم القاعدة وغلّبت مصلحتها الذاتيّة وأنشأت فصيلاً منفصلاً في بنيته واستراتيجيّته عن التنظيم الذي بايعه «الجولاني» سابقًا، إضافة إلى أحقّيّة القادة والأفراد الانفصال عن الهيئة وتشكيل فصائل جديدة خاصة بهم، وذلك بعد إبراء الذمّة المستحقّة عليهم في حال وجودها، وقد استند البيان في ذلك على قضايا تعتبر من المسلّمات الفقهيّة، كحرمة دماء المسلمين أفرادًا وجماعات، مع التأكيد على تحريم تغلّب فصيلٍ على آخر بهدف السيطرة عليه وضمه إليه لمنع التفرّق، على الرغم من أن قضيّة التوحّد فريضة ربانيّة ـ بنص البيان ـ إلا أنّها مشروطة بتحقق جملة من الشروط كوجود دولة تحكم بالشريعة وبناء الثقة بين الفصائل والتنظيمات. ينظَر: بيان إن الله أبى عليّ قتل مؤمن، مؤسسة السحاب، يمكن الاطلاع عليه في موقع «العماد» عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3kFCF5W . وفي حال حذف الموقع أو الرابط، يمكن الاطلاع على ملخص وافٍ للبيان في موقع «عنب بلدي» ضمن تقرير: «تنظيم القاعدة» يعلّق على اشتباكات «تحرير الشام» و«حراس الدين» عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/2V7Vlme

لقد كان البيان محاولة لدعم حراس الدين في مساعيه لسحب وصف الشرعيّة «الجهاديّة» من هيئة تحرير الشام، وإلقاء اللائمة في نهاية المطاف عليها، بسبب تعنّتها في التعامل مع الفصائل الأخرى التي ما زالت على صلةٍ ما بالتنظيم الأم.

كما يؤكّد البيان ـ من ناحية أخرى ـ وجود بعض القيادات والعناصر داخل هيئة تحرير الشام ممّن يدين بالولاء لأفكار القاعدة ومنهجها ويلتزم باتباع توجيهات التنظيم، وذلك ينطوي على رسالة لقيادة الهيئة في أن التنظيم يملك تصورات ومعلومات كاملةٍ عن مجريات الأحداث والشخاص والتوازنات داخل الهيئة، إضافة إلى قدرته على دفع هؤلاء العناصر والقيادات للخروج عنها.

ب. تفكيك التحالفات

أصـدر فصيل «أنصار التوحيد» فـي ٣ أيار/ مايو ٢٠٢٠ خروجه مـن غرفة عمليات «وحرض المؤمنين» ليعرّف نفسه بأنه «جماعة مستقلة لا تربطه بيعة تنظيمية خارجية أو داخلية، سرية كانت أو علنية» كما أنه لا ينضوي تحت أي غرفة عمليات، وأنه ليس له حلف مع أي جماعة أو فصيل، مؤكدًا أن معاركه قائمة على الاستقلالية أو بالتنسيق مع بعض الفصائل، دون تحديدها[١].

بالعودة إلى هذه القضية فقد تبيّن أن الفصيل كان يرجو لو بقـيَ فـي غرفة «وحرّض المؤمنين»، إلا أنه كان يرى نفسه منبوذًا من قبل فصائلها الواقعة تحت تأثير تنظيم حراس الدين الفصيل الأقوى فيها، خاصة أن «الحراس» قد بدأ حملة تحريضٍ قويّة ضدّه، فتناول شرعيّوه موقفه وسلوكه المتسق مع هيئة تحرير الشام ـ بعد اتفاق موسكو ـ وصاروا يذكرونه في مجالسهم الدعوية مع الاتهام الصريح بمتابعة الراية «العلمانيّة العميّة»، فهو بوصفهم «مميّع يعمل مع هيئة تحرير الشام وتحت راية الجيش التركي العلماني»[٢] ومع انتشار هذا الاتهام بحق الفصيل واستبعاده من محادثات تشكيل غرفة «فاثبتوا» أعلن عن تعريفه المستقلّ لذاته.

لم تلتفت الهيئة للبيان بل استمرّت في تفكيك حراس الدين مستغلة حملة التحالف الدوليّ في اغتيال قياداته، مما أسهم في القبض على العديد من قيادات التنظيم وشرعييه كأبي يحيى الجزائري وأبي ذر المصري وخلّاد الجوفي، إضافة إلى إجبار التنظيم على الدخول في مرحلة الكمون والاختفاء الكاملة.

(١) ينظر: «أنصار التوحيد» يعلن انشقاقه عن غرفة عمليات جهادية في إدلب، عنب بلدي، عبر الرابط: https://bit.ly/3wlpg1j

(٢) كما نقل أبو الفتح الأنصاري للباحث في إحدى اللقاءات.

ج. إدارة الأزمات

إلى جانب الأدوار السابقة التي قام بها شرعيو التنظيم، فقد كان لهم دور أيضًا في إدارة الأزمات، سواء من خلال التفاوض مع الخصوم أو التحاكم وإياهم عند القضاء أو إرسال رسائل لهم أثناء انهيار المفاوضات والمحادثات البينية.

يمكن التمثيل لهذا من خلال مساعي أبي همّام الشامي ـ بوصفه شرعيًّا وقائدًا عامًّا ـ لعقد الصلح مع هيئة تحرير الشام إثر الخلافات المتكررة التي كانت تجري بين الفصيلين، مثل قضية مقتل الشرعي حسين علي جاويش المكنى بأبي عقبة الأنصاري أثناء مروره بأحد حواجز الهيئة في ريف حلب الجنوبي بتاريخ ٧ أيار/ مايو ٢٠١٨[١] وقد كانت هذه الحادثة الاحتكاك الأول بين الطرفين إثر الإعلان عن تشكيل حراس الدين، وقد ارتضى الفريقان تشكيل محكمة مستقلة، حكمت في النهاية بدفع الدية وتوصيف الحادث بأنه قتل خطأ[٢]

إضافة إلى مساعي سامي العريدي وأبي هريرة المصري وأبي القسام الأردني ـ بشكل أساسي ـ في حل مسألة القتل التي عُرفت بقضية «تل حدية»، ففي ٧ فبراير/ شباط ٢٠١٩ حصل توتر بين مجموعة من حراس الدين ومجموعة أخرى من الهيئة مما دفع عناصر الحراس لإطلاق النار على سيارة تابعة لهيئة تحرير الشام في منطقة تل حدية بريف حلب الجنوبي، الأمر الذي أدى لإصابة اثنين من تحرير الشام وقد سبق ذلك بأيام اشتباكات أخرى بين مجموعة تابعة لهيئة تحرير الشام

(١) ينظر الخبر بعنوان: مقتل شرعي في «حراس الدين»، و«تحرير الشام»: بالخطأ، على عنب بلدي، عبر الرابط: https://bit.ly/36ucw3w

(٢) بحسب ما نقله أبو الفتح الأنصاري للباحث.

من جهة، ومجموعة أخرى تابعة لتنظيم حراس الدين الجهادي من جهة أخرى في قرية المغارة بجبل الزاوية في القطاع الجنوبي من ريف إدلب، الأمر الذي تسبب بسقوط جرحى بين الطرفين[١].

وغالبًا ما تعود الأسباب المباشرة لهذه الاشتباكات تعود لخلافات اجتماعيّة أو محلّية وعائليّة في الأغلب، إلا أن استغلال قيادة الهيئة للحادثة عزز من فرض شروطها على التنظيم، وذلك من خلال إجباره على التحاكم لدى المحاكم الشرعية التابعة لحكومة الإنقاذ التي تتبع لها، إضافة إلى وقف التحريض الإعلامي حيث نشط مناصرو حراس الدين في الفضاء الإلكتروني ضد هيئة تحرير الشام، إلى جانب التوافق على حل المشاكل العالقة بينهما في الجوانب الأمنية والقضائية والحقوقيّة[٢].

إلى جانب هذه الأساليب المذكورة فقد كان شرعيو حراس الدين يفضلون ـ في بعض الأحيان ـ الدعوة لتفويض حل المسائل العالقة بين الأطراف المتنافرة إلى وساطة/ أحكام مرجعيات مستقلة، كأبي محمد المقدسي، وأبي قتادة الفلسطيني[٣]، ود. هاني السباعي[٤]

---

(١) ينظر: تنظيم حراس الدين وهيئة تحرير الشام يتفقان على فض النزاعات فيما بينهما ضمن مناطق تواجد الطرفين، المرصد السوري لحقوق الإنسان، عبر الرابط: https://bit.ly/2x7GjAZ

(٢) ينظر: اتفاق شامل بين «هيئة تحرير الشام» و«حراس الدين» بإدلب «نص البيان»، موقع الإسلاميون، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3r1729M

(٣) ينظر دعوة الشرعي أبو محمد السوداني لقيادة الهيئة بالتحاكم إلى أبي قتادة الفلسطيني، المقرب منهم، https://t.me/tapaiwr/2706

(٤) ينظر على قناته الرسمية على تلغرام، عبر الرابط: https://t.me/alnjomalzahira/1424

لقد وصل الحال بشرعيي التنظيم إلى استجداء التمهّل والتروي في تفكيك فصيلهم من قبل هيئة تحرير الشام في ختام المطاف، فقد كان سامي العريدي يعلن بين الفينة والأخرى عن رسائل إلى الثابتين[1]، تدور حول الحض على الصبر والتضحية ومعاني الفداء، وذلك إثر بدء هيئة تحرير الشام بتفكيك الفصيل من خلال اعتقال قياداته وكوادره وخلاياه، في تموز / يوليو ٢٠٢٠، إلا أن الرسالة الأخيرة ـ رقم٧ ـ جاءت في سياق تفكّك التنظيم واعتقال قياداته على الأرض واغتيال من بقي منهم من السماء.

لقد عكست الرسالة الجديدة حالة الضعف الذي يعاني منه تنظيم حراس الدين بسبب وطأة الحملة الأمنية لتحرير الشام واستهداف التحالف الدولي لقادته، مما جعل العريدي المتواري عن الأنظار يأخذ احتياطاته الأمنية وينشر الرسالة نصاً مكتوباً لا تسجيلاً مرئياً أو صوتياً.

كما ظهرت حالة الضعف في لغة المهادنة ومد يد المصالحة بطريقة غير مباشرة إلى تحرير الشام التي لم يسمها باسمها في رسالته، ومحاولته إدارة الخلاف التنظيمي معها، ضمن أسس ومحددات واضحة تقوم على حشد الطاقات لدى الفصائل والجماعات، وتوجيهها إلى قتال العدو المشترك بدلاً من إهدار الطاقات في المعارك الجانبية بين الفصائل والجماعات.

وبيّن العريدي في رسالته أنه ليس من أولوية تنظيم حراس الدين الدخول في معارك مع تنظيمات إسلامية أخرى إلا إذا تورطت بقتالهم مع ـ من أسماهم

---

(١) بلغت إلى ساعة الانتهاء من البحث ٧ رسائل.

ـ «الكفار»، وعندها «يكون الرد على قدر الحاجة»، في رسالة واضحة للهيئة وجنودها أنه ليس في حسبان تنظيم حراس الدين أي نية لقتالهم.

يأتي هذا التصرف بديلاً عن أساليب العريدي المعهودة، حيث إنه كان يدعو للمناظرات في حال لم يقبل منه الطرف الآخر أقواله وآراءه، وذلك كما فعل بعد رفض قيادة الهيئة للجلوس للقضاء الشرعي مع غرفة عمليات «فاثبتوا»، فقد دعاهم آنذاك لوقف القتال والجلوس لمناظرة شرعية أمام المسلمين بين الشرعيين من الطرفين لبيان الحق الذي يسفكون الدماء المعصومة من أجله[1]

***

(١) نقلت الدعوة قناة رد عدوان البغاة، عبر الرابط الآتي: https://t.me/tapaiwr/817

الخاتمة

* ظهر تنظيم الحراس في سورية بوصفه الحارس الحقيقي لمدرسة تنظيم القاعدة التقليدية، وقد كان لجملة من الأشخاص ـ من شرعيين وغيرهم ـ دور مهمٌّ في تأسيسه، نظرًا لقناعاتهم الراسخة في أن انفصال جبهة النصرة عن القاعدة كان عملًا خاطئًا وأن الاستمرار في الانفصال ليس إلا كارثة استراتيجيّة، ولذا كان لا بد من تأسيس حراس الدين لتلافي هذا الخطأ أو تداركه، إضافة إلى ذلك فإن أحد أهم الأسباب الضمنية التي فرضت ظهور هذا التنظيم ـ إلى جانب القناعات الأيديولوجية لدى القادة ـ هو ظهور طبقة جديدة في جبهة فتح الشام، تزاحم الوجوه الجهادية المعولَمة التقليدية في المسؤولية والاستقطاب الفكري واتخاذ القرار، فكان ذلك عاملًا مهمًّا وحاسمًا في الانفصال المتبادل بدءًا من فكّ الارتباط عن القاعدة ثم فكّ الارتباط من قبل الجهاديين عن الهيئة إبّان تشكيلها.

* تؤكّد الورقة في هذا الإطار، أنّ فاعلية الشرعيين في مختلف الملفّات الأمنية والتنظيمية جاءت من فاعليّة سببين: أولهما: قربهم من قيادة تنظيم القاعدة وامتلاكهم تاريخًا جهاديًّا طويلاً إلى جانب تماهيهم مع خطابها، مما جعلهم في مستوى المرجعية لدى عموم عناصر التنظيم، أما ثانيهما: فتموضعهم في مفاصل إدارة التنظيم، حيث إن دور الشرعيّ لا يستمدّ من وظيفته ورمزيّته الأيديولوجية

بشكل محض، وإنما لكونه ممسكًا بالبنية التراتبيّة داخل التنظيم، وبالتالي فهو يمتلك قرارات الإقرار والإقصاء والتأكيد والتنفيذ والتوجيه، مما يجعله مسموعَ الكلمة والتوجيه، مطاعًا في رأيه وأمره.

* هدفت هذه الدراسة إلى الكشف ـ قدر الإمكان ـ عن بنية تنظيم «حراس الدين» والدور الذي يضطلع به علماؤه أو «شرعيوه» في ظل تردّي الحالة التنظيمية والتفكّك الذي وصل إليه الفصيل شمال غرب سورية، إضافة إلى بيان مدى القناعات الأيديولوجية التي تقرّبه من التيار الجهادي العالمي، لاسيّما في ظل العلاقة الجدلية التي تربطهم بالخطاب الجهادي والتنظيمات الجهادية في المنطقة، وقد توصلت الدراسة إلى أن أسس القناعات الأيديولوجية لدى القادة ـ شرعيين وغيرهم ـ من جهة، وظهور طبقة جديدة في جبهة فتح الشام ـ هيئة تحرير الشام الآن ـ تزاحمهم في المسؤولية والاستقطاب الفكري واتخاذ القرار، كان عاملًا أساسيًّا في الانفصال عن الهيئة إبّان تشكيلها.

* اضطلع الشرعيون في حرّاس الدين بعدّة أدوار هامة أبرزها:

ـ إدارة المفاوضات مع مختلف الجهات، سواءً مع الفصائل القريبة منهم أثناء تأسيس الفصيل أو في التحريض ضد هيئة تحرير الشام للانفصال عنها أو في رفض أفكارها وتوجهاتها أو حتى في محاولة استمالتها تجاه نقطة ما أو موقف معيّن، وهذا ما تمثّل من خلال المواقف الرافضة للانفكاك عن القاعدة ثم الجهود المكثفة لتشكيل تنظيم جديد.

ـ إدارة التوجّه الفكريّ والإعلان عنه، فبالإضافة إلى دورهم في التأسيس فقد كانت بياناتهم وشهاداتهم المرئية والمسجّلة ومقالاتهم المكتوبة المعبّر

الواضح عن الوجه الفكري الذي يظهرُ توجّهات التنظيم، وجسرًا يربط عناصر التنظيم مع تنظيرات علماء التيار الجهاديّ كأبي محمد المقدسي وأبو قتادة الفلسطيني وعطيّة الله الليبي.

ـ استطاع الشرعيّون رسم الرؤى الرئيسة في صفوف العناصر المنتسبة إليهم، من خلال تشكيل قناعاتهم الأيديولوجية تحت راية التنظيم عبر تقرير جملة من المبادئ كالولاء والبراء والحاكمية ومعاني التوحيد وحرمة القتال تحت الراية العلمانية أو العميّة، ورفض الاتفاقات الدولية، والحرص على غرس ذلك ونشره على مختلف المستويات والظروف، سواء في الدورات التدريبية أو الشرعية أو الأحاديث الوعظيّة البينيّة في مختلف الأحوال.

* خلصت الدراسة إلى أن الحالة الأيديولوجية في تنظيم حراس الدين لا تختلف عن الرؤية العامة لتنظيم القاعدة مع ميلٍ واضحٍ للركون في بعد سوريّة المحلّي، كما أنّ استراتيجية التنظيم الميدانية ـ من خلال مقاطعة عدّة حيثيّات ـ ترسَم وفق ثلاثة مستويات قيادية متصلة، وهي: المستوى المحلي عبر القيادات المتموضعة داخل سورية حيث يؤدي الشرعيون فيها دورًا مهمًّا، أما القرارات الاستراتيجية على المستوى الإقليمي فيترأس ـ إلى جانب الدائرة المحلّية السوريّة ـ تخطيط هذا الجانب كلٌّ من سيف العدل محمد صلاح زيدان وأبو محمد المصري الذي اغتيل في طهران قبل عدة شهور، أما المستوى العالمي فتشترك فيه الدائرتان مع قائد التنظيم أيمن الظواهري.

* ترجّح الورقة دور سيف العدل الجوهري في تشكيل التنظيم من خلال منحه الموافقة الأكيدة على ذلك ـ باعتباره نائب الظواهري والأقرب على واقع

الأرض والمخوّل بإدارة ملف القاعدة في سورية ـ إلى جانب أنه أراد جعل تنظيم حراس الدين وكأنّه نسخة مطوّرة من تنظيم التوحيد والجهاد الذي أداره أبو مصعب الزرقاوي في العراق، ومن ثمّ كان اعتماده على دائرتين مقرّبتين منه، الأولى كانت معه في العراق وأفغانستان ممثّلة بأبي القسام الأردني، وأبي خلاد المهندس، وسمير حجازي أبو همام الشامي، وأبو خديجة الأردني، وتتشكّل الثانية من الالتقاء الفكري مثل «أبو جليبيب الأردني» ود. سامي العريدي الذين يلتقون معه بالقرب من أبي محمد المقدسي والولاء المطلق لأفكار القاعدة، إلا أن الظروف المختلفة بشكل مطلق بين التشكيلين سواء الفرق بين أجواء غزو العراق عام ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤ من ناحية وحاجة المقاومة العراقية الوليدة إلى أي جهد ضد المحتل ممّا يقويّ أوراقها ويجمع شتاتها من ناحية أخرى، مقارنة بتراجع مساحات الحرب وفرض اتفاقات دوليّة في سورية، وظهور تنظيم هيئة تحرير الشام الذي فرض سيطرته على الفضاء الأمني والعسكري في مناطق انتشار تنظيم حراس الدين، كل ذلك أسهم في فشل هذا المشروع وظهور عثرات أوصلت ـ تدريجًا ـ لاتخاذ التنظيم قرار عدم الظهور في الساحة والدخول في مرحلة الكمون الطويلة.

***

السلطة الشرعية
في التنظيمات الجهادية

نظرة مقارنة

ياسين جمول - مختار أوفى

مقدمة

بعيداً عن أسباب نشوء تنظيم القاعدة؛ إلا أنه بات واقعاً نعيش تجارب لفروعه في عدة بلدان عربية وإسلامية، وأكثر ما تنشط هذه الفروع في مناطق الصراع لما تمثله لها من بيئة جهادية تحقق فيه بعض أهدافها التي ترفعها وتقاتل من أجلها.

وحيث إن القاعدة وما أنتجته على مستوى العالم من تنظيمات وأفراد تنطلق من رؤية شرعية وترفع راية إسلامية في قتالها فمن الطبيعي أن تبقى للشرعيين فيها سلطة قوية؛ تدور من حولها الأعمال القتالية والتنفيذية الأخرى.

ولئن انطلقت القاعدة من أفغانستان فإنها انتشرت في بلدان العالم مرتبطة مع قيادتها ببيعة جهادية؛ لكن هذه البيعة تشتد بلوازمها وترتخي، حسب اختلاف ظروف الزمان والمكان، دون أن تختفي آثارها الفكرية وإن خفّت أو حتى أُلغيت الروابط التنظيمية مع قيادة التنظيم. وانطلاقاً من هذا فإن النظر الصحيح في التنظيمات الجهادية التي وُلدت من رَحِم القاعدة يلزم أن يكون نظراً موسعاً يرصدها في عدة أماكن وعبر سنوات من نشاطها بين السلم والحرب؛ لتصحّ المخرجات والاستنتاجات بخصوص تلك التنظيمات وسلطاتها الشرعية.

وتأتي هذه الورقة تحليلاً مقارناً للسلطة الشرعية في هيئة تحرير الشام «النصرة سابقاً»، والمرجعية الدينية في تنظيم حرّاس الدين، والسلطة الشرعية في جماعة

نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل غرباً بحيث يرصد جوانب التوافق والتباين بين التجارب الثلاث وفق العناصر الآتية:

* إشكاليات الولادة: بين الانشقاق والاندماج والتغلب.
* المرجعيات الشرعية: المحلية والعابرة للحدود.
* مع الحاضنة الشعبية: تقارب واستقطاب.
* مع الدولة الإسلامية: صراع الإخوة الأعداء.
* المجالس الشرعية: الحضور والتأثير.

من خلال استعراض ما يتصل بكل مسألة منها بين التشكيلات الثلاثة، واستخلاص أبرز الفوارق في المقارنة.

*** إشكاليات الولادة: بين الانشقاق والاندماج والتغلب:**

في شباط ١٩٩٨ «أعلن ابن لادن والظواهري تأسيس الجبهة الإسلامية العالمية للجهاد ضد اليهود والصليبيين؛ مما أدى إلى جمع الجهاد الإسلامي والجماعة الإسلامية المصرية والجماعات المسلحة الباكستانية والبنغلادشية تحت مظلة واحدة للمرة الأولى. والواقع أن توحيد مجموعات مختلفة كان جزءاً لا يتجزأ من رؤية الظواهري، وقد انتقل معه مفهوم عولمة الجهاد إلى واجهة أيديلوجية القاعدة الآخذة في التطور»[1].

والنظر في تجارب القاعدة وما نتج عنها من تشكيلات يدفعنا لاستحضار ما سبق؛ ففي التشكيلات محل المقارنة نجد الآتي:

---

(١) كتاب «القاعدة: التنظيم السري»، عبد الباري عطوان، دار الساقي، بيروت: ص٩٤ .

وُلدت جماعة نصرة الإسلام والمسلمين في شمال إفريقيا والساحل بعد اندماج عدة حركات مسلحة مشاركة في الصراع في مالي أعلنت عن ميلادها عبر شريط فيديو أنتجته مؤسستها الإعلامية الزّلاقة وأرسل في ٢ مارس ٢٠١٧ إلى وكالة نواكشوط للأنباء وبُث في الغد. وظهر عدة قادة جهاديين في الفيديو هم: إياد أغ غالي[١] (أمير أنصار الدين)، وجمال عكاشة [٢](أمير منطقة الصحراء ضمن القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي)، ومحمدون كوفا[٣] (أمير كتيبة ماسينا في أنصار الدين)، والحسن الأنصاري[٤] (مساعد مختار بالمختار[٥] أمير تنظيم المرابطون)، وأبو عبد الرحمن الصنهاجي[٦] (قاضي القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي). إذ أعلن المشاركون اندماجهم في منظمة واحدة، ومبايعتهم لأيمن الظواهري (أمير تنظيم القاعدة) ولأبي مصعب عبد الودود عبد المالك دروكدال[٧]

---

(١) Iyad Ag Ghaly - Wikipedia

(٢) Djamel Okacha — Wikipédia (wikipedia.org)

(٣) Amadou Koufa — Wikipédia (wikipedia.org)

(٤) Abou Hassan al - Ansari — Wikipédia (wikipedia.org)

(٥) مختار بلمختار المكنى (أبو العباس) ـ الذي تلقبه وسائل الإعلام الحكومية الجزائرية بالأعور بسبب عاهة لحقت بإحدى عينيه خلال قتال القوات السوفياتية في أفغانستان. قضي ١٦ سنة في الصحراء للقتال ولنسج علاقات ثقة مع السكان المحليين

(٦) https://2u.pw/dHxrhbd

(٧) عبد الملك دروكدال: ولد دروكدال في مدينة مفتاح بالقرب من الجزائر العاصمة عام ١٩٧٠م، تأثر دروكدال جدا بأبو مصعب الزرقاوي، وقد كان دروكدال العقل الذي دبر التحاق «جماعة الدعوة والقتال» السلفية بـ «القاعدة» والتي أصبح اسمها «القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، قتله الجيش الفرنسي خلال عملية نفذت في ٣ يونيو ٢٠٢٠ بمنطقة تساليت شمال مالي».

(أمير تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي) وهبة الله (أمير تنظيم طالبان). وتم اختيار إياد أغ غالي أميراً للتنظيم. واعتبر يحيى أبو همام (الاسم الحقيقي لجمال عكاشة) الرجل الثاني في هذا التشكيل الجديد، وهو أمير على منطقة تمبكتو. **ومن الجدير بالذكر أن هذه الحركات المسلحة كانت مقربة من بعضها البعض قبل اندماجها.**

وفي ١٦ مارس ٢٠١٧ نشر أبو مصعب عبد الودود عبد المالك دروكدال، أمير تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، رسالة صوتية[١] وافق فيها على الاندماج. وفي ١٩ مارس أصدرت القاعدة بياناً تبنّت فيه الجماعة الجديدة وقبلت ولاءها وبيعتها[٢].

شكل توضيحي لتأسيس جماعة نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل

وفي سورية أسّس جبهة النصرة أبو محمد الجولانيّ، الذي كان يدرس في مدينة دمشق، ثمَّ التحق بـتنظيم دولة العراق الإسلامية في العراق، وهناك تعرّف

---

(١) من فيديو نشرته الأندلس ميديا ، جهاز الدعاية لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، يهنئ نفسه على إنشاء جماعة نصرة الإسلام والمسلمين تهنئة ومباركة... اندماج مجاهدي الصحراء بتاريخ ١٤/ ٠٣/ ٢٠١٧.

(٢) بيان تأييد ومباركة لجماعة نصرة الإسلام والمسلمين بتاريخ ١٩/ ٠٣/ ٢٠١٧.

على أبي بكر البغداديّ أمير التنظيم، وفي الشهور الأولى للثورة السورية عرض الجولاني[1] على أبي بكر البغدادي أمير تنظيم دولة العراق الإسلامية خطة مفصلة تهدف تأسيسَ جماعة جهادية في سوريّة، وطلب منه الدعم والتمويل، وقد وافق البغدادي على المقترح فأذن له بالخروج إلى دمشق[2]، ودخل الجولانيّ إلى سوريّة، وعقد عدّة اجتماعات في ريف دمشق وإدلب وحلب ودير الزور، والتقى عدّة شخصيّات من تنظيم القاعدة، وقام بتشكيل جبهة النصرة التي أعلن عنها في كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢م من عدة مجموعات وسرايا جهادية[3]؛ دون إعلان الولاء والتبعية لتنظيم القاعدة أو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق. ثم أعلن البغدادي في التاسع من أبريل/ نيسان ٢٠١٣ أن تنظيم جبهة النصرة امتداد لـ «دولة العراق الإسلامية»، وأنها وصلت إلى هذا المستوى من الإنجاز والتنظيم واستقطاب الجهاديين المعولمين إلى صفوفها بفضل الدعم الذي قدّمه تنظيم الدولة الإسلامية للجولاني، ولم يتوقف الخطاب عند هذه النقطة وإنما أُعلِن فيه عن إيقاف العمل بمسمّى «جبهة النصرة» والاستعاضة عنه بمسمى «الدولة الإسلامية في العراق

---

(١) سوري ينتمي لمناطق جنوب سوريا ـ الجولان ـ نازح مع أسرته، تنقل في سورية بين دير الزور ودمشق، وسافر إلى العراق عقب الاحتلال الأمريكي وانضم إلى تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين من خلال انضمامه لسرايا أنصار الإسلام، وهناك استطاع تأسيس علاقات واسعة مع الوجوه الجهادية، إلى أن تقرب من قائد تنظيم الدولة أبي بكر البغدادي عام ٢٠٠٩ وما بعدها.

(٢) أصدر الإعلام الرديف لتنظيم الدولة بتاريخ ٣/ ١/ ٢٠٢١، إصدارًا مطوّلًا بعنوان: النهاية والبداية، يوضح فيه هذه التفاصيل، يمكن مشاهدة الإصدار عبر الرابط الآتي:

https://t.me/shaiushshs/2

(٣) جبهة النصرة لأهل الشام من التأسيس إلى الانقسام، حمزة المصطفى، مجلة سياسات عربية، العدد٥، تشرين الثاني ٢٠١٣: ص٦٩.

والشام»[1]، وقد كان هذا الأمر دافعًا مباشرًا لإعلان الجولاني ما سمّاه «تجديد» البيعة لأيمن الظواهري قائد تنظيم القاعدة رافضاً ما أعلنه البغدادي من الدمج[2]، وأيّد الظواهري النصرة واستقلالها في بيان؛ فكان الرد من البغدادي برفض قرار الظواهري وإبقاء ما أعلنه من التنظيم في العراق والشام، وتصاعدت الخلافات مع النصرة حتى الاقتتال والسيطرة على ما في يد النصرة من مناطق وموارد. وبعد ضغط داخل جبهة النصرة متزامن مع ضغط شعبيّ عارم لفكّ الارتباط بالقاعدة خرج أبو محمد الجولاني وأبو الفرج المصري وعبد الرحيم عطون الشامي في بيان مصور في تموز/ يوليو من العام ٢٠١٦، وأعلنوا إلغاء العمل باسم جبهة النصرة، وتشكيل جسم جديد باسم: فتح الشام، وأنّه لا يتبع لأيّ تنظيم في الخارج. وقامت فتح الشام بتفكيك وضرب بعض الكتائب الثوريّة، مثل جيش المجاهدين في حلب وصقور الشام في إدلب، ثمَّ أعلنت عن تشكيل هيئة تحرير الشام في كانون الثاني/ يناير من العام ٢٠١٧، وضمّت مع جبهة النصرة لواء الحقّ في إدلب، وحركة نور الدين الزنكي في ريف حلب، وبعض الفصائل الأخرى.

---

(١) لم يتوفر لي المادة الصوتية التي تحدث فيها البغدادي، إلا أن تفاصيلها ذكرت في عدد واسع من مواقع الوكالات الإعلامية، ينظَر على سبيل المثال: جبهة النصرة تبايع الظواهري وتتنصل من إعلان دولة العراق الإسلامية، موقع قناة الحرة، نُشِر بتاريخ: ١٠ أبريل/ نيسان ٢٠١٣، عبر الرابط الآتي: https://arbne.ws/3jnmkUP

(٢) ينظر: الكلمة الصوتية لأبي محمد الجولاني، عبر موقع جهاديولوجيا، بعنوان: حول ساحة الشام، https://bit.ly/3wPrGfc ، وينظر أيضا تفاصيل الكلمة عبر موقع وكالة رويترز للأنباء بعنوان: جبهة النصرة السورية تبايع الظواهري، بتاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠١٣، عبر الرابط الآتي:

https://reut.rs/3dan3EL

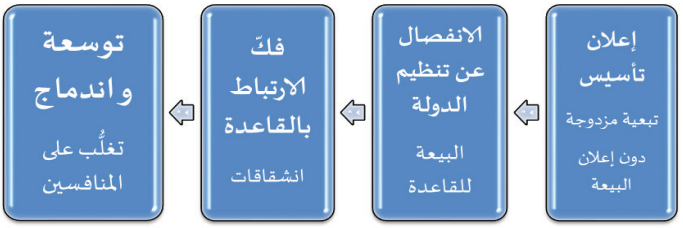

شكل توضيحي لتأسيس جبهة النصرة وتطورها

وتنظيم حُرّاس الدين في سورية أُعلن رسمياً بتاريخ ٢٧/ ٢/ ٢٠١٨ عن البيان الأول الموقع باسمه «تنظيم حُرّاس الدِّين» بقيادة أبي همام السوري (سمير حجازي). ويعَدُّ تنظيم حراس الدين ـ بأغلب مكوّناته ـ من التنظيمات التي انشقّت عن هيئة تحرير الشام، وإن كان أعلِن عن تشكيل التنظيم في ٢٧ فبراير/ شباط ٢٠١٨؛ إلا أن إرهاصات الانفصال عن هيئةِ تحرير الشام بدأت في المرحلة التي سبقت الانفصال عن القاعدة قبل ذلك بمدّةٍ طويلة ـ أي قبل الانفكاك وتأسيس جبهة فتح الشام ـ وانتهت بحلّ «أبي محمد الجولاني» جبهة النصرة وإنشاء جبهة فتح الشام ونقض بيعته للقاعدة واعتقاله لعدد من شرعيّي القاعدة ورموزها في سوريّة إثر رفضهم فكّ الارتباط مع القاعدة وبدء موجة من الانشقاقات الداخلية في التنظيم الرافضة لتحرّكات الجولانيّ والطبقة المحيطة به من القادة الأمنيين والعسكريين والشرعيين المرتبطين بعلاقات ومصالح محليّة ودوليّة. أدركت القيادات الرافضة لفك الارتباط مقدار التغيّر الطارئ في الساحة، واختلال موازين القوى داخل التيّار الموالي للقاعدة لصالح التوجّه المهادِن الساعي لتكريس نفسه في سلطة مقبولة دوليًّا ودائمة مستقبلاً، فابتدأ الشرعيون والأمنيّون والعسكريون

منهم على الفور الإعداد للتشكيل المناهض. وقد سارعت بعض التشكيلات إضافة إلى المكوّنات المنفصلة عن «هيئة تحرير الشام» أو الرافضة لفكّ ارتباطها بالقاعدة إلى إعلان انضمامها إلى التنظيم الجديد، وقد كان أبرز المجموعات التي بايعت «حراس الدين» هي: «جيش الملاحم»، و«جيش البادية»، و«جند الشريعة»، و«جيش الساحل»، وأنصار التوحيد التي تعدُّ من بقايا «جند الأقصى»، وعدد من السرايا الصغيرة الميّالة لرؤى القاعدة الفكرية، مثل: «سرايا كابول»، و«سرايا الساحل»، و«سرية غرباء»[1].

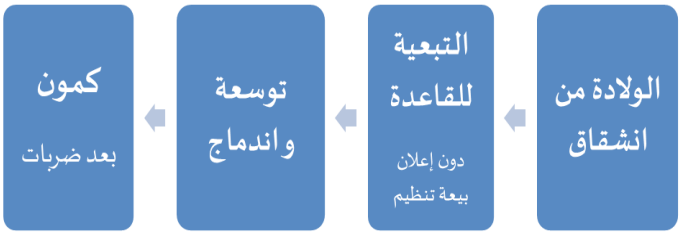

شكل توضيحي لتأسيس تنظيم حرّاس الدين وتطوره

فمن الواضح عند النظر في تأسيس التشكيلات الجهادية محل المقارنة:

ـ بروز قضية الاندماج بين الأفراد والجماعات في التجارب الجهادية محل المقارنة.

ـ حضور قضية الولاء والمبايعة بشدة في الإعلان ومحوريتها في تأكيد تبعية ومرجعية هذه التشكيلات لقيادة تنظيم القاعدة.

---

(١) ينظر: حراس الدين، وجه جديد للقاعدة، في موقع على بصيرة، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/39Od9Er، وينظر حساب التنظيم على تويتر، عبر الرابط: https://bit.ly/2xRjEc8، وينظر: حراس الدين وتكيّفات القاعدة في سورية، حسن أبو هنية، موقع عربي ٢١، عبر الرابط: https://bit.ly/2EOPqZv

ـ تفاوت أثر القاعدة الأم في الفروع الأبناء بين الولاية التامة والولاية الناقصة؛ ففي حين سارت علاقة جماعة نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل مع قيادة القاعدة بشكل منتظم، فكان إعلان بيعة وجاء جواب عليها بالقَبول والمُباركة. فقد تذبذبت جبهة النصرة في ولائها وبيعتها من التبعية لتنظيم دولة العراق وقيادة القاعدة، إلى الانفصال عن تنظيم الدولة وتأكيد الارتباط والبيعة للقاعدة، ثم إلى فكّ الارتباط بالقاعدة، ولم تكتفِ بالتغلب على الفصائل غير الجهادية بل بغت حتى على رفاقها في الجهاد والولاء للقاعدة؛ دون أن تستطيع قيادة القاعدة منع ذلك أو حتى حماية تنظيم حرّاس الدين الذي جمع صفوة الموالين لها الرافضين فك ارتباط النصرة بالقاعدة. بما يؤكد الرابط الاعتباري للتشكيلات الجهادية بقيادة القاعدة أكثر من كونه رباطاً تنظيمياً مُلزماً، في تكرارٍ لعجزها عن لجم انفراد تنظيم الدولة «داعش» بما أعلنه من دولة الخلافة والبيعة للبغدادي ومهاجمة الظواهري وقيادة القاعدة.

ـ استقرار التشكيلات الجهادية التابعة للقاعدة في دول الساحل وشمال إفريقيا أكثر، مقابل التنازع الذي حصل بين التشكيلات التابعة للقاعدة في العراق وسورية.

ـ حضور قضية البيعة للقاعدة في الخلافات والمنازعات بين التشكيلات الجهادية يؤكد أهمية المرجعيات الشرعية في هذه التشكيلات؛ لأن مدار البيعة كان على الشخصيات الشرعية القيادية المرتبطة سابقاً بالقاعدة عبر بيعة مباشرة أو ممارسة العمل الجهادي في أفغانستان.

ـ البراغماتية العالية التي أظهرتها جبهة النصرة «هيئة تحرير الشام لاحقاً»

عبر عدة تحولات بما يتوافق مع الوضع الميداني وتغليب مصلحة التشكيل على مصلحة التنظيم العام.

ـ الميل إلى الشدة والتغلُّب ضد المخالفين؛ حتى وإن كان من رفاق الجهاد وأصحاب التجربة.

ـ استقرار الصلة بقيادة تنظيم القاعدة في تشكيلات الساحل الأفريقي أكثر من تشكيلات العراق والشام؛ ولعل ذلك بسبب اضطراب ساحات العمل الجهادي في العراق والشام وكثرة الفاعلين المحليين والخارجيين وأصحاب المصالح أكثر مما هو في الساحل الإفريقي.

*** المرجعيات الشرعية: المحلية والعابرة للحدود:**

يمكننا أن نعرّف المرجعية الدينية أو الشرعية على أنها: الجهة، مُمثّلةً في الغالب في فردٍ أو في مؤسسة، التي يرجع إليها كل مُهتمّ بالشأن الديني، طلباً للتوجيه أو استفتاء لما يعرض له من مسائل وقضايا يحتاج فيها إلى معرفة الرأي الشرعي بخصوصها؛ والأصل أن هذه المرجعية تنبع من اختيار الفرد الذي يريد الاستناد إليها، وليست للمرجعية الدينية الإسلامية سلطة قانونية على من يعود إليها؛ وإنما هي سلطة معنوية روحية[1].

وتلعب المرجعيات الشرعية دوراً كبيراً في رسم الخطاب والتعبئة والفتوى

---

(١) د. أحمد جاب الله، المرجعية الدينية الإسلامية: المحددات، عوامل التشكّل والإشكاليات، مركز دراسات التشريع الإسلامي والأخلاق، على الرابط:

https://2u.pw/y6JKZYN

والقيادة السياسية، بل والعسكرية في بعض الأحيان للجماعات الجهادية؛ حيث إن الأساس الذي تقوم عليه هو «السعي لتطبيق وتحكيم الشريعة» كما نجد فيها تطبيقاً واضحاً لنموذج «القائد الشيخ»، إضافة لحرصها على ترسيخ مفهوم «طاعة الأمير» الذي يجعل للمرجعية الشرعية أو «الأمراء الشرعيين» كلمة وازنة في تلك التنظيمات.

وانطلاقاً من كون التشكيلات الجهادية مرتبطة برباط ما ـ يقوى أو يضعف ـ بقيادة تنظيم القاعدة وتجاوزها البُعد القُطري في عناصرها وفكرها، ومن خصوصية ما يتبناه التنظيم وفروعه من الآراء والاجتهادات؛ فهي لا تخرج عن مرجعيات واحدة أو متقاربة تجعلها على الخط «الجهادي» ذاته من محليين وعابرين للحدود كذلك.

فجماعة نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل نستحضر أنها تتألف من فئتين واسعتين من الفصائل، مما يمكن أن نسميه بشبكة الجهاد الإقليمية وشبكة الجهاد المحلية، وفيه شخصيات رمزية من قادته كالمختار بالمختار وأبي الوليد عدنان الصحراوي[1]. ولفهم الخلفية الدينية والعقدية والفكرية لهذه الجماعة وغيرها من الجماعات السلفية المقاتلة ومعرفة الإشكاليات التي تطرحها، وتبرر بها حمل السلاح والقتال؛ يمكن الرجوع إلى مؤلفات أبي محمد المقدسي وأبي مصعب السوري وأبي قتادة الفلسطيني وأبي يحيى الليبي، كما أن هناك مراجع أساسية مثل كتاب «العمدة في إعداد العدة» لسيد إمام، و«كتاب الفريضة الغائبة» لمحمد عبد السالم فرج، وكتاب «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» لأبي مصعب السوري، وكتاب «إدارة التوحش» لأبي بكر ناجي.

---

(١) Adnane Abou Walid al - Sahraoui — Wikipédia (wikipedia.org)

ومن الصحراء والساحل توجد مؤلفات تبرر القتال وتحرّض عليه، مثل «رسالة نصح وبيان لحركة النهضة في تونس القيروان» لأحمد أبي عبد الإله الجيجلي الجزائري، ورسالة أبي يحيى الشنقيطي «يا أهل تونس القيروان: كونوا أنصار شريعة الرحمن»، و«رسالة الحرب على مالي» لأبي عبيدة العنابي.

ومن مرجعيات الجماعة أبو المنذر الشنقيطي، الذي كتب رسائل وكتباً من أهمها: «نحن أنصار الشريعة»، وكتاب «تفجير الثورة»، وكتاب «إعلام الأمة بانقراض أهل الذمة»، وكتاب «الوسطية في القرآن»، وكتاب «معركة الشريعة في مالي»، وكتاب «الانتصار للسجناء الأبرار في فتنة الحوار» في إشارة إلى الحوار بين السلطات الموريتانية والسجناء السلفيين، وكذلك أبو طلحة الشنقيطي صاحب كتاب: «التبيان في وجوب قتال جيش موريتان». وتشكّل الجناح الشرعي في الجماعة من القيادات الدينية التي كانت موجودة في الصحراء، من أمثال: أبو عبد الرحمن الصنهاجي، وعبد الملك ولد سيدي المكنى «قتيبة» مفتي التنظيم، بل هو المفتي الخاص لقائد التنظيم «غالي».

ومن أبرز المرجعيات المحلية لجماعة نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل: أحمد أبو عبد الإله الجيجلي الجزائري، وأبو يحيى الشنقيطي، وأبو عبيدة العنابي، وأبو المنذر الشنقيطي، وأبو طلحة الشنقيطي، وعبد الملك ولد سيدي المكنى «قتيبة»، وأبو عبد الرحمن الصنهاجي. أما في مرجعياتها العابرة فأبرزهم: أبو محمد المقدسي، وأبو مصعب السوري، وأبو قتادة الفلسطيني، وسيد إمام (العمدة في إعداد العدة).

وجبهة النصرة في سورية «هيئة تحرير الشام لاحقاً» كانت الطبقة القيادية

الأولى فيها حاملة فكر تنظيم القاعدة، ومتأثرة بمرجعياته المعروفة منذ تشكلها، كما أن إفراج نظام الأسد عن العديد من مؤيدي تنظيم القاعدة ومناصري فكر الغلو والعنف من سجونه، وانضمامهم لجبهة النصرة، وتوليهم أبرز المناصب القيادية والشرعية؛ جعل الصبغة العامة للتنظيم هي فكر الغلو والتشدد والعنف المفرط[1]، كما أن الباحثَين[2] عبر مقابلات مع شرعيين سابقين في جبهة النصرة حصلا على معلومات حول أبرز المرجعيات العابرة التي أثّرت في جبهة النصرة بتحولاتها المختلفة، ومن أبرز أولئك: سيد إمام الشريف وكتاباه (العمدة في إعداد العدة) و(الجامع في العلم الشريف)، ويُعدّان مرجعاً جهادياً في مخيمات تدريب قاعدة الجهاد في أفغانستان، وجرى تدريسهما في معسكرات جبهة النصرة. والدكتور أيمن الظواهري الذي يعدّ نفسه القائد غير المباشر لجبهة النصرة، عبر توجيهه الرسائل المتكررة لها، حتى بعد إعلانها فكّ الارتباط بتنظيم القاعدة. وأبو قتادة الفلسطيني الذي يُعد من أهم منظّري الغلوّ السياسي في العالم، وله عدة رسائل ومرئيات وله نشاط على مواقع التواصل الاجتماعي، وقد كان له تأثير كبير على جبهة النصرة بتقلباتها المختلفة، كما أشارت مصادر خاصة للباحثَين أن المجلس الشرعي للنصرة كان على تواصل دائم به، وبدوره تطرّق أبو قتادة للشأن السوري في كثير من منشوراته ورسائله.

---

(١) للمزيد حول ذلك ينظر: صالح الحموي، الحركات المتشددة والسلفية في سورية بعد ٢٠١١ وتحولات هيئة تحرير الشام، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، ترجمة من التركية، جاسم فارس، على الرابط: https://bit.ly/3o656zZ المصدر الأصلي

(2) Saleh Al - Hamawi, “Suriye’de 2011 Sonrasında Militan - Selefi Hareketler ve HTŞ’nin Dönüşümü”, ORSAM, 4/6/2021, https://bit.ly/3wgNCyN.

وأبو محمد المقدسي بكتابَيه: (ملة إبراهيم) و(الكواشف الجلية في تكفير الدولة السعودية)، وقد كان له تأثير كبير على جبهة النصرة بتقلباتها المختلفة، وقد تطرق المقدسي على غرار الفلسطيني للشأن السوري في كثير من منشوراته ورسائله. وأبو عبد الله المهاجر وكتابه (فقه الدماء).

ومع إعلان جبهة النصرة فكّ ارتباطها بتنظيم القاعدة في العام ٢٠١٦ تعزز دور المرجعيات الشرعية المحلية، التي أخذت في بعض الأحيان بفتح سجالات مع منظّري وقيادات تنظيم القاعدة وكتابة الرسائل والردود عليها، ونقد منهجها في بعض الأحيان، وبرزت أسماء عديدة مثل: عبد الرحيم عطون رئيس المجلس الشرعي لتحرير الشام، ومظهر الويس القاضي في التنظيم وعضو مجلس الإفتاء، وعبد الرزاق المهدي الذي استقال من هيئة تحرير الشام. كما برز دور لبعض المرجعيات الأجنبية التي دخلت سوريا مثل: أبو اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري أيضاً، وعبد الله المحيسني سعودي الجنسية، وغيرهم، وقد أعلن بعضهم استقالته من تحرير الشام لأسباب مختلفة، في حين بقي آخرون ضمن صفوف التنظيم. وفي هذه المرحلة أسست هيئة تحرير الشام «جبهة النصرة سابقاً» أهم مؤسستَين شرعيتَين مرجعيتَين لها بقيادات محلية، هما: المجلس الشرعي لتحرير الشام «اللجنة الشرعية» برئاسة عبد الرحيم عطون وعضوية الويس وحمدان والجبوري والمصري. وكان لهذا المجلس دور كبير في رسم سياسات التنظيم الداخلية والخارجية. وجاء الإعلان عن تأسيس المجلس الأعلى للإفتاء في مؤتمر عام عقدته الهيئة في نيسان٢٠١٩ تعبيراً عن «ضرورة تشكيل مرجعية شرعية للمناطق المحررة»، وضمّ شرعيين سوريين، منهم: أنس عيروط وبسام صهيوني وإبراهيم شاشو مع عطون والويس وحمدان.

ومن **أبرز المرجعيات الشرعية في جبهة النصرة «هيئة تحرير الشام» نذكر** عبد الرحيم عطون، ومظهر الويس، وعبد الرزاق مهدي، ومصطفى حمدان «أبو الحارث الزبداني»، وأنس عيروط، وبسام صهيوني. أما في مرجعياتها العابرة فالأبرز: سيد إمام الشريف (العمدة في إعداد العدة والجامع)، وأيمن الظواهري، وأبو قتادة الفلسطيني، وأبو محمد المقدسي، وأبو عبد الله المهاجر المصري (فقه الدماء)، وأبو اليقظان المصري، ويحيى بن طاهر الفرغلي المصري، وعبد الله المحيسني السعودي، وميسر الجبوري «أبو ماريا القحطاني» العراقي.

وفي تنظيم حرّاس الدين نستحضر ولادته عبر منشقّين عن النصرة بعد فكّ الارتباط بالقاعدة والخروج عن خطها الجهادي كما رأوا، وأن التنظيم جمع في صفوفه بين تشكيلات محلية وعالمية منفصلة عن هيئة تحرير الشام يجمعها ارتباطها بالقاعدة أو ميلها لرؤى القاعدة الفكرية.

والمسؤول الشرعي العام في حرّاس الدين هو الدكتور سامي العريدي الأردني، الذي انضم إلى صفوف جبهة النصرة من بداياتها، وعُرف بكنية «أبو محمود الشامي»، وقد تولى منصب الشرعي العام في الجبهة عام ٢٠١٥، وخوّلته قيادتها بالحديث عن عقيدة ومنهج جبهة النصرة، وانشقّ عن تنظيمه بعد الإعلان عن جبهة فتح الشام وبقي محتفظًا بولائه لتنظيم القاعدة إلى أن أسّس مع رفاقه تنظيم حراس الدين حيث يشغل فيه ـ إلى الآن ـ منصب الشرعي العام[1].

---

(١) نقلًا عن عدة مصادر ميدانية. يمكن الاستئناس بالمراجع الآتية: سامي العريدي.. من مفتي جبهة النصرة إلى المرجع الشرعي لتنظيم «حراس الدين» على موقع ٢٤ الأخباري، على الرابط: https://24.ae/article/428085/ ، وينظَر: ماذا تعرف عن قيادات وشرعيي جبهة النصرة الذي ألقي القبض عليهم، شبكة شام، عبر الرابط: https://bit.ly/34ITOZZ .

وخالد العاروري «أبو القسّام الأردني» من المقرّبين للزرقاوي مع صلة مصاهرة بينهما، وأمضى مدة مع المقدسي في السجن وتأثر به، وله صلات بكبار قادة القاعدة، وانشق عن النصرة وبقي على ولائه للقاعدة، وهو واحد من ١٢ عضواً في مجلس الشورى العام لتنظيم القاعدة، واشتد خلافه مع القحطاني القيادي في النصرة واغتاله التحالف الدولي في حزيران ٢٠٢٠.

وبلال الصنعاني الذي كان مع القاعدة في العراق، واستمر مع الجولاني حتى إعلانه فكّ الارتباط بالقاعدة فانشق وشارك بتأسيس حراس الدين مع جيش البادية الذي كان يقوده، كان معروفًا بلقب «الشيخ بلال» لتلقّيه العلم الشرعي عن مشايخ من القاعدة في العراق وسورية، كما أنه كان عضوًا في مجلس شورى التنظيم إلى جانب أبي القسام الأردني، وقد حاولت عدة أطراف «محلية» و«خارجية» اغتياله عدة مرات، ونجح التحالف في ذلك بتاريخ ١٤ حزيران/ يونيو ٢٠٢٠، حيث اغتيل مع أبي القسام الأردني.

وإياد الطوباسي «أبو جليبيب الأردني» وهو شرعي إلى جانب كونه من المسؤولين عن الجهاز الأمني للتنظيم، كان مع قادة النصرة وبعد الإعلان عن تأسيس جبهة فتح الشام رفض أبو جليبيب الخطوة وأعلن عن ولائه لتنظيم القاعدة، وكان ممن اعتقلته هيئة تحرير الشام في ٢٠١٧ مع شخصيات أخرى كانت تسعى لتأسيس فرع جديد للقاعدة في سورية[١]، وقد اغتيل بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٨[٢].

---

(١) ينظر: من هو «الجهادي» إياد الطوباسي الذي قتل بظروف غامضة في درعا؟، بي بي سي عربي: على الرابط: https://www.bbc.com/arabic/middleeast-46786800، ومن قتل «أبو جليبيب الأردني» لدى انتقاله من إدلب الى حوران؟ جريدة المدن، عبر الرابط: https://bit.ly/3hCWppn

(٢) للمزيد من المعلومات عن الطوباسي واغتياله، ينظَر: مقتل إياد الطوباسي أبرز قياديي «القاعدة»

وأبو خديجة الأردني؛ وكان مقرباً من المقدسي وأمضى معه عدة سنوات في السجن تلقى خلالها دروساً شرعية في العقيدة والأصول منه بشكل مباشر، ومع انقضاء ١٠ سنوات خرج منه وانضم إلى جبهة النصرة في سورية، حيث عمل مسؤولًا شرعيًّا في قاطع الغوطة الشرقية ثم قاضيًا أمنيًّا، إلا أنه عزل بعد ذلك من منصبه بتوصية من لجنة المتابعة في جبهة النصرة[١]. كان ـ طوال المدة التي أمضاها في سورية ـ من المقربين إلى أبي جليبيب الأردني، وقد أعلن بعد تشكيل جبهة فتح الشام رفضَه للخطوة وتمسّكه ببيعة القاعدة، عمل مع القادة الآخرين على تأسيس تنظيم حراس الدين وكان رئيس مجلس الشورى فيه، وقد قُتِل في قصف لطائرة من دون طيار استهدفت سيارته في محافظة إدلب في ٢١/ ١٢/ ٢٠١٩[٢].

وأبو عبد الرحمن المكّي الذي خلف أبا خديجة في مجلس الشورى إلا أنه معتقل لدى هيئة تحرير الشام.

وأبو أسامة الشوكاني المسؤول الدعوي العام في حرّاس الدين، وهو في منصبه منذ تأسيس التنظيم؛ إلا أنه لا أخبار أو معلومات عنه منذ حزيران ٢٠٢٠، وهو مسؤول عن إجراء الفعاليّات الدعويّة مع الناس ـ خيَم دعوية، ومسابقات، وجولات، إلخ ـ ومسؤول عن جهاز الحسبة في التنظيم.

في سورية، عنب بلدي، https://bit.ly/3AEsTIt

(١) نقلًا عن أبي الفتح الأنصاري.

(٢) ينظر: التحالف الدولي يقتل قيادياً لـ«حرّاس الدين» شمال إدلب، تلفزيون سوريا، عبر الرابط: https://bit.ly/2UsCG3، وينظر: مقتل أبو خديجة الأردني زعيم «حراس الدين»، الشرق الأوسط، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3jO4Pgk

وأبو ذر المصري وأبو عبد الكريم المصري؛ وكلاهما شرعيان مع كونهما من المسؤولين في الجهاز الأمني للتنظيم، لكنهما مختفيان[١].

وأبو يحيى الجزائري، وهو من القيادات العسكرية مع كونه شرعياً، اعتقلته هيئة تحرير الشام منذ حزيران ٢٠٢٠[٢].

وأبو محمد السوداني، شرعي مسؤول عن الدعوة في المعسكرات والدورات الداخلية في التنظيم، وقد استهدفه طيران بتاريخ ١٥ أكتوبر/ تشرين الأول، وتوفي متأثراً بجراحه في ٢٧ من الشهر ذاته، وكان للسوداني مساعٍ تفاوضية في محاولة تخفيف الحملة القائمة ضد الحراس من قبل الهيئة، حيث خاطب الجولاني مرتين قبل اغتياله، عرض في واحدة منهما تكليف أبي قتادة الفلسطيني بالوساطة والتحكيم بين الطرفين[٣]. ومن المحليين أبو عمر منهج: من قرية جنوب إدلب، واعتقلته هيئة تحرير الشام ثم أطلقت سراحه مقابل ألا يعود لتنظيم حرّاس الدين.

وأبرز المواقف التي صدرت من شخصيات شرعية من حراس الدين تتشابه مع ميول المقدسي ومفاهيمه، وهذا يقودنا ـ بشكل ما ـ إلى النظر للمقدسي باعتباره مرجعية معتبرة عند حراس الدين وإن لم يعلن عن ذلك؛ إذ إن المقدسي منظّر جهادي بارز، وقد كان له دور أساسيٌّ في تأمين الغطاء الشرعي والأيديولوجي

---

(١) ينظر: «تحرير الشام» تعتقل قيادياً في «حراس الدين» أُشيع أنه قُتل بغارة للتحالف، العربي الجديد، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3jVzbgU

(٢) وصفه الشرعي العام للهيئة «عبد الرحيم عطون» بأنه المكتبة الشاملة، والشيخ العالم الجليل.

(٣) ينظر: أبو محمد السوداني.. خاطب الجولاني مرتين قبل أن تقتله طائرات التحالف، أورينت نيوز، على الرابط الاتي: https://bit.ly/2TQIaFz

لتنظيم حراس الدين في الوقت الذي نشطت فيه مسألة الانفكاك عن القاعدة والدعوة لتأسيس تشكيل بديل، حيث نشط المقدسي بشكل مكثف على قناته في تلغرام وموقعه الإلكتروني معلّقًا على الأحداث وداعمًا للتنظيم من خلال كتابة المنشورات وإصدار الفتاوى والإجابة على الأسئلة التي ترده من عناصر التنظيم بخصوص أحكام المشاركة في المعارك، وإخلاء نقاط الرباط من عدمه، وحكم قيادة الهيئة وغيرها[1]، دون أن يكون هناك اعتراض من قيادات التنظيم لاحقًا ضد آرائه وفتاويه ومواقفه، إضافة إلى وجود العريدي في اللجنة العلمية الشرعية في منبر التوحيد والجهاد الذي يشرف عليه المقدسي؛ مما يؤكد أن المقدسي يحظى بالثقة داخل تنظيم حراس الدين، ويضطلع بدور حيوي لم يضطلع به غيره من مشايخ الساحة الجهادية المستقلين خارج سورية.

ومن أبرز المرجعيات الشرعية المحلية لتنظيم حرّاس الدين: أبو عمر منهج، والشيخ بلال الصنعاني «بلال مهند الجعدان». أما في مرجعياتها العابرة، فمنهم: د. سامي العريدي الأردني، وخالد العاروري أبو القسّام الأردني، وأبو خديجة الأردني، وأبو عبد الرحمن المكّيّ، وإياد الطوباسي، وأبو جُليبيب الأردني، وأبو أسامة الشوكاني، وأبو ذرّ المصري، وأبو عبد الكريم المصري، وأبو يحيى الجزائري، وأبو محمد السوداني، وأبو محمد المقدسي.

---

(١) ينظر على سبيل المثال: كبير شرعيي «تحرير الشام» يرد على المقدسي والأخير يعلق، على موقع: عربي ٢١، https://bit.ly/3zOVlXe، وينظر: ملاحظات على تعقبات فضيلة الشيخ أبي عبد الله الشامي، أبو محمد المقدسي، على موقع منبر التوحيد والجهاد، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/38xAprX

ومنه نجد:

ـ حضور المرجعيات العابرة للحدود في كل التشكيلات الجهادية ذات الصلة بالقاعدة، وأثر الشخصيات الرمزية في الجهاد العالمي في تلك التشكيلات ومواقفها الفكرية والقتالية وصياغة خطابها وبناء سردياتها.

ـ تفاوت التشكيلات الجهادية في اعتماد المرجعيات العابرة والمحلية؛ فمن توازن حتى غلبة للمرجعيات المحلية على المرجعيات العابرة عند جماعة نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل، إلى غلبة المرجعيات العابرة عند النصرة «هيئة تحرير الشام» قبل خلع لَبوس القاعدة، إلى طغيان شبه تام للمرجعيات العابرة على المحلية عند تنظيم حرّاس الدين.

ـ عدم التوافق في صفوف قيادة تنظيم القاعدة ذاته بخصوص تغليب الطابع القُطري والمرجعيات المحلية، كما ذُكر عن نائب الظواهري أبي الخير المصري؛ فهو وإن كان المستخلَف الثاني في تنظيم القاعدة إلا أن أفكاره تميل للعمل القُطري بعيدًا عن توجّهات الجماعات العامة، وهذا ما تفيده شهادة عبد الرحيم عطّون الشرعي العام لهيئة تحرير الشام، إذ يذكر أن المصري حثّ جبهة النصرة على فتح مكتب للتواصل مع تركيا، وحاول إقناع الفرع اليمني للقاعدة بترك العمل الخارجي، وأنه كان مرحّباً شخصيًّا بفكرة فكّ الارتباط بين القاعدة والنصرة قبل أن يرفضها القادة الآخرون[1].

ـ من حيث الطابع العالمي للجهاد الذي ترفع رايتَه التشكيلاتُ الجهادية تبدو

---

(١) ينظر رد عبد الرحيم عطون على كلمة الظواهري، يمكن تحميل الوثيقة من الرابط الآتي:
https://bit.ly/3i1EpFD

أهمية المرجعيات العابرة بوصفها صلة بالعالمية وارتفاعاً بالمستوى لدى تلك التشكيلات؛ حتى يحرص المحلي أن ينتسب لمكان بعيد يبدو معه أنه من غير أهل بلده، على نحو ما فعل بلال مهند الجعدان «بلال الصنعاني» بانتسابه إلى صنعاء الموطن البعيد لقبيلته «العكيدات».

ـ لعل من معايير الثبات في الميدان والانخراط في المجتمع المحلي نسبة المرجعيات المحلية في التشكيل؛ فلا يبعد أن تكون غلبة القادة والمرجعيات الأجنبية في حرّاس الدين مما سهّل ضرب التشكيل واصطياد قياداته الشرعية والميدانية.

ـ الحرص على تقديم المرجعيات المحلية يأتي ضمن خطوات التشكيلات الجهادية للاقتراب من الحاضنة، ضمن خطوات أخرى تتضح أكثر في المسألة التالية:

*** مع الحاضنة الشعبية: تقارب واستقطاب:**

في شمال مالي ومنطقة الساحل بدأ وجود الجماعات الجهادية خلال أيام «الجماعة الإسلامية المسلحة[1]» و«الجماعة السلفية للدعوة والجهاد[2]»، قبل تحولها إلى تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي[3]. حيث بنت الجماعات المسلحة علاقات وطيدة مع المجتمعات المحلية في منطقة الساحل على مدى فترة طويلة من عشر سنوات أو أكثر. حتى إن «غالي» زعيم الجماعة أعلن

(1) Armed Islamic Group of Algeria - Wikipedia

(2) Salafist Group for Preaching and Combat - Wikipedia

(3) ()https://2u.pw/y6JKZYN

ضمن إستراتيجية جماعته: «الحفاظ على العلاقات المتميزة مع المجتمعات المحلية الحاضنة الاجتماعية للتنظيم». وفي تشكيل قيادة جماعة نصرة الإسلام والمسلمين من عدة أطياف قُرئت محاولة لنقل رسالة اندماج وتعددية ومساواة داخل المجتمعات الحاضنة، كما توضح أهمية التنوع العِرقي عند القيادة التنفيذية للجماعة الجديدة؛ مما يعني توسيع قاعدة الحواضن الشعبية للتنظيم. ويُعدّ مختار بالمختار رائد الجهود لتوطيد العلاقات مع الحاضنة القبلية بعد أن أمضى ١٦ عاماً في الصحراء في شمال مالي وجنوب ليبيا، كما عزّز أيضاً هذه العلاقات زواج عدد لا يُستهان به من المقاتلين من بنات القبائل؛ فضلاً عن تمويل المشاريع التنموية المدرّة للدخل وتبنّي الجماعات المسلحة للمظالم التاريخية الكثيرة التي يعاني منها ساكنة الصحراء والرحل عموماً في الساحل منذ الاستقلال، وهي مطالب المجموعات المحلية لمزيد من إشراكها ودمجها في الدورة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلدان.

وفي هذا السياق نقرأ بيان الاستنكار الذي أصدرته الجماعة تنفي فيه أي صلة أو مسؤولية لها عن المذبحة التي وقعت في بوركينافاسو وراح ضحيتها ما يربو على ١٣٠ شخصاً، وفي نص البيان: «وتستنكر هذه الأعمال الشنيعة التي لم تمت بصلة إلى منهج المسلمين في الجهاد والقتال في سبيل الله... نسأل الله تعالى أن يرحم قتلى المسلمين ويعافي جرحاهم ويرزق أهلهم الصبر والسلوان»؛ وهذه لهجة تصالحية هادئة لا تكاد تُعرف عن الجماعات الجهادية العنيفة، لا تخرج عن تأليف الحاضنة واستقطابها لصالح الجماعة وتنفيرها من خصومها.

وفيما سبق من تصدير جبهة النصرة «هيئة تحرير الشام» المرجعيات الشرعية

المحلية في أبرز مؤسساتها الشرعية المرجعية ما لا يقل عن ذلك من محاولة التقرب للحاضنة؛ لاسيما وأن النصرة حينما أعلنت فكّ الارتباط بالقاعدة والاندماج مع فصائل محلية أخرى سوّقتها ضمن انخراطها في العمل الجهادي السوري، ونفي ارتهانها لأية جهة أو أجندة عابرة. وقد قابلت الحاضنة حينها هذه الخطوة بالترحيب؛ لولا أن النصرة أمعنت بعد ذلك بالبغي والتغلب على الفصائل الثورية.

وفي السياق ذاته من التقرب للحاضنة الشعبية واستثارة العواطف ما كان من تنظيم حرّاس الدين؛ فقد أعلن بيانه الأول في٢٧/ ٠٢/ ٢٠١٨ موقّعاً باسم الفرع السوري الجديد لتنظيم القاعدة «تنظيم حراس الدين» بعنوان «أنقذوا فسطاط المسلمين»، داعياً إلى نصرة الغوطة وشنّ العمليات العسكرية ضد قوات النظام السوري، إضافة إلى دعوة الفصائل المتحاربة في الشمال السوري ـ أي فصيل حركة نور الدين زنكي وحركة أحرار الشام المنضويتَين في جبهة تحرير سوريّة مقابل هيئة تحرير الشام ـ إلى «وقف الاقتتال فيما بينها» والتفرّغ لقتال النظام وتوحيد الجهود «ودفع الصائل»، كما عرّف التنظيم عبر حسابٍ له ـ سابقًا على برنامج تلغرام ـ وصفحته على تويتر: بأنه «تنظيم إسلامي من رحم الثورة السوريّة المباركة، يسعى لنصرة المظلومين وبسط العدل بين المسلمين»[1]، مع عدم إشارة التنظيم إلى ارتباطه بتنظيم القاعدة؛ رغم أن قياداته في غالبيتهم ممن بايع القاعدة ولهم صلات قوية مع قيادتها، وإنما انشقوا بعد فك النصرة ارتباطها بالقاعدة. وفي محاولة

(١) ينظر النص الكامل لبيان تشكيل تنظيم الحراس ضمن تقرير: حراس الدين، وجه جديد للقاعدة، في موقع على بصيرة، عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/39Od9Er، وينظر حساب التنظيم على تويتر عبر الرابط: https://bit.ly/2xRjEc8

أخرى للانخراط في المجتمع المحلي والعمل المجتمعي أنشأ التنظيم «مركز دعاة التوحيد الدعوي» الذي ترأسه الشرعي اليمني أبو أسامة الشوكاني، وضمّ عددًا من الفاعلين الشرعيين أبرزهم أبو هريرة المصري ـ نجل أبي ذر المصري ـ وأبو محمد السوداني وأبو عبد الرحمن المكّي، وقد تركّزت معظم أنشطة المركز على الخيَم الدعوية في مساجد بعض القرى إلى جانب خطب الجمعة، والمحاضرات الثقافية للشباب، ومنتديات الدعوة العامة، وجولات الدعوة، والدروس الثقافية، وزيارات نقاط الرباط والمستشفيات وتوزيع المطويّات وكتابة الشعارات والتوجيهات الموقعة باسم التنظيم على الجدران البارزة في المناطق العامة. إلى جانب ذلك فقد افتتح المركز نحو ١٥ معهدًا أو نقطة تعليمية في قرى ومدن إدلب، لتعليم مبادئ العربية والإنكليزية والدراسات الدينية للأطفال.

وفي هذا: تأكيد لاستشعار التشكيلات الجهادية أهمية الارتباط بالمجتمعات المحلية؛ حمايةً لمشروعها ولمنتسبيها، رغم حرصها على استمرار العالمية في فكرها وجهادها؛ وهذا ما أكّده الظواهري زعيم القاعدة في شرحه إستراتيجية التنظيم: «معركتنا طويلة، والجهاد بحاجة لقواعد آمنة»[1].

مع وضوح أثر طول الخبرة وعُمر كل تشكيل في رسوخ سياسة مثمرة مع الحاضنة الشعبية؛ فطول واستقرار تجربة جماعة نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل في مختلف دوائر تطورها لا يُقارن بحداثة تجربة تنظيم حرّاس الدين مثلاً، ولا باضطراب تجربة جبهة النصرة التي أفسدت براغماتيتها واضطراب مسيرتها وبغيها على الآخرين بعض ما حاولته من التقرب مع الحاضنة.

---

(١) التنافس الجهادي: الدولة الإسلامية تتحدى تنظيم القاعدة: مركز بروكنجز الدوحة، ص١٣.

*** مع الدولة الإسلامية: صراع الإخوة الأعداء:**

مـع استحضار أن تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» خرج من رَحِم تنظيم القاعدة؛ فلا يخرج خلاف داعش مع التشكيلات الجهادية التابعة للقاعدة عن اختلاف أفراد البيت الواحد على قيادة «العائلة الجهادية» والتنازع على الميراث «الجهادي»، فتهدأ المشاكل مع طرف لتشتعل مع طرف آخر من «الأسرة» ذاتها؛ فهم الأخوة الأعداء، كما عبّر بعضهم[1]. على أن العلاقة بين داعش والتشكيلات الجهادية الأخرى لا يصحّ اختزالها بهذا العنوان الإعلامي فحسب، وهذا ما يظهر عند التدقيق فيما كان بين التشكيلات محل المقارنة وتنظيم داعش:

ففـي السـاحل تقاتـل جماعـة نصـرة الإسـلام والمسـلمين مجموعـة الدولة الإسـلامية التـي يقـال إنهـا انتصـرت عليهـا وأخرجتهـا مـن معاقلهـا فـي مالـي وبوركينافاسـو، وحاصرتهـا في شـريط حدودي ضيـق بين شـمالي النيجر ومالي؛ ويبـدو أن الجماعـة تحـاول العـودة إلـى صـدارة الأحـداث مـن خـلال إعـادة ترتيـب الصفـوف وتحديـد الأولويـات لمواجهـة تنظيـم الدولـة الإسـلامية الذي يسـعى إلـى الاسـتحواذ على مناطـق نفوذ «خصمـه» في الجهـاد، والممتـدة حتى جنـوب السـاحل والصحـراء والقرن الأفريقي. وفي سـياق حرص نصرة الإسـلام والمسـلمين علـى اكتسـاب الحاضنـة الشـعبية كمـا سـبق فهـم يحرصـون علـى الشـورى واسـتقطاب أهـل الاختصاصـات والخبـرات مـن كل الإثنيـات، وعلى اعتبـار آراء العلمـاء والفقهـاء مـن أهـل الحـل والعقد؛ مـع إعلانهـم أن حرصهم

(١) وفق تعبير عبد الباري عطوان في كتابه: **الدولة الإسلامية: الجذور التوحش المستقبل**، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٥، ص١٨٦.

هـذا ينطلـق مـن رفضهـم زيغ تنظيـم الدولـة العائـد بالأسـاس إلى عدم استشـارة العلمـاء وتغليـب رأي القادة العسـكريين؛ ولـذا تخضع القيادة السياسـية للجماعة وجناحهـا العسـكري للسـلطة الشـرعية خلافـاً لمـا هو عنـد مجموعـات داعش. وفـي السـياق ذاتـه يحـاول تنظيـم نصـرة الإسـلام والمسـلمين تمييـز نفسـه عـن الجماعـات الجهاديـة الأخـرى في المنطقة من خلال عدم إدراج مشـاهد وحشـية وسـادية والتعذيـب وقطـع الـرؤوس وغيرها، التـي غالباً مـا تظهر فـي فيديوهات داعـش، ومـن خـلال ما مرّ مـن بيـان اسـتنكار مذبحـة بوركينافاسـو والبـراءة من فاعليهـا وانحرافهم.

وجبهة النصرة «هيئة تحرير الشام» نستذكر أنها تأسست فرعاً لتنظيم الدولة الإسلامية في العراق، قبل أن تنفصل عن التنظيم، الذي ردّ بضربات موجعة للنصرة استولى فيها على كثير من المناطق والموارد التي كانت مع النصرة. وهو ما أدى إلى خلخلة كبيرة في صفوف الجهاديين بين داعش والنصرة، ثم بين النصرة ومَن رفضوا فك ارتباطها بالقاعدة، وكان للمرجعيات الشرعية أثر كبير في ذلك؛ فمظهر الويس بوصفه أحد المرجعيات الشرعية المهمة للنصرة نشر عام ٢٠١٤ بحثاً مطولاً من ٢٦٠ صفحة تحت عنوان «العلامات الفارقة في كشف دين المارقة»؛ هاجم فيه منهج وممارسات تنظيم داعش، وانتقدها نقداً لاذعاً، وأشار إلى أن تنظيم داعش قد «فاقت مظالمه كل الحدود، فقتلاهم بالآلاف، ومشردوهم بمئات الآلاف، فانتهكوا الحرمات واغتصبوا الأموال، تحت ما يسمى بـ«جباية الفيء وتوزيع العطايا»، ونهبت أموال الأمة واغتصبت خيراتها، وفرضوا الضرائب، وكفّروا الناس طمعاً بأموالهم وجرّدوا القرى والمناطق التي كانوا يسيطرون

عليها»، وأنهم «بالإضافة إلى انتهاكهم للحرمات فلم يقيموا الحدود على وجهها، وإنما غروا الناس ببعض العقوبات التي يطبقونها، والتي يسلم منها أتباعهم إلا مَن تمرد عليهم، فيتخلصوا منه بحجة إقامة الحدود». وأشار إلى مغالاة التنظيم في تطبيق قاعدة «مَن لم يكّفر الكافر»، وأن أنصاره يعتبرونها أصلاً مطرداً مطلقاً دون التفصيل المعروف، فتنطلق عندهم سلسلة التكفير للمخالف دون هوادة، فهم يكّفرون بلا مكفّر ومَن لا يستحق التكفير، ويستحلون قتل مَن لا يستحق القتل، وغير ذلك من المسائل التي أثارها البحث الذي حذّر من خطر الغلو والخوارج. كما أشار الويس إلى أن تنظيم داعش شابه «الخوارج الأوائل بالغلو في الإمامة، فقالوا بالدار والإمام والهجرة واعتبروا زعيمهم هو أمير المؤمنين الذي تجب بيعته على المسلمين»، منبهاً أن هذا ديدن كل فرق الخوارج عبر التاريخ، كما أشار إلى أن الخوارج عبر التاريخ تميزوا «بالولع في سفك الدماء، وهذا ما تجلى واضحاً في جماعة الدولة التي اشتهرت بعملياتها الانتحارية وطرقها الاستعراضية في القتل، وأفلامها الهوليودية في الصلب والتمثيل، وقالوا بقتل المخالف لهم من باب قتل المصلحة»[1].

على أن هذا الموقف المتشدد من الويس تجاه داعش لم يكن محل توافق داخل النصرة؛ فقد كان فيها تيار يرى عدم شرعية قتال داعش بالتحالف مع الجيش

---

(١) يمكن الرجوع إلى بعض المقالات التي تناولت الكتاب: خلاصة كتاب العلامات الفارقة في دين المارقة، على الرابط: https://justpaste.it/molakhas

بالصور: وثيقة كتبتها قيادات القاعدة لفضح اتباع داعش، موقع ٢٤ الخبر بين لحظة وضحاها، على الرابط: https://24.ae/article/419658/

الحر، بل كان فرع القلمون من النصرة بقيادة التلّي يتحالف مع داعش بينما كان فرع الشرقية في دير الزور يخوض معه معارك ضارية.

ومع غياب أي تصريح أو ممارسة لتنظيم حرّاس الدين تجاه تنظيم داعش، رغم ما عُرف عنهم من التشدد؛ فلا يبعد أن يكون انشغال حرّاس الدين بملاحقة هيئة تحرير الشام واعتقالها قيادات التنظيم وبتضييقها عليهم، مع ما كان من تأثير مباشر وقوي لمرجعيات القاعدة جعل حرّاس الدين ضمن أعداء داعش، وجعل قياداتها ضمن أهدافها للاغتيال، كما ذُكر في الحديث عن الشيخ بلال الصنعاني ومحاولات خلايا داعش اغتياله.

فالعلاقة بين تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» والتشكيلات التابعة للقاعدة لم تكن مستقرة على حال متوافق عليها بين مرجعياتهم الشرعية ولا بين أفراد تلك التشكيلات؛ بين مَن يقاتلهم ويرى أنهم خوارج يجب التحالف حتى مع الخصوم ضدهم، ومَن يراهم «إخوة» لا يجوز قتالهم؛ لنعود إلى حيث تقدّم من كونهم أقرب ما يكونون إلى «الإخوة الأعداء».

*** المجالس الشرعية: الحضور والتأثير:**

تحرص الجماعات الإسلامية عموماً على تصدير قضية الشورى والتشاور بوصفها ركيزة من ركائز العمل الإسلامي والجهاد وبناء الدولة، كما تحرص على تصدير شرعيين بصفتهم ضبّاط عملها ومراقبي نشاطها الأمناء على سلامة نهجها وفكرها؛ على تفاوتٍ بينها في حقيقة التشاور والمسميات وفاعليتها، وبالنظر في التشكيلات الجهادية محل المقارنة نجد الآتي:

تتسم الهيكلية التنظيمية لجماعة نصرة الإسلام والمسلمين في الساحل

بالشمول، وما يُعرف عنها يعكس بنية القاعدة في المغرب الإسلامي؛ حيث تتكون قيادة التنظيم من: أمير التنظيم، ومجلس شورى، ورؤساء كتائب. ومجلس الأعيان مسؤول عن التنظيم بكل هياكله وفروعه، وتقوم البنية التنظيمية على قيادة أمير ومجلس شورى وقادة ميدانيين. ويضم مجلس الشورى أصحاب الرأي السليم وأهل الاختصاصات والخبرات من كل الإثنيات. ويساعد أمير التنظيم على تقديم النصيحة والمساعدة في اتخاذ القرارات الهامة، وتُعد الشورى مُلزمة لأمير التنظيم، ولا يمتلك أحقية اتخاذ القرارات منفرداً بحكم إمارته دون رأي الفقهاء من جماعة الحل والعقد. ومع شحّ المعلومات عن هيكلية الجناح الشرعي للتنظيم بإنه مكون من القيادات التي كانت في الصحراء؛ ولا شك أن القيادة السياسية للتنظيم والجناح العسكري يخضعان لسلطته الشرعية. ومن أبرز مهام الشرعيين في التنظيم القضاء؛ ويعدّ التنظيم القضاء من ركائزه الأساسية، ويُعيّن قاضي الجماعة من قبل أمير التنظيم. وهو مستقل في مباشرة مهامه، ويعين قضاة الكتائب بالتعاون مع أمرائها، وتُعد أحكام القضاء قطعية ونافذة. وفي كل كتيبة قاضٍ يفضّ النزاعات ويستعين به القائد في اتخاذ القرارات، ويؤمّ الصلاة ويُفتي المقاتلين في أمور دينهم، ويرافق قائد الكتيبة في تنقلاته ويحضر بعض العمليات حسب قدراته البدنية. كما يتابع الجناح الشرعي للتنظيم ـ أو بالأصح: مجموع القضاة تحت لوائه وقواده ـ إصدارات المرجعيات الشرعية ويستأنس بها في قراراته[1]. كما أن القضاة الشرعيين اضطلعوا بدور في مسار التفاوض الذي لم ترفضه الجماعة؛ وإنما

(١) أوصلت منظمة إنسانية لقائد منطقة تومبكتو، سنة ٢٠١٩، فتوى حول وجوب حماية عمال الإغاثة، وأستقبلها بكل أريحية ووعد بالعمل بها وإبلاغها لقادة تنظيمه، مع الاعتراف أنه لا يعرف صاحبها شخصيا، لكن يتابع كل إصداراته ويحترم آراءه الفقهية

وضعت شرطاً واحداً للدخول في مفاوضات مع الحكومة وهو انسحاب فرنسا من الساحة[1].

وفي جبهة النصرة مرّ أن عماد المرجعية الشرعية في مجلسَين «المجلس الشرعي ومجلس الإفتاء»، لكن هذا ما انتهت إليه النصرة بعد أن أصبحت «هيئة تحرير الشام»؛ وبالنظر لما مرّت به منذ تأسيسها باندماج سرايا جهادية تحت اسم «جبهة النصرة» حتى فك ارتباطها بالقاعدة والتغلب على فصائل عديدة وإعلانها الاندماج مع فصائل أخرى باسم «هيئة تحرير الشام» فقد تباينت سلطة المرجعية الشرعية في هيكلية التشكيل خلال تحولاتها، ويمكن تقسيمها أربع مراحل:

فالمرحلة الأولى: هي مرحلة سطوة المرجعية الشرعية على القرار السياسي والعسكري في التنظيم، وهي الفترة الممتدة منذ تشكيل جبهة النصرة حتى الانشقاق عن تنظيم الدولة وما رافقها من سجالات شرعية ودور كبير للمرجعية الشرعية، وهنا كان الشرعي العام لتحرير الشام العراقي «أبو ماريا القحطاني»، وكانت النصرة تعتمد في إدارتها على اللامركزية حيث يتمتع أمراء القواطع بصلاحيات واسعة.

المرحلة الثانية: مرحلة التوازن بين القيادتَين الشرعية والعسكرية، والتي جاءت مع تعيين الأردني سامي العريدي شرعياً عاماً بضغط من المقدسي على قيادة النصرة، واتسمت بالتأسيس لمرحلة قتال الفصائل والالتصاق بفكر تنظيم القاعدة.

والمرحلة الثالثة: مرحلة سطوة القيادة العسكرية على الجهاز الشرعي بشكل شبه كامل، مع إقصاء/ انشقاق قيادات وشرعيي القاعدة عن التنظيم، وذلك في

---

(١) https://2u.pw/dHxrhbd

الفترة الممتدة من تشكيل جبهة فتح الشام إلى ما بعد تشكيل هيئة تحرير الشام، والاعتماد على شخصية سورية محلية هو عبد الرحيم عطون الذي ساعد الجولاني بقيادة تحولات مهمة جداً أهمها فك الارتباط بتنظيم القاعدة.

والمرحلة الرابعة : مع تشكيل تحرير الشام اعتمد التنظيم على مجلس عسكري بدلاً من الشرعي العام، وتحول دور المجلس الشرعي في هيئة تحرير الشام إلى دور ثانوي مقتصر على تبرير السياسات العامة التي ترسمها قيادة تحرير الشام ممثلة بالجولاني قائد التنظيم، ولتتحول المرجعية الشرعية فيها إلى «مرجعية صورية» مهمتها الرئيسة «شرعنة» ممارسات الجناح العسكري والتحركات السياسية التي تنتهجها تحرير الشام وتبريرها شرعياً، مع الإشارة هنا إلى تنامي الخلافات والصدامات الداخلية التي تبدي هشاشة المرجعية الشرعية لتحرير الشام وعجزها عن تحقيق تأثير حقيقي في سياسات التنظيم؛ فالشرعي العام عطّون ضمن تبريره التحولات التي وصلت إليها النصرة كان مما أدلى به لصحيفة «لو تيمبس» السويسرية أن هيئة تحرير الشام «لا تشكّل خطراً على الغرب»، وأن المنطقة التي تسيطر عليها تحرير الشام بحاجة للمساعدات الدولية. وأضاف عطون: «لست بصدد أن أقدّم صورة أجمل أو أكثر سوداوية عن أنفسنا، نحن نظهر الواقع فحسب، الناس هنا ليسوا مثلما كان عليه الناس في الرقة في فترة خلافة تنظيم الدولة»، مشيراً إلى أن تحرير الشام هي «آخر مَن يقاتل نظام الأسد وحلفاءه؛ لكنها لن تتمكن من القضاء عليه دون مساعدة»[1]، رغم أن عطون هذا نفسه الذي

(١) شرعي تحرير الشام لصحيفة سويسرية: لا نشكل خطراً ونحتاج لدعم دولي، تلفزيون سوريا، على الرابط: https://bit.ly/3Oj6Al1

يُبدي هذه البراغماتية على صعيد العلاقات الخارجية قد لعب دوراً بارزاً في شرعنة قتال الفصائل الإسلامية وفصائل الجيش الحرّ، وفي قتال أحرار الشام وتفكيكهم، وهاجم المجلس الإسلامي السوري. ولا أثر يّذكر لشرعيي هيئة تحرير الشام ولا عطون الشرعي العام في مسار المفاوضات السياسية التي يجريها التنظيم؛ إذ إن أمر ذلك كله بيد الجولاني زعيم التنظيم، والشرعيّون معه متأثرون به أكثر من كونهم مؤثّرين به.

وأما تنظيم حرّاس الدين فإن مجلس الشورى (القيادة التشريعية) فيه يضم ١٥ عضواً، منهم أعضاء دائمون وأعضاء متبدلون؛ ومن الدائمين المسؤول الشرعي العام والمسؤول الدعوي العام والقاضي الأمني العام، وفي الأعضاء المتبدلين شرعيون كذلك ولهم مهام في الجهاز الأمني. على أن من أبرز الأدوار التي اضطلع بها شرعيو حرّاس الدين: إدارة المفاوضات مع مختلف الجهات، سواء مع الفصائل القريبة منهم أثناء تأسيس الفصيل أو في التحريض ضد هيئة تحرير الشام للانفصال عنها أو في رفض أفكارها وتوجهاتها، أو حتى في محاولة استمالتها تجاه نقطة ما أو موقف معيّن. فالتنظيم اعتمد في بنيته الإدارية على الشرعيين من ذوي الخبرات المزدوجة؛ إذ ينال عضوية مجلس الشورى ١٢ شخصًا يمكن وصفهم بأنهم شرعيّون من أصل ١٥ عضوًا، فإلى جانب أن شرعيّ التنظيم العام متخصص في الحديث فإن رئيس مجلس الشورى قائدٌ عسكريّ لجيش الملاحم وشرعيّه في الوقت نفسه، أما قائده العسكريّ المغتال وأبو خديجة الأردني وأبو خلاد المهندس فقد كانوا ـ إلى جانب كونهم من مجلس الشورى ـ من الدائرة المقربة للزرقاوي وأبي محمد المقدسي، وكذلك تسنّم أبو أسامة الشوكاني إدارة شؤون

الدعوة والحسبة وهو شرعي يمنيّ، أما القضاء العام فقد كان بيد كلٍّ من الشيخ أبي عمرو التونسي ثم أبي ذر المصريّ، وهما شرعيان أيضًا، وكذا مسؤوله الأمنيّ العامّ. وبسبب الاستقطاب وتباين التيارات في صفوف حرّاس الدين فقد وقع تمرّد داخل التنظيم اصطدم فيه القضاء بالأمنيين وقيادة التنظيم حتى هدّد القاضي العام «التونسي» بعزل القيادة. ومما كان للشرعيين والقضاة أثر واضح فيه رفض حرّاس الدين عقد أي اتفاق مع أي دولة تنخرط في الملف السوري ورفض أي اتفاقات موقعة بين تلك الأطراف؛ ففور تشكيل التنظيم زار قياديو حرّاس الدين وشرعيّوه ـ أبو القسّام الأردني والعريدي وأبو همام الشام والجزائري وأبو ذر المصري وأبو خلاد المهندس ـ أغلب الفصائل في الشمال داعين للتحالف معهم ضد الاتفاقات الدولية وضد الفصائل التي توافق عليها، من خلال تجميع الفصائل الجهادية في غرفة واحدة، وهذا ما حاوله التنظيم وعمل عليه من خلال غرفة «وحرّض المؤمنين» وغرفة «فاثبتوا»؛ لولا أن تحرُّك هيئة تحرير الشام ضدهم أوقفهم. كما أن من أدوار الشرعيين في حرّاس الدين دورهم في إدارة الأزمات؛ سواء من خلال التفاوض مع الخصوم أو التحاكم عند القضاء، أو إرسال رسائل لهم أثناء انهيار المفاوضات والمباحثات البينية، مع تفضيلهم ـ في بعض الأحيان ـ الدعوة للتفويض في حل المسائل العالقة بين الأطراف المتنافرة إلى وساطة/ أحكام «مرجعيات مستقلة» مقربة منهم كأبي محمد المقدسي وأبي قتادة[1] والدكتور هاني السباعي.

---

(١) ينظر مثلًا: دعوة الشرعي أبي محمد السوداني لقيادة الهيئة بالتحاكم إلى أبي قتادة الفلسطيني المقرب منهم: https://t.me/tapaiwr/2706

فنجد:

ـ حضـور مسـميات «الشـورى» و«المجلـس الشـرعي» و«القضـاء» فـي كل التشـكيلات الجهاديـة.

ـ اضطـلاع الشـرعيين بـأدوار مختلفـة مـن الفتـوى والإمامـة، إلـى القضاء، والتفـاوض وإدارة الأزمـات؛ مـع دخولهم الأجهـزة الأمنية في تلك التشـكيلات.

ـ التفـاوت بيـن التشـكيلات فـي اسـتقلالية الشـرعيين والقضـاة عـن القيادة العسكرية.

ـ اضطراب العلاقة بين الشرعيين والقيادات في بعض الأحيان، حتى يصل الأمر للصدام والتمرد والتهديد بعزل القيادة. في مقابل خضوع الشرعيين في أحيان أخرى واقتصار دورها على تبرير تحركات القيادة وشرعنتها.

ـ كانت المرجعيات الشرعية المحلية أكثر خضوعاً لقيادة التشكيلات وأكثر مطاوعة لها في تجربة النصرة «هيئة تحرير الشام»، بخلاف ما كانت عليه في الساحل عند نصرة الإسلام والمسلمين؛ ولعل ذلك لانتظام العلاقة بقيادة القاعدة والتنوع في المرجعيات الشرعية وثقل وزنها أثّر في قوتها وملء موقعها بقوة.

*** خاتمة:**

مع التوافق بين التشكيلات الجهادية المحسوبة على القاعدة في عدة جوانب، لاسيما في وحدة المرجعيات الشرعية والفكرية والخط الجهادي العالمي العام؛ فإن فيما بينها فوارق ليست قليلة في جوانب متعددة.

ولا تُقرأ الفوارق بين التشكيلات الجهادية على أنها علامة ضعف في جسد

تنظيم القاعدة وبنائه التنظيمي؛ فهذه نَظرة من جانب واحدة؛ لكنّ اتجاه التنظيم إلى ترك مساحات واسعة للتشكيلات التابعة لهم للتقارب أكثر من مجتمعاتها المحلية بعد التضييق على قيادة القاعدة وانحسار مواردها المالية يزيد الأمر صعوبة في متابعة تلك التشكيلات والقضاء عليها، وفيما مرّ شواهد كثيرة عن مقتل قياديين كثر من القاعدة وفروعها حتى أن تُصاب بمقتل يُنهي أمر التنظيم وفروعه؛ وهو ما يؤكد أهمية العمل لتفكيك خطاب الغلو ومعالجته، وأهمية الحوار الفعّال مع هذه التشكيلات.

❊❊❊

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١٨٣
إشكاليات الولادة: بين الانشقاق والاندماج والتغلب	١٨٤
المرجعيات الشرعية: المحلية	١٩٢
مع الحاضنة الشعبية: تقارب واستقطاب	٢٠٣
مع الدولة الإسلامية: صراع الإخوة الأعداء	٢٠٧
المجالس الشرعية: الحضور والتأثير	٢١٠
خاتمة	٢١٦

❊ ❊ ❊